كتب قومية

مسابقة مصلحة الاستعلامات

قصة العدوان الثلاثي على مصر

البحو[illegible]ائزة
مصلحة الاستعلامات
فى مسابقة "كتب قومية"

بقلم
سمير صادق
المستشار بمجلس الدولة

الناشر
الدار القومية للطباعة والنشر

[illegible]ن
١٥ قرشا

قصة العدوان الثلاثي
على مصر

بقلم
سمير صادق
المستشار بمجلس الدولة

تاريخنا مع الاستعمار

ان قصة العدوان على مصر لا تبدأ بمهاجمة قوات الجيش الاسرائيلي للاراضي المصرية في ٢٩ من اكتوبر سنة ١٩٥٦ .

ولا تبدأ بالانذار الذى وجهته بريطانيا باسمها واسم فرنسا الى الحكومة المصرية في ٣٠ اكتوبر سنة ١٩٥٦ تطلبان فيه :

١ – ايقاف جميع الاعمال الشبيهة بالحربية في البر والبحر والجو .

٢ – سحب جميع القوات العسكرية الى مسافة ١٠ أميال من قناة السويس .

٣ – أن تقبل مصر احتلال الاراضي المصرية بوساطة القوات البريطانية والفرنسية للمواقع الرئيسية فى بورسعيد والاسماعيلية والسويس .

٤ – يطلب الانذار الاجابة عليه في الساعة السادسة والنصف من صباح الاربعاء ٣١ من اكتوبر سنة ١٩٥٦ بتوقيت القاهرة .وإذا لم تتسلم بريطانيا وفرنسا اجابة في الوقت المحدد فانهما تتدخلان بالقدر الذى تريانه ضروريا لضمان اجابة مطالبهما .

وقد رفضت الحكومة المصرية هذا الانذار .

ان قصة العدوان على أرض الوطن لم تبدأ من هذا التاريخ .

انها قصة قديمة تبدأ مع بداية تاريخنا الطويل مع الاستعمار وكفاحنا المرير ضد الاستعمار وأعوان الإستعمار ، فمنذ بداية انهيار الامبراطورية العثمانية وظهور بريطانيا كقوة بحرية تجوب أساطيلها

حوض البحر الابيض المتوسط وبالاخص شرقى هذا الحوض وهـو الجسر الذى كانت التجارة تسلك طريقه الى الخليج الفارسى ·

كانت بريطانيا تتصارع مع القوى الدولية الكبرى فى ذلك الوقت ، وهى قوة روسيا البحرية وقوة فرنسا التى اسرعت الى احتلال مصر بجيوش نابليون · فنازلتها بريطانيا التى ارادت البقاء فى أراضينا بعد طرد الفرنسيين ولكنها شيعت بأول هزيمة لها على ايدينا فى عام ١٨٠٧ ·

غير أن هذا الصراع الدولى انتهى باحتلال الانجليز لاراضينـا فى عام ١٨٨٢ بحجة حماية الخديو توفيق ضد ثورة الجيش المصرى بقيادة الزعيم أحمد عرابى · وكانت الاموال الفرنسية قد ظفرت قبل ذلك بامتياز شق قناة السويس وفتحت هذه القناة فعلا للملاحة فى عام ١٨٦٩ ·

وظل الصراع الدولى مستمراً مع ذلك فاشترت بريطانيا أسهم مصر فى قناة السويس واقامت أول قاعدة عسكرية لها فى الاسكندرية ثم ساومت فرنسا حتى اعترفت لها بوضعها فى مصر ·

لقد داست أقدام المستعمر أرض الوطن الطـاهرة منذ بدأ عام ١٨٨٢ وقد قاومنا منذ اليوم الاول · فضربنا المستعمر فى كفر الدوار وهزمهم عرابى شر هزيمة الا انهم واجهونا بالغدر والخيانة واتبعوا معنا سياسة فرق تسد ونفثوا سمومهم وتعاليمهم فى هذا الشعب المسالم ·

وكان هذا الشعب دائما يقاوم الاستعمار فقامت ثورة ١٩١٩ وتزعم الحركة الوطنية سعد زغلول ·

وكانت العلاقة بين مصر وبريطانيا علاقة غزو واحتلال وظلت كذلك حتى عام ١٩٢٢ حين أعلنت بريطانيا استقـلال مصر · بل

واستمرت حتى بعد معاهدة «الشرف والاستقلال» عام ١٩٣٦ حين تغير لقب «المندوب السامي» الى لقب دبلوماسي وهو لقب «السفير» ومع ذلك ظلت موسيقى جيش الاحتــلال في ثكنات قصر النيل تخرج صباح كل يوم مارة بوزارة الخارجية المصرية الى دار السفارة البريطانية لتوقظ السفير البريطاني من نومه •

وظل سفير بريطانيا هو الحاكم غير المتوج الذى تنفـذ ارادته الدبابات وتخضع لاشارته اعناق الرجال• وليس حادث ٤ من فبراير سنة ١٩٤٢ ببعيد حين وجه السفير البريطاني انذارا الى ملك مصر وقتئذ بتكليف شخصية معينة لتشكيل وزارة تتولى مقاليد الحكم في البلاد ، والا فان ملك مصر يتحمل مسئولية مايقع من احـداث • وأحاطت الدبابات البريطانية بالقصر الملكي • وكان أن اذعن الملك للانذار •

وكم اسقطت وزارات وتولت وزارات مقاليد الحكم تبعا للسياسة التى كان يرسمها السفير البريطاني ووفقا للرغبات التى يبديهــا وكأن مصر ضيعة من ضياعهم ، وليست دولة مستقلة ذات سيادة كما ينص على ذلك دستورها • وكما تعترف بذلك معاهدة الشرف والاستقلال !

ولم يلبث الشعب الابى ان أحس بأن معاهدة سنة ١٩٣٦ ليست الا قيدا جديدا على حريته واستقلاله فطالب بالغائها حتى الغيت فى اكتوبر سنة ١٩٥١ •

ومع ذلك استمرت بريطانيا معتمدة على دبلوماسية القوة حتى قيام ثورة ٢٣ من يوليو سنة ١٩٥٢ وهنا انبثق فجر جديد ، وعهد جديد ، وتولى الحكم في البلاد رجال أحرار من المصريين كلهم وطنية وعزة وكرامة •

•

وقد قامت هذه الثورة وكأنهـا على موعد مع الشعب ، وصدى لما يختلج فى نفسه من رغبات وأحاسيس ؛ وكانت النفوس كلهـا تغلى تريد أن تحطم الاستعمار وأعوان الاستعمار ، وتتحرر من نير وذل الاقطاع .

وحينمـا قامت ثورة ٢٣ من يوليو سنة ١٩٥٢ كانت ثورة سياسية وثورة اجتماعية: ثورة سياسية تهدف الى تحقيق الاستقلال والتخلص من الاستعمار والاحتلال والنفوذ الاجنبى واعوان الاستعمار والقضاء على الصهيونية . وكانت ثورة اجتماعية تهدف الى التخلص من الاقطاع والاحتكار وسيطرة رأس المـــال والحزبية والرجعية والطائفية ، ثم تهدف الى العمل البناء والتنمية والانتاج والى عدالة فى توزيع الانتاج بين جميع ابناء الشعب حتى لا يكون هناك سادة وعبيد ، بل تكون فرصا متكافئة لرفع مستوى المعيشة ومضاعفة الدخل القومى .

« ٢ »

الجـــلاء

وابتدأت حكومة الثورة منذ قيامها فى تنفيذ أهدافها نحـــو تحقيق الاستقلال والتخلص من الاستعمار . وانتهت مفاوضاتها مع بريطانيا الى توقيع اتفاقية الجلاء فى ١٩ اكتوبر سنة ١٩٥٤ ألتى نص فيها على أن يتم انسحاب القوات البريطانية من مصر خـــلال عشرين شهراً ودون قيد أو شرط .

وهكذا توج كفاح الشعب بطرد المستعمر من ارض الوطن العزيز وتم لمصر استقلالهـــا على أيدى ابطـــال ثورتنا الذين قادوا الجيش والشعب فى ثورة الحرية وكان طبيعيا والمستعمر يرى أمامه أبطالا يدافعون عن حقوق الوطن ، وعقدوا العزم على طرد المستعمر من الارض الطاهرة ان تنفذ اتفاقية الجلاء بحذافيرها .

وانه ليسعد كل مصرى أن يذكر ذلك اليوم الاغر من تاريخنا المجيد يوم خرج آخر جندى بريطانى من أرض مصر . ففى صباح يوم ١٣ من يونيه عام ١٩٥٦ تسللت السفينة التى تحمـــل جنود بريطانيا مع خيوط الفجر الاولى بعيداً عن أرض الوطن ، وقدمت القيادة البريطانية موعد الجلاء ثلاث ســـــاعات كاملة خوفاً من المظاهرات . فقد كان مقـــررا ان يتم الجلاء فى الســـــاعة التاسعة والنصف ، ولكن الباخرة البريطانية خرجت فى الساعة السادسة والنصف صباحا .

لقد بدأت عملية الجلاء فى الساعة السادسة والنصف مساء يوم ١٢ من يونيه سنة ١٩٥٦ حين بدأت القوة الصغيرة التى كانت

تحتل مبنى البحرية فى وضع جميع مهماتها فوق السفينة «ايفان جيت» وفى الساعة السابعة انزل آخر علم بريطانى من فوق أرض مصر باحتفال صغير حضره عشرون جنديا فقط ٠

وفى الساعة السادسة من صباح يوم ١٣ من يونيه سنة١٩٥٦، وقع محضر تسليم مبنى البحرية البريطانية ٠ ودخـــــل ممثلو القيادة المصرية المبنى وعلى رأسهم البريجادير «ليس» قائد القـــوة البريطانية فى القناة وبيده محضر التسليم ٠ وكان القائد الانجليزى متجهم الوجه رغم الابتسامة التى حاول بقوة أن يطبعها عـلى شفتيه وصافح القائد البريطانى أعضاء لجنة الاستلام المصرية ٠ وبسرعة وبلا مقدمات تبادل الجانب المصرى والبريطانى التوقيع عـلى محضر التسليم ثم أخرج القائد البريطانى مفتاح بوابة المبنى وسلمه لممثل القيادة المصرية ؛ وركب اللنش الى الباخرة ليلحق بجنوده ٠

ومن طريف ما يذكر انه عندما بدأت الباخرة « ايفان جيب » تشق المياه فى طريقها بعيدا عن أرض مصر ٠ وأحاطت اللنشات المصرية بالباخرة أسرع احد قائدى اللنشات يخرج قلة ويكسرهـا على مؤخر الباخرة « ايفان جيب » ٠٠ !

واحتفل برفع العلم المصرى على مبنى البحرية فى القنال فى الساعة الثامنة صباح يوم ١٣ من يونية سنة ١٩٥٦ لاول مرة منذ ٧٤ عاما ٠ وأقيم مهرجان بحرى فى ميناء بورسعيد ٠ وكان الشعب المصرى فى كل مكان يهنىء بعضه بعضا ، ويهتف ويصرخ من شدة الفرح ٠ وتعالت الهتافات بحياة الرئيس جمال عبد الناصر بطـل الجلاء وقاهر الاستعمار ٠

غير ان دبلوماسية القوة التى اعتادتها بريطانيا ظهرت منجديد وبلغت ذروتها فى الاعتداء الثلاثى الذى تزعمته بريطانيــا ؛ وهى تأمل من ورائه أن تستعيد مكانتها وسيطرتها فى الشرق الاوسط

ولكن كان الاثر المباشر للعدوان الثلاثي هو القضاء على البقية الباقية من مركز بريطانيا القديم في الشرق الاوسط وان «الحكمة السياسية» التي كانت بريطانيا تزعمها لنفسها قد تلقت ضربة قاصمة نتيجة هذا الاعتداء .. أو نتيجة للاستمرار في دبلوماسية القوة .

كان الاستعمار يبغي من وراء العدوان أن يستعيد مكانته ونفوذه وسيطرته وان يجعل مصر عبرة للامم الصغيرة ، فيحطم كبرياءها ويكسر شوكتها حتى يعطي درسا قاسيا للشعوب المتحررة التي تكافح الاستعمار في كل مكان لتدافع عن حريتها وعزتها وكرامتها ، وتحافظ على كيانها ومكانتها تحت الشمس .. ولكن الله عز جلاله أراد لارض الكنانة أن تسلم لاهلها وان يخرج شعبها من المحنة ظافرا منتصرا أبيا ؛ اصلب عودا مما كان قبل الاعتداء ؛ واشد ايمانا بمبادئه ومثله ؛ وأعلى مكانة وشأنا بين الامم .

ان دماء الابرار الطاهرة التي سفكت في أرض بورسعيد في معركة التحرير ، قد غسلت ذل الاحتلال الذي ظل عالقا بالنفوس اربعا وسبعين عاما لقد استطعنا بعد خمسين عاما من حادثة دنشواي أن نكيل للمستعمر اللطمات والصفعات . وأراد الله أن تكون الارض الطاهرة التي داستها أقدام المستعمر والقوات المعتدية قبرا لهم يضم رفاتهم ، ويطوي في تراب بور سعيد كرامتهم . وبعد أن ذلت اعناقهم ؛ ومن عاد منهم الى وطنه عاد يجر أذيال العار والخيبة والفشل .

لقد انتصرنا في معركة بورسعيد بقوة ايماننا لا بقوة السلاح ولا المنطق وبدأنا صفحة بيضاء ناصعة البياض في تاريخنا الحديث كدولة حرة مستقلة ذات سيادة ، قادرة على أن تحافظ على حريتها واستقلالها وكرامتها مهما بذلت في سبيل ذلك ؛ وانها لعلى استعداد لان تضحي دائما بآخر قطرة من دماء أبنائها الاحرار حتى تصون حريتها واستقلالها .

« ٣ »

مشروع السد العالي

ولنبدأ القصة كما تبدأ القصص عادة .. كانت أرضنا الخضراء تنحنى تحت اقدام المستعمر الغاصب، ليست انحناءة الذل والانكسار وانما كانت تميد الارض تحت اقدامهم لتحفر لهم قبراً يضم رفاتهم. وكانت الشمس الساطعة تلسع المستعمر وتصيب رأسه بضربة شمس حتى لا يخرج من أرض الوطن الا ميتا فيكفر عما صنع اسلافه فى دنشواى ، طوال عهد الاحتلال البغيض أو يخرج من أرض الوطن مطأطىء الرأس فى ذلة الخزى والعار والانكسار .

ولقد حققت اتفاقية الجلاء التى وقعت فى ١٩ اكتوبر سنة ١٩٥٤ وتم تنفيذها فى صباح يوم ١٣ من يونيه سنة ١٩٥٦ كل ما كانت تصبو اليه مصر من حرية واستقلال وعزة وكرامة فى ظل ثورتنا المباركة وعلى يدى قائد نهضتها الرئيس جمال عبد الناصر بطل الجلاء وقاهر الاستعمار .

وبعد أن تخلصت مصر من المستعمر الغاصب وحققت الاستقلال السياسى والاستقلال العسكرى . اتجهت حكومة الثورة لتحقيق الديمقراطية الاجتماعية حتى تضمن تحقيق الديمقراطية السياسية واقامة عدالة اجتماعية .

فكان من أوائل مشروعاتها القضاء على الاقطاع فأصدرت قانون الاصلاح الزراعى وحددت الملكية الفردية بمائتى فدان ، واستولى الاصلاح الزراعى على الملكيات التى تزيد عن هذا الحد وتولت حكومة الثورة توزيع هذه الاراضى على الفلاحين الذين كانوا يزرعون الارض

بسواعدهم وبعرق جبينهم فتنتج الارض ذهبا يدخل جيب صاحب الاقطاعية ولا ينال الفلاح سـوى قروش لا تكاد تكفيه قوت يومه ولا يجد مكانا ينام فيه غير ارض يفترشها الى جوار مواشيه. هؤلاء الفلاحون الذين كانوا عبيداً للارض أصبحوا ملاكا لها ومن لم يكن له نصيب في الحصول على قطعة أرض فقد حدد القانون حـداً أدنى لاجور الفلاحين يضمن له حياة كريمة ويرفع مستوى معيشته.

وقررت حكومة الثورة الغاء الاحزاب لان الحكومة تعمل لصالح الشعب كله على اختلاف هيئاته وطوائفه فلم يعد بنا حاجة الى الاحزاب التى كانت الخلافات بينها ثغرة نفذ منها المستعمر ليفرض سيطرته ونفوذه، كما ان الاستعمار اختار ذوى النفوس الضعيفة ليكونوا أعوانا له ضد مصلحة الوطن واتبع سياسة فرق تسـد بين افراد الشعب.

كما عملت حكومة الثورة الى تطهير الاداة الحكومية من الفساد والرشوة التى كانت متفشية فى العهود الماضية قبل قيام الثورة. ولما كان من أهداف الثورة اقامة عدالة اجتماعيـة لذلك فقـد عملت حكومة الثورة على تخطيط اقتصاد وطنى للشعب كله لا لفئة قليلة حتى تقضى على الاحتكار والاستغلال بكل أنواعه.

ان الحرية الاقتصادية التى ورثناها من عهد الاستعمار كانت حرية الاستعمار فى استغلال بلادنا. اما الحرية الاقتصـادية التى نادت بها حكومة الثورة فهى أن تحرر الاقتصاد وتقيم بين ربوع وطننا الاقتصاد الوطنى والاقتصاد القومى بدل الاقتصاد الاستغلالى او الاقتصاد الاجنبى.

أن من أهداف الثورة فى المجال الاقتصادى اقامة المصانع وان ننتج لانفسنا ما نريد، وكان الاستعمار والانتهازيون واعوان الاستعمار يجدون فى هذه الدعوة لبناء اقتصاد وطنى فى قضاء على المنافع،

وقضاء على أسواقه التى يصرف فيها بضائعه ، وقضاء على أسواقه التى يستغلها ، والتى يحتكرها ؛ فان اقامة المصانع انما تعنى ان الدول التى كانت تصدر لنا وتجعلنا سوقا لها ترى ان هذه الاسواق قد عادت الى ابنائها والى عمالها ، لان الصناعة الوطنية حينما تحل محل الصناعة الاجنبية انما يستفيد منها العامل الوطنى ويتـــأثر الاستغلال الاستعمارى .

ولعل اكبر مشروع تبنته ثورتنا المباركة ، بل اضخم مشروع اجتذب انظار العالم بروعته الفنية ومزاياه الاقتصادية ، وما اتصل به من نوع سياسية ، وهو مشروع بناء السد العالى ، ذلك المشروع الذى تعلقت به آمال أمتنا فى تدعيم نهضتنا الحاضرة وفى توفـير الرغد والرخاء لاجيالها المقبلة .

ومن مزايا هذا المشروع انه يوزع الخير العميم على البلاد .. ماء يسقى الزرع ويحيى الارض من الموت ، وكهرباء تقيم الصناعة الجبارة وتنشر اسباب العمران .

ومشروع السد العالى يهدف الى حجز ٣٢ مليون متر مكعب من المياه ، سنويا عن طريق انشاء خزان هائل يمتد مسافة ٧٣٩ ميلا مربعا ليمكن مصر من أن تضيف الى اراضيها المروية زهاء مليونى فدان ؛ ومن أن تزيد من دوراتهـا الزراعية ؛ فتستغنى نهائيا عن نظام رى الحياض كما أن وفرة المياه تساعد على استصـــلاح الاراضى البور وزراعتها وبالتالى تزيد من محصولاتنا الزراعية . هذا فضلا عن انه ينبنى على توفر المياه زيادة الاراضى المنزرعة أرزا فيصبـــح الارز فى المرتبة الثانية بعد القطن فى محصولاتنا التى تصـــدر الى الخارج بعد كفاية الاستهلاك المحلى . وهذا معنــــاه زيادة النشاط التجارى وزيادة صادراتنا مما يجعل الميزان الحسابى للصادرات والواردات فى صالحنا .

كما ان اقامة السد العالى تفيد فى توليد الطاقة الكهربائية التى تساعد على السير قدما فى طريق التصنيع فضلا عن استغلالها فى اضاءة المدن بالكهرباء ولا شك ان هذا سيكون وسيلة قوية للتطور السريع للامكانيات الاقتصادية للبلاد لرفع مستوى معيشة الشعب.

ومشروع السد العالى بهذه المثابة يمثل مستقبل مصر ومستقبل الثورة التحريرية المصرية .

ولما كانت تكاليف بناء السد العالى اكبر من ان تتحملها ميزانيتنا لذلك فقد طلبنا من البنك الدولى قرضاً لتمويل المشروع ، وقد زار مستر بلاك مدير البنك الدولى القاهرة فى آخر يونيه سنة ١٩٥٦ وقابل الرئيس جمال عبد الناصر ووزير المالية ، واعترف فى هذه الاجتماعات بقدرة مصر على سداد القروض التى تحتاج اليها لتمويل مشروع السد العالى .

وفى ٩ من يوليو سنة ١٩٥٦ تلقى الدكتور القيسونى وزير المالية خطابا من الدكتور بلاك مدير البنك الدولى يؤكد فيه عزم البنك على تمويل مشروع السد العالى واتخاذ الخطوات النهائية لتنفيذه .

غير انه بعد ذلك بعشرة ايام فقط أى فى ١٩ من يوليو سنة ١٩٥٦ ، استدعى المستر جون فوستر دالاس وزير الخارجية الامريكية الى مكتبه فى الوزارة السيد/احمد حسين سفير مصر فى واشنطن وسلمه كتابا تعلن فيه الحكومة الامريكية انها سحبت عرضها بالمساهمة بمبلغ ٥٦ مليون جنيه لتمويل مشروع السد العالى . وكان السبب الذى تذرعت به امريكا فى احجامها عن تنفيذ وعدها بتمويل المشروع ان مصر لم توافق على التعديلات المقترح ادخالها على المشروع وعلى شكوك امريكا فى قدرة مصر على توفير مبلغ السبعمائة مليون دولار الذى كان بمثابة حصة مصر فى تكاليف المشروع . كما تعللت

الحكومة الامريكية بأن هناك تطورات اقتصادية حدثت في مصرخلال السبعة أشهر الاخيرة دفعتها الى سحب العرض ٠

وفى الواقع كان هذا مغالطة من أمريكا ذلك ان مصر كانت قد قبلت معظم الشروط الامريكية ٠ وبالمقارنة بين الاحداث يبين ان خطاب مستر بلاك ليس وحده الدليل على أن انسحاب أمريكا تختفى وراءه أغراض سياسية لا اغراض اقتصادية بل ان المحادثات دارت فى واشنطن فى ديسمبر سنة ١٩٥٥ بين الجانبين المصرى والامريكى بشأن تمويل السد العالى ثم محادثات القاهرة في فبراير سنة ١٩٥٦ ثم زيارة مستر بلاك للقاهرة فى يونية سنة ١٩٥٦ ، كل هذه الاحداث اعترف فيها الجانب الامريكى بقدرة مصر على سداد القروض التى تحتاج اليها لتمويل المشروع ٠ ولكن بين يوم وليلة ، ولغرض فى نفس يعقوب ، وهى أغراض استعمارية ؛ وليست اقتصادية سحبت أمريكا عرضها لتمويل المشروع ٠

وكان معروفا فى ذلك الوقت ان مصر اشترت شحنات متزايدة الاهمية من الدول الشرقية ، فقد علم أنها فى شهر ابريل سنة ١٩٥٦ ــ أى بعد اجراء المحادثات المشار اليها التى تمت فى ديسمبر عام ١٩٥٥ وفى فبراير عام ١٩٥٦ ــ قايضت قطنا بمبلغ ٢٠٠ مليون دولار بعدد من طائرات ميج ١٥ وميج ١٧ التشيكوسلوفاكية الصنع ودبابات ستالين الثقيلة ٠

كما أن نشر الميزانية المصرية فى ٩ يوليو كشف الستار عن أن مخصصات الدفاع الوطنى قد زادت من ١٨ الى ٢٥ فى المائة من مجموع اعتمادات الميزانية ٠ أن مصر خصصت عام ١٩٥٧ مبلغ ٥٤ مليون جنيه للتسلح ومليونين و٩٠٠ ألف جنيه للسد العالى ، ولذلك فان الخبراء الاقتصاديين فى وزارة الخارجية الامريكية حكموا ــ خطأ ــ بأن مصر ستقصر عن تقديم حصتها فى مشروع السد العالى ٠

وكان هذا الرأى يخالف رأى البنك الدولى الذى كان قد توصل يوم ١٢ يوليو سنة ١٩٥٦ مع سفير مصر فى واشنطن الى اتفاق لم يكن ينقصه الا التوقيع عندما اعلن مستر دالاس وزير خارجية امريكا نبأ سحب العروض الامريكية لتمويل المشروع ٠

ولا جدال فى أن الاسباب الحقيقية لسحب القرض الامريكى هو أن مستر دالاس كره ان يرى السفن الروسية تفرغ فى الاسكندرية طائرات ميج ١٥ وكره اكثر ماسمعه من ان السفارة الروسية قد زادت عدد موظفيها من ٤٠ الى ١٥٠ موظفا ومن أن الفنيين الروس يتدفقون على مصر ٠ وهذا معناه - فى نظرهم - أن جمال عبد الناصر بشراء الاسلحة الروسية قد سمح لروسيا أن تتخطى بقفزة واحدة الحزام الشمالى الذى أقامته بريطانيا من دول حلف بغداد ، وبذلك استطاعت للمرة الاولى فى التاريخ أن تلعب دورا فعالا فى الشرق الاوسط ٠

وقد كتب الدكتور جارلاند هوبكنز نائب رئيس جمعية أصدقاء الشرق الاوسط مقالا فى احدى الصحف جاء فيه أن تراجع امريكا عن تمويل مشروع السد العالى يعد خطيئة تاريخية تعادل القرار الامريكى بتأييد تقسيم فلسطين وخلق اسرائيل ٠

هذا هو موقف أمريكا من تمويل مشروع السد العالى الذى أعلنته فى ١٩ من يوليو سنة ١٩٥٦ وفى اليوم التالى أى فى ٢٠ من يوليو سنة ١٩٥٦ أبلغ هارولد كاشيا الوكيل الدائم لوزارة الخارجية البريطانية السفير المصرى فى لندن بأن بريطانيا كذلك قررت أن تسحب القرض الذى كانت ستدفعه الى مصر ومقداره ١٥ مليون جنيه تقريبا لتمويل مشروع السد العالى ٠

وكان هذا القرار تمشيا مع سياسة الولايات المتحدة الامريكية وسيرا فى نفس الاتجاه ٠ على أن الواقع هو ان هذا

الاتجاه انما يمثل السياسة الاستعمارية ذلك اننا عندما طلبنا القروض لبناء السد العالى وعدنا الاستعمار بأنه سيعطينا القروض ولكنه لم يكن يعني ما يقول . لقد قال ايدن رئيس وزراء بريطانيا وقتئذ في مذكراته انه وعدنا بالقروض لبناء السد العالى ولكنه كان ينوى الا يعطينا جنيها واحدا حتى لا نتمكن من بناء السد العالى .. هذا هو الاستعمار ، وتلك هي أساليبه .

وفى مساء يوم ٢٠ من يوليو سنة ١٩٥٦ أعلن مدير البنك الدولى بوجين بلاك أنه نظرا للقرار الانجلو أمريكى لم يعد يستطيع البنك أن يقرض مصر مبلغ المائتى دولار التى وعدها به منذ أسبوع سابق .

وفى هذه الاثناء عرضت روسيا أن تمول هى مشروع السد العالى ولكن العرض الروسى جاء غامضا . وفى ٢١ من يوليو سنة ١٩٥٦ أعلن شبيلوف الوزير الروسى ان روسيا لا تدرس فى الوقت الحاضر مسألة تمويلها مشروع السد العالى .

وهكذا تبلورت الاوضاع ، وتبين ان مصر يجب أن تعتمد على نفسها .

ولقد استقبل الرئيس جمال عبد الناصر القرار الانجلو أمريكى وقرار البنك الدولى بهدوء واتزان .. بينما كانت الدوائر البريطانية تتوقع أن يرد الرئيس جمال عبد الناصر على القرار بسرعة وبحدة . وكان رئيس وزراء بريطانيا انطونى ايدن على اتصال مستمر مع الحكومة الامريكية حول السياسة التى ستسير عليها الدولتان أمريكا وبريطانيا فى حالة قبول مصر للعرض الروسى بتمويل مشروع السد العالى .

ولكن الرئيس جمال عبد الناصر ألقى خطابا فى ٢٤ من يوليو سنة ١٩٥٦ فى الاحتفال بافتتاح خط أنابيب البترول بين السويس

والقاهرة أعلن فيه أمام العالم ، وعلى مسمع من أمريكا وبريطانيا : « موتوا بغيظكم .. لن تستطيعوا أن تتحكموا فينا . أصـــــدروا البيانات من واشنطن ، واكذبـــوا من واشنطن ، أن اقتصـــادنا سليم ، وانتاجنا زاد بنســـبة ٢٠٪ عام ١٩٥٥ وزاد ١٦٪ عامى ١٩٥٤/٥٢ . اننا لن نمـــكن أى مستعمر منا ولن يسيطر مستبد لا سياسيا ولا عسكريا ولا اقتصاديا ، لن نمكن للقوة ولا للدولار».

ان سياستنا التى أعلنها السيد الرئيس عبد الناصر هى اننا نسالم من يسالمنا ونعادى من يعادينا . سننتجه الى سياسة تنبـــع من مصر لا من لندن ولا من واشنطن ولا من روسيا ، لن نقبـــل تعاونا على حساب كرامتنا .

وأعلنهـا الرئيس صرخة مدوية فى آذان العـالم المتمـدن .. اننا رفضنا أن نبيع أنفسنـا بسبعين مليون دولار كمعونة لتمويل مشروع السد العالى ، لان هذا يتنافى مع سيادتنا واستقلالنا .

لقد تخلت امريكا وانجلترا عن تمويل مشروع بناء السد العالى ولكننا حكومة وشعبا قد آمنا بفوائد السد العالى ، لذلك عـــقدنا العزم على اتمام هذا المشروع الضخم معتمدين على اقتصادنا القومى وعلى سواعد رجالنا .

وجدير بنا ونحن بصدد الكلام عن مشروع بناء السد العالى وعروض الدول لتمويله وموقفها من الحكومة المصرية أن نشير الى أنه فى شهر اغسطس سنة ١٩٥٦ عرضت روسيا تمويل السد العالى دون قيد أو شرط . ولقد كانت الحكومة المصرية قد اتجهت ارادتها الى تمويل السد العالى من دخل قناة السويس الذى كان يوزع على حملة الاسهم . تلك القناة التى صدر القانون رقم ٢٨٥ سنة ١٩٥٦ بتأميم الشركة التى كانت تتولى ادارتها .

غير ان الحـــكومة المصرية تبينت أن العـرض الروسى يحقق الاغراض التى تهدف اليها . واستمرت الابحاث الفنية والمفاوضات

حول مشروع القرض حتى تم فى شهر ديسمبر من عام ١٩٥٨، توقيع الاتفاق الاول فى شأن قيام اتحاد الجمهوريات السوفيتية الاشتراكية بتقديم المعونة الاقتصادية والفنية للجمهورية العربية المتحدة ، لبناء المرحلة الاولى لمشروع السد العالى . وقد تم ابرام الاتفاق بدافع من العلاقات الودية بين الجانبين ، ومن الرغبة فى توطيد التعاون الاقتصادى والفنى بينهما ، وعلى أساس من المساواة والاحترام الكامل للكرامة والسيادة القومية وعدم التدخل فى الشئون الداخلية والتعايش السلمى بين الدول رغم اختلاف أنظمتها الاقتصادية والاجتماعية .

وفى ٢ مارس سنة ١٩٦٠ تم تبادل وثائق التصديق على اتفاق المعونة الاقتصادية والفنية المقدمة من اتحاد الجمهوريات السوفيتية الاشتراكية الى الجمهورية العربية المتحدة لاتمام مشروع السد العالى بأسوان فى وضعه النهائى والموقع فى ٢٧ أغسطس سنة ١٩٦٠ فى مدينة موسكو .

ولقد دلت الفترة التى مرت بين توقيع الاتفاقين على ما يسود الجانبين من حسن التفاهم وصدق التعاون والحرص الكامل على اتمام المشروع وفقا للبرامج المرسومة ؛ وفى المواعيد المقررة .

وهكذا تم توقيع الاتفاق الثانى تأييدا لنفس الدوافع التى قام عليها الاتفاق الاول وتوكيدا لهذه الاسس .

وباذن الله سيرتفع السد العالى لاقصى ذروته ، وسيظل آية من آيات ثورتنا المجيدة ؛ ورمزا لبطولة قائدنا المظفر ، وعنوانا للتعاون الصادق المستمر فى سبيل الحرية ؛ واشاعة الرخاء ؛ وتوطيد السلام .

« ٤ »

تأميم الشركة العالمية لقناة السويس البحرية

ان القافلة تسير .. وعجلة الزمن ماضية فى طريقها، وحكومة الثورة دائبة على القيام بمشروعات الانتاج والتصنيع لرفع مستوى الشعب وهى ماضية فى سبيل تحقيق أهدافها . فبعد أن حققت الاستقلال السياسى والاستقلال العسكرى وتم جلاء المستعمر عن أراضينا ؛ اتجهت نحو تحقيق الاستقلال الاقتصادى ونادت بالحرية الاقتصادية الحقيقية .

ان حرية الاقتصاد كما يفهمها الاستعمار واعوان الاستعمار هى أن يسيطر الاستعمار باقتصاده على ثروات البلاد الطبيعية وتسيطر معه فئة قليلة لا تمثل أكثر من ٥ ٪ من السكان . اما الـ ٩٥ ٪ من السكان فيكونوا عملاء اجراء لخدمة اقتصاد الاستعمار وأعوان الاستعمار .

أما حرية الاقتصاد فى رأى حكومة الثورة فهى حرية الشعب فى أن يجعل اقتصاده وطنيا قوميا لا الحرية للاستعمار ولا لاعوانه ولا للاستغلال حتى لا يسيطروا عليه اقتصاديا . هى حرية الشعب فى أن يقيم المصانع ويقيم السدود ؛ وفى أن يجمع الاموال ليبنى وليضع خطة للتنمية الاقتصادية وينفذها . وهذا هو الاقتصاد الموجه اى توجيه الاقتصاد لخدمة الامة ولخدمة الشعب وفقا لمصالحه ومصالح ابنائه ، لا لخدمة الاستعمار ولخدمة الاستغلال ؛ ولا لخدمة الرأسمالية العالمية . ان حكومة الثورة تبنى المصانع ليشتغل فيها العمال من أبناء الشعب وتقيم السدود والمزارع حتى يزيد انتاجنا الزراعى ، وتريد أن تكون تجارتنا لبضائعنا الوطنية التى ننتجها فى بلادنا .

اننا عندما طلبنا تمويل مشروع السد العالى لم نكن نستجدى الاستعمار ، ولم نكن ننوى التفريط فى حقوقنا أو فى سيادتنا او استقلالنا ؛ وانما كنا نرمى الى التعاون ولـــكن ليس على حساب كرامتنا أو حريتنا ، ان سياستنا عدم الانحياز لا الى كتلة شرقية ولا الى كتلة غربية ، وانما تنبع سياستنا من ضمير الشعب ومن بلدنا ، لذلك فانه عندما رفض الاستعمار تمويل السد العالى ؛ وكنا قد اقتنعنا بفائدة المشروع ومزاياه العديدة لخدمة الاقتصـــاد الوطنى ، فقد عقدنا العزم على تنفيذ المشروع معتمدين على اقتصادنا القومى .

ولقد نبتت فكرة أوحت بها روح الوطنية الصادقة ، وما فى نفوسنا من غصة من عهود الاحتلال ، وما قاسيناه من الاستغــــلال الاجنبى .

ان الشركة العالمية لقناة السويس البحرية هى شركة مساهمة مصرية تخضع لجميع القوانين المصرية ، لا فرق فى ذلك بينها وبين أى شركة مصرية أخرى ، والدخـــل السنوى لشركة قنـــاة السويس يبلغ ١٠٠ مليون دولار فلماذا لا نأخذه لانفسنا بدل أن يدخل فى جيوب المساهمين من الاجانب ؛ لم لا نعمل على اعادة الحق المغتصب الى أصحابه . لم لا نبنى السد العالى من دخل القناة ؟؟ يا لها من فكرة عظيمة أملتها الوطنية الصميمة حتى تضع بذلك نهـــــاية للاستغلال الاجنبى .

وفى ٦ من يوليو سنة ١٩٥٦ ونحن نستقبل العام الخامس للثورة ، وكما خرج فاروق فى ٢٦ من يوليو سنة ١٩٥٢ خـــروج الاستغلال الاجنبى بتأميم شركة قناة السويس فى نفس اليوم حتى لا تكون هناك سيـــادة فى أرض مصر الا لشعب مصر ، وهكذا انتهت امتيازات تلك الشركة التى كانت تعتبر نفسهـــــــا دولة مستقلة داخل الدولة .

وأعلن السيد الرئيس جمال عبد الناصر اننا « **سنتجه قدما** الى الامام متحدين متكاتفين ، شعبا واحدا يؤمن **بنفسه : ويؤمن** بوطنه ؛ ويؤمن بقوته ؛ شعبا واحدا آلى على نفسه **منذ سنة١٩٥٢** ان يعمل ويزحف زحفا مقدسا نحو البناء ، **ونحو التصنيع ونحو** الانشاء ؛ شعبا واحدا كتلة واحدة متراصة تقف **ضــــد الغدر** والعدوان ، تقف ضــــد الاستعمـــار وأعوان **الاستعمار وألاعيب** الاستعمار » .

ولقد صدر فى ٢٦ من يوليو سنة ١٩٥٦ **القانون رقم ٢٨٥** سنة ١٩٥٦ بتأميم الشركة العــالمية لقناة **السويس البحرية وينص** فى مادته الاولى على مايأتى :

مادة ١ ــ تؤمم الشركة العــالمية لقنــــاة **السويس البحرية** (شركة مساهمة مصرية) وتنتقل الى الدولة **جميع ما لها منأموال** وحقوق وما عليها من التزامات وتحل جميع **الهيئات واللجان القائمة** حاليا على ادارتها .

ويعوض المساهمون وحملة حصص التأسيس **عما يملكونه** من أسهم وحصص بقيمتها مقدرة بحسب سعر **الاقفال السابق** على تاريخ العمل بهذا القانون فى بورصة الاوراق **المالية بباريس** .

ويتم دفع هذا التعويض بعد اتمام استلام **الدولة لجميعأموال** وممتلكات الشركة المؤممة .

مادة ٢ ــ يتولى ادارة مرفقالمرور بقناة **السويس هيئـــــة** مستقلة تكون لها الشخصية الاعتبارية ، وتلحق **بوزارة التجارة** .

مادة ٣ ــ تجمد أموال الشركة المؤممة وحقوقها **فى جمهورية** مصر وفى الخارج ويحظر على البنوك والهيئات **والافراد التصرففى** تلك الاموال بأى وجه من الوجوه أو صرف اى **مبــالغ او اداء أية**

مطالبات أو مستحقات عليها الا بقرار من الهيئة المنصوص عليها في المادة الثانية .

مادة٤ — تحتفظ الهيئة بجميع موظفي الشركة المؤممة ومستخدميها وعمالها الحاليين ، وعليهم الاستمرار في اداء أعمالهم، ولا يجوز لاي منهم ترك عمله أو التخلي عنه بأي وجه من الوجوه أو لاي سبب من الاسباب الا باذن من الهيئة المنصوص عليها في المادة الثانية .

وقد نشر القانون في الوقائع المصرية في نفس التاريخ . وأنزل العلم الفرنسي من فوق مبنى الشركة في بور سعيد ورفع العلم المصري وهكذا خرج الاستغلال الاجنبي لقنال السويس واستردت مصر حقوقها في القناة ووضعت السلطات المصرية يدها على ممتلكات شركة قناة السويس في القاهرة والاسماعيلية وبور سعيد .

لقد بلغ دخل شركة قناة السويس في عام ١٩٥٥ ٣٥ مليون جنيه أي حوالي ١٠٠ مليون دولار ؛ وكانت مصر تأخذ مليون جنيه فقط، أي ثلاثة ملايين دولار من دخل شركة قناة السويس المصرية. ولكن بعد أن تم تأميم الشركة المذكورة فقد أعلنها السيد الرئيس جمال عبد الناصر صرخة مدوية — لقد اصبح دخل الشركة لنا ؛ كان مغتصبا وعاد الينا — لقد استردت مصر حقها في القناة لانها آمنت بهذا الحق وستبني من هذا الدخل الكبير السد العالي ، سد العزة والكرامة ولن نستدين من أحد ؛ او نطلب معونة الدولة ؛ ولم يتحكم فينا مستعمر او يتدخل فيشئوننا غريب عنأراضينا.
عندما نشأت فكرة حفر القناة اردنا ان تكون القناة لمصر لا مصر للقناة ؛ ولكن ما الذي حدث ؟ وكيف تغير وجه التاريخ ؟ وكيف اتخذ منها المستعمر تكئة ليتدخل في شئوننا الداخلية

والمالية ؛ ويبسط نفوذه وارادته علينا ؛ مستغلا مواردنا منتقصا من سيادتنا وكرامتنا .

لنرجع الى ذلك التاريخ البعيد .. ولنتحدث التـــاريخ .. في يوم ٧ نوفمبر سنـــة ١٨٥٤ حضر دلسبس الى مصر وقابل الخـديو سعيد باشا وعرض عليه مشروع حفر قناة السويس واغراه بما سيكون لمصر من مركز استراتيجي مرموق وما سيعود عليهـا من فوائد نتيجة حفر القناة . وفى ٣٠ نوفمبر سنة ١٨٥٤ حصــــل على امتياز حفر القناة وقد نص على ما يأتي :

« حيث ان صديقنا مسيو فردناند دلسبس قد لفت نظـرنا الى الفوائد التى تعود على مصر من توصيل البحر الابيض المتوسط بالبحر الاحمر بواسطة طريق البواخر وأخبــرنا عن تكوين شركة لهذا الغرض من أصاب رءوس الاموال فقد قبلنا الفكرة التي عرضها علينا واعطيناه بموجب هذا تفويضا بانشاء ادارة شركة بحفـــر قناة السويس لاستغلال القناة بين البحرين » .

وهكذا حصل فرناند دلسبس على امتياز حفر القناة لتسيير البواخر فى الطريق بين البحر الابيض المتوسط والبحر الاحمـر وفى سنة ١٨٥٦ صدر فرمان وتكونت الشركة وكان نصيب مصر ٤٤ ٪ من اسهم الشركة والتزمت بالتزامات ؛ لدلسبس الذى كون شركة خاصة ليس لها صلة بأى حكومة من الحكومات وليس لهـا غرض السيطرة او الاحتلال ، وليست ذيلا من ذيول الاستعمار .

ثم جاءت بعـد ذلك مرحلة تنفيذ المشروع وشق قناة السويس لتخدم الملاحة البحرية ، وفى المدة من عام ١٨٥٩ حتى عام ١٨٦٤ سخر المصريون دون أجر أو شكر لحفر القناة ـ ستون الفـا من المصريين كانوا يخصصون شهريا لهذه الخدمة فى وقت لم يجاوز

فيه تعداد جميع المصريين الاربعة ملايين ـ ولقد مات من هـؤلاء العمال تحت الانهيارات الرملية ما يزيد على المائة ألف دون دفع أى تعويض عنهم او جزاء . كمـا قامت الجهود المصرية فى كل من ترسانة القاهرة وترسانة الاسكندرية باعداد المشروعات اللازمة لاكمال حفر القناة ، ووضعت جميع وسائل النقل البرى والنهرى فى خدمة الشركة بالمجان ومنحتها الحكومة جميع الاراضى والمناجم اللازمة .

ولم تكتف الحكومة المصرية بذلك بل ساهمت مساهمة جبارة فى تمويل عمليات حفر القناة ؛ فلقـد بدأت الشركة برأس مال لا يجاوز النصف مليون من الجنيهات ؛ بينما تكلف انشاء القناة ما يزيد على الستة عشر مليونا وتحملت مصر بهذا الفرق جميعه . ثم لم تستطع الشركة الحصول على تمويل خارجي ببيع أسهمها فى الاسواق الدولية ، فتدخلت الحكومة انقاذا للموقف مشترية لهـذه الاسهم حتى يمكن للشركة أن تستكمل رأس مالها وحتى بعد مضى أربع سنوات ونصف من أعمال الحفر والانشاء وقبل أن يتم افتتاح القناة بستة أشهر فقط توقفت الشركة فى يأس ينـذر باشـهار افلاسها فسارعت الحكومة المصرية الى معاونتها بمليون وربع مليون من الجنيهات مقابل تنـازل الشركة للحكومة عن بعض المبانى تنازلا اسميا ، اذ ظلت هذه المبانى فعلاقى حيازتها ومقابل تنازل الشركة عن بعض اعفائها الجمركى تنازلا مؤقتاعادت الى التمتع به ،ولمتكتف الشركة بذلك بل تحت ستار التعويض عن المحاولات التى قام بهـا بعض حكام مصر لتعديل جانب من الشروط المهنية فى عقدالالتزام، استولت الشركة على جانب كبير من الاموال المصرية فتقاضت عند الغاء سخرة العمال المصريين ووقف هذا الامتهان للانسانيـة مبلغ ثمانية وثلاثين مليونا من الفرنكات الذهبية ثم تقاضت ثلاثين مليونا أخرى لقيام الحكومة باسترداد بعض الاراضى الصحراوية الزائدةعن

حاجة المرفق فضلا عن ستة عشر مليونا لتكملة التعويض الجائزالذى قرر نابليون الثـالث أن يحكم به على مصر لصالح الشركة ، وهكذا تكون الشركة تحت ستار هذه المزاعم التعويضية وحدها قدحصلت من الحكومة المصرية على مايعادل ثلاثة ملايين وثلث من الجنيهــات المصرية أى ماكان يقرب من نصف رأس مالها .

وبهذه الجهود المصرية أمكن لمشروع قناة السويس أن يشــق طريقــه الى النور وأن ينجح هــذا المرفق فى أداء دوره فى خــدمة الملاحة البحرية ، ولو اقتصر الامر على الجهود الاجنبية وحدها لفشل المشروع كمــا فشل مثيل له من بعد ترتب عليــه الحكم بالسجن على صاحب المشروع وهو فرديناند دى ليسبس نفسه !

ان الشركة العالمية لقناة السويس البحرية شركة مســاهمة مصرية تخضع لجميع القوانين المصرية لا فرق فى ذلك بينها وبين أية شركة مصرية أخرى ، فهى تستمد كيانها من الفرمان الصــادر فى ١٩ مارس سنة ١٨٦٦ بالتصديق على العقد المبرم فى ٢٢ فبراير سنة ١٨٦٦ بين فرديناند دى ليسبس ووالى مصر وتنص الفقرة الاولى من المادة السادسة عشرة من الاتفاق المذكور على مايأتى :

« بما أن الشركة العالمية لقناة السويس البحرية هى شركة مصرية فهى خاضعة لقوانين البلاد وعاداتها » .

كما تضمنت اتفاقية سنة ١٨٨٨ نصوص الامتياز بطريقةأوفى، وأكدت حرية المرور فى القناة المنصوص عنها فى المادة ١٣ من فرمان سنة ١٩٥٦ عند منح الشركة امتياز ادارة القناة لمدة محدودة . وقد قدمت مصر كل مافى وسعها حتى تضمن أن تظل القناة مفتوحة أمام الملاحة الدولية وهو عهدحافظت عليه مصر حتى الآن .

وبالرغم من أن شركة قناة السويس شركة مصرية الا أن تخاذل

الحكومات المصرية وضعفها ووجود الاحتلال جاثما فوق أرضنا جعل هذه الشركة وكأنها دولة مستقلة داخل الدولة التى ترزح تحت نير الاحتلال ، ولم تخضع أبدا هذه الشركة لقوانين البلاد .

ومرت السنون الطوال ولم تستفد مصر من حفر القناة أو تسيير البواخر شيئا . لقد كلفت الحكومة المصرية حفل افتتاح القناة أيام الخديو اسماعيل مبلغ ستة عشر مليونا من الجنيهات . وارتبكت مصر ماليا وتدخلت الدول للاشراف على ميزانية الحكومة المصرية . وشلت أيدينا عن ادارة أموالنا . وسيطرت الدول على سياستنا الاقتصادية . وكانت النتيجة أن باعت الحكومة المصرية نصيبها فى الاسهم وهو ١٧٧٦٤٢ سهما سدادا لديونها فاشترتها الحكومة الانجليزية بمبلغ أربعة ملايين من الجنيهات . وهذه الاسهم التى بعناها بأربعة ملايين من الجنيهات ونحن مضطرين ومغلوبين على أمرنا تقدر قيمتها حاليا بمبلغ ٣٢ مليونا من الجنيهات . هذه صورة واضحة للظلم الذى تحملناه والاستغلال الاجنبى الذى قاسينا منه .

وليس هذا هو كل شيء ، بل لقد كانت ديوننا التى تحملناها فى سبيل انجاز هذا المشروع وافتتاح القناة نتيجتها احتلال أرضنا الغالية ، ذلك الاحتلال الذى قاسينا منه أربعا وسبعون عاما حتى تخلصنا منه والى غير رجعة على يد بطل الجلاء الرئيس جمال عبد الناصر .

لقد كانت منطقة السويس على مدى التاريخ ميدانا هاما للتجارة الدولية وتقوم شركة قناة السويس على استغلال مرفق المرور بقناة السويس وذلك العمل يعتبر مرفقا عاما وثيق الصلة بالكيان الاقتصادى والسياسى لمصر وهى انما تقوم بهذا الاستغلال نيابة عن الحكومة المصرية بمقتضى الامتياز الموضح بالفرمانين الصادرين فى ٣٠ نوفمبر سنة ١٩٥٤ و ٥ من يناير سنة ١٨٥٦ وما تلاهما من فرمانات

أخرى منها الفرمان الصادر فى ١٩ مارس سنة ١٨٦٦ بالتصديق على العقد المبرم فى ٢٢ فبراير سنة ١٨٦٦ بين والى مصر ومسيو فرديناند دى لسبس ، فالشركة فى قيامها بهذا العمل ليست صاحبة الحق الاصيل المسلم دائما بأنه للحكومة المصرية اذ من المعترف به أن المرافق العامة انما تدار مباشرة من الدولة أو بالواسطة بطريق الامتياز ، وأن من حق الدولة دائما أن تسترد هذا الامتياز باعتباره منحة منها سواء أورد فى هذا الشأن نص صريح فى عقد الامتياز أو لم يرد أو أن المصلحة العامة وحدها التى تجعل الدولة تختار الوسيلة التى تحقق أكبر قسط من المصلحة العامة ، اذ أن العلاقة بين مانح الالتزام ومستغله انما تبنى على قواعد القانون الادارى وهو فرع من القانون العام .

ان الشركة العالمية لقناة السويس البحرية كانت مفتاح الاحتلال واحتمت بالاستعمار وتناست وضعها وكانت تصرفاتها ومراسلاتها مع الحكومة المصرية مجافية لما يجب أن يكون عليه الأمر مع مانح الالتزام وصاحب حق الاشراف عليه ، كما غفلت الشركة عن الوفاء بكثير من الالتزامات الواجبة عليها .

ولقد كان من بين الالتزامات الرئيسية التى تخلفت الشركة عن الوفاء بها التزامها بتحويل بحيرة التمساح الى ميناء داخلى صالح لاستقبال أكبر السفن حمولة كما يقضى بذلك صك التزامها ، وهو ماكان يستتبع أن تقوم الشركة باستكمال اعداد القناة نفسها من بورسعيد الى السويس بحيث تكون دائما صالحة لمرور أكبر السفن حمولة وهو مالم يتحقق .

والى جانب ذلك فقد أهملت الشركة ، وهى القائمة على ادارة ميناء بورسعيد — فى اعداد هذا الميناء العالمى لمسايرة احتياجات التجارة العابرة ، فرغم أهمية هذا الميناء من الناحية التجارية ، لاتوجد به

أرصفة ترسو السفن ولا زالت اجراءات الشحن والتفريغ تتم في عرض البحر وفقا لأساليب عتيقة مما يحمل التجارة نفقات باهظة أدت الى تخلف الميناء عما كان ينتظرها من تقدم وازدهار بحكم موقفها الممتاز فضلا عن اهمالها القيام بمشروعات التوسع اللازمة لحسن أداء المرفق للغرض الذى أقيم من أجله ·

وهذه الاسباب وحدها كافية لتأميم الشركة العالمية لقنـــاة السويس البحرية واسترداد المرفق القومى الهـام من يدها لادارته ادارة مباشرة ولم يكن الامر يعدو مجرد اختيار الوقت المناسب لهذه الخطوة الحاسمة نحو التحرر الاقتصادى ·

هذه هي لمحة سريعة عن قناة السويس التى صدر قرار رئيس الجمهورية فى ٢٦ يوليو سنة ١٩٥٦ بتأميم الشركة التى أعطينـاها امتياز حفر القناة والتى تولت ادارتها منذ حفر القنـــاة حتى ذلك التاريخ · وكانت هذه الخطوة من جانب رئيسنا المحبـــوب جمـال عبد الناصر ضربة معلم · لقد ظن الاستعمار أنه يستطيع أن يسيطر على سياستنا الاقتصادية أو يعطل مشروعاتنا التى عقدنا العزم على اتمامها لمجرد أنه رفض أن يقدم لنا المعونة التى وعد بهـــا لتمويل مشروع السد العالى ·

وبعد تأميم شركة القناة ــ شركة مساهمة مصرية ــ استردت مصر حقها فى القناة وأعلن الرئيس جمال عبد الناصر فى الوقت ذاته ، اننا سنبنى السد العالى من دخل القناة ولن نستدين من أحد أو نطلب معونة من الدول ، واننا لن نقبل أن يتحكم فينا مستعمر أو يتدخل فى شئوننا غريب عن أراضينا ·

(٥)

وجهة نظر مصر والعالم فى التأميم

لقد أممت مصر الشركة العالمية لقناة السويس وهى شركة مصرية تخضع للقوانين المصرية طبقا لنص المادة السادسة عشرة من اتفاقية ٢٢ فبراير سنة ١٨٦٦ كما نصت المادة الثامنة من الاتفاق البريطانى المصرى سنة ١٩٥٤ أن القناة جزء لا يتجزأ من مصر .

ان شركة القناة المؤممة شركة مصرية منحت امتياز تكوينها من الحكومة المصرية وذلك لمدى ٩٩ عاما . وكل مافعلته مصر أنها أممت الشركة قبل حلول الميعاد المحدد لانتهاء امتيازها وهذا عمل من أعمال السيادة التى تباشرها الدولة فى اقليمها وهو من صميم شئونها الداخلية .

والواضح أن مصر لم تتخذ أى قرار يخالف التزاماتها الدولية واستمر عبور البواخر فى القناة كما كان فلم تمنع باخرة واحدة من العبور ولم يصدر أى قرار فصل ضد أى عامل يؤدى عمله بدقة وأمانة فى شركة القناة .

هذه هى باجمال وايجاز وجهة نظر مصر فى تأميم شركة قناة السويس وقد أعلن الشعب المصرى بمختلف طبقاته وهيئاته تأييده لقرار التأميم وأعلن الرئيس جمال عبد الناصر اننا نعرف ما لنا وما علينا بعد أن حصلنا على سيادتنا واننا فى سبيل تثبيت هذه السيادة سنكافح كفاحا مستمرا بعد أن أعلن هذا الكفاح شعب مصر جميعه . ان شعب مصر أعلن الكفاح من أجل الحرية ومن أجل السيادة الحقيقية لا السيادة الزائفة . من أجل العزة الحقيقية سنكافح لآخر قطرة من دمائنا ولن نمكن أى مغتصب من أن يسلبنا حقوقنا لاننا سنحافظ عليها .

ان القناة كانت دائما ملكا لمصر وهى اليوم أيضا ملك لمصرولن تفرط فيها مطلقا بأى طريق من الطرق وبأى سبيل من السبل ٠ ان القناة لم تكن فى حماية شركة وانما كانت دائما فى حماية مصر ، ولم يحدث فى هذا الصدد أى تغيير ٠ وانما التغيير الذى حدث ان القناة كانت تديرها شركة مستغلة مغتصبة تمتص دماء مصر ٠ لقد ظهر الاستعمار على حقيقته وكشف عن أطماعه تخلت عنه جميع الحقوق الا حق القرصنة وحق الاغتصاب ٠ ولن نمكن انجلترا أو أى دولة ان تتحكم فى شئوننا ، وسندافع عن حريتنا واستقلالنا ٠

ان حكومة بريطانيا كانت تعلم أكثر من غيرها ان شركة قناة السويس شركة مصرية ولقد اعترفت بهذه الحقيقة ودافعت عن وجهة النظر هذه أمام المحاكم المختلطة ٠ اذ قررت أن شركة قناةالسويس هى شخصية قانونية طبقا للقانون المصرى وجنسيتها وشخصيتها مصرية بحتة ، ولذلك فهى تخضع للقانون المصرى ٠ ولماكانت الشركة قد سميت بشركة قناة السويس البحرية الدولية فان هذه التسمية ليست لها أهمية قانونية ولا يمكن أن تغير من طبيعة الشركة بوصفها شركة مصرية ٠ ولا شك فى أن هذه التسمية لايمكن أن تحرم الشركة من جنسيتها المصرية ٠ والشركة مصرية طبقا لمبادىء القانون الموضوعة وخصوصا طبقا للقانون الدولى والمبادىء التى قامت عليها الشركة ٠ والشركة مصرية لانها منحت امتياز استغلال رؤوس الاموال المصرية ولأن المركز القانونى لها يقع فى مصر ٠

ولقد أكد الزعيم العمالى أنورين بيفان حق الرئيس عبدالناصر فى تأميم شركة قناة السويس وكتب فى صحيفة « تربيون » يقول انا كل الدول الاسيوية تؤيد مصر فى هذا العمل ، ولا حاجة الى القول بأن الاشتراكيين فى كل مكان ، يؤيدونها أيضا ٠

وقد تلقى نقيب المحامين السوريين الدكتور عدنان القوتلى

رسالة من المستر بريت عضو المجلس الخاص للكة انجلترا ورئيس رابطة رجال القانون فى بريطانيا تضمنت ملخصا للبيان الذىاذاعته الرابطة ٠

وقد جاء فى البيان المذكور أن تأميم القناة من صميم الحقوق الدولية وان ضمان حرية الملاحة مسألة لا علاقة لها بالتأميم وان اتفاقية سنة ١٨٨٨ تعطى مصر حق الاشراف على القناة ٠

وأعلن المجلس المركزى لاتحاد نقابات العمال فى روسياتأييده لموقف مصر فى مسألة القناة واستنكاره لمحاولات الضغط العسكرى والاقتصادى ومعارضته الشديدة لاتحاد مستخدمى القناة — وهو الاتحاد الذىكانت تسعى بريطانيا الىتكوينه من الدولالمنتفعة بالقناة ووصف المجلس انشاء هذا الاتحاد بأنه محاولة سافرة لبسطالنفوذ الاستعمارى تحت اسم جديد فى منطقة الشرق الاوسط والادنى ٠ وأعلن المجلس أن كل محاولة ترمى الى التدخل فى الشئون الداخلية لمصر ستلقى مقاومة شديدة من جميع الذين يعملون لصالح السلام وأمن الأمم ، اذ أن تأميم قناة السويس التى بناها المصريون على أرض مصرية هو عمل قانونى قامت به مصر ٠

كما قرر زعماء الاحرار فى مؤتمرهم التاسع الدولى المنعقد فى روما الاحتجاج على اقامة نظام دولى لادارة قناة السويس — وهو المشروع الذى كانتتطالب بريطانيا بالموافقة عليه ووضعه موضع التنفيذ — وكان يشترك فى هذا المؤتمر ١٥٠ مندوبا يمثلون أحزاب الاحرار فى ١٧ دولة ٠

وبعكس هذا الرأى الذى أعلنه الاحرار صرح الرئيسايزنهاور رئيس جمهورية الولايات المتحدة الامريكية وقتئذ بأن قناة السويس ممر دولى طبقا لاتفاقية سنة ١٨٨٨

وقد احتجت الحكومة المصرية على هذا التصريح ذلك ان اتفاقية ٢٢ فبراير سنة ١٨٦٦ نصت على أن شركة قناة السويس شركة مصرية تخضع لقوانين البلاد • ونصت على أن الحكومةالمصريةستتولى ادارة القناة بعد انتهاء الامتياز • واتفاقية ٢٩ أكتوبر سنة ١٨٨٨ خاصة بحرية الملاحة فى القناة وقد سبق أن أعلنت مصر احترامها لهذه الاتفاقية • كما نصت المادة الثانية من الاتفاقية المصرية البريطانية الموقعة فى ١٩ يونيو سنة ١٩٥٤ على أن قناة السويس البحرية جزء لايتجزأ من مصر •

وصرح الرئيس ايزنهاور بعد ذلك بأيام بأن تأميم القناة لايعرض العالم للخطر وأعلن الرئيس الامريكي أن موقف بلاده من الأزمة الناتجة عن قرار تأميم قناة السويس ينحصر فى التأكد من أن الملاحة فيها ستظل حقا لجميع الدول على الرغم من استيلاء مصر عليها وان الازمة المترتبة على تأميم القناة أزمة دولية يجب أن تعالج بعناية شديدة •

وكان هذا الرأى يتضمن فى الوقت ذاته ردا على مزاعم بريطانيا وفرنسا بأن الاجراء الذى اتخذته الحكومة المصرية بتأميم قناة السويس يهدد حرية وأمن القناة ويعرض السلام الدولى للخطر •

وكانت وزارة الخارجية البريطانية قد احتجت على تأميم قناة السويس لكن وزارة الخارجية المصرية رفضت استلام الاحتجاج •

وأعلن المستر أيدن رئيس وزراء بريطانيا أن تدويل القناة مسألة حياة أو موت لبريطانيا وان انجلترا لاتستطيع أن تترك عبد الناصر يتحكم فى حياتها •

بينما أيد نهرو رئيس وزراء الهند تأميم القناة لان القناة جزء من مصر وتقع فى أرض مصر ، وكل مافعلته مصر هو تقديم تاريخ تسلم القناة •

وقد أعترفت شركات الملاحة في جميع أنحاء العالم بأن مصر احترمت حرية الملاحة منذ تأميم قناة السويس ٠

وكان موقف أمريكا يميل الى تأييد وجهة نظر بريطانيا فقد صرح مستر دالاس وزير خارجية أمريكا فى أوائل أكتوبر سنة ١٩٥٦ بأن مصر استولت على القناة لتمارس الضغط الاقتصادى على الدول الكبرى ٠ وأن ظروف استيلاء مصر على القناة توحى بأنها تحاول اثبات عظمتها وممارسة الضغط الاقتصادى والحصول على جزية من الدول الاخرى ٠ وقال ان هناك دولا كثيرة تعد قناةالسويس بالنسبة لها شريانا حيويا ولذلك يجب ألا يكون هناك تمييز صريح أو غير صريح فى حرية المرور بالقناة طبقا لاتفاقية سنة ١٨٨٨ السارية المفعول الى أجل غير مسمى وقال ان هناك اتجاها قويا ضد استخدام القوة لتصحيح الموقف وان العالم يعيش تحت ظل الحرب ، وقد يستمر تهديد الحرب وقتا طويلا ٠

أما الاتحاد السوفييتى فقد أعلن خروشتشيف الرجل الاول هناك فى خطاب له ان تأميم قناة السويس عمل من حق حكومة ذات سيادة مثل الحكومة المصرية أن تقدم عليه ٠ وان الاتحاد السوفييتى يعتقد أن سياسة الضغط على مصر سياسة خاطئة ، كما ان التسرع والخشونة فى علاج هذه المسألة قد يؤديان الى الحاق الضرر بمصالح الدول الغربية فى هذه المنطقة ٠ وان قرار التأميم فى حدذاته لايؤثر على مصالح شعوب بريطانيا وفرنسا وأمريكا والدول الاخرى ٠

وقرر خروشتشيف حقيقة واقعة وهى أن التأميم لاينطوى على أى أجراء غير مشروع ، وان قناة السويس تقع فى أراض مصرية وقد حفرت بأيدى سكان مصر ولكنها لم تكن فى أيدى المصريين ، وقد تغيرت الظروف ونحن نعيش اليوم فى عهد ثبت فيه أن العلاقات التى قامت على أساس الغزو والاحتلال قد فشلت فى اخضاع الشعوب

الاخرى . ان الشعوب المستعمرة تقوم الآن بتحرير نفســـــها من الاستبداد الاستعماري وهى تنادى الآن بحقوقها .

ان هذه الصرخة المدوية واعلان هذه الحقيقة الواضحة من جانب روسيا وتأييد سياستنا وحقنا فى تأميم شركة القناة من جانبغالبية الدول كان كفيلا لو وجد آذانا صاغية متفهمة للحقائق ، ان تهدىء النفوس الثائرة فى انجلترا وفرنســـا ، ولكن الروح الاستعمارية مازالت تسيطر على حكامهم ولا يعرف المنطق الســـليم طريقـــه اليهم .

لقد أسقط فى يد المستعمر ، وكان لاعلان قرار التأميم دوى هائل وترامت الانبـــاء بأن هــــذا القرار الخطير كان مفاجأة لدول الاستعمار وانه خطوة خطيرة وجريئة . ووضع ان الاستعمار يتحفز ليقاوم سياستنا الحرة المستقلة ، وحاول أن يجعل من التأميممشكلة سياسية حول حرية الملاحة فى القناة وقدمت انجـلترا احتجاجا الى الحكومة المصرية بشأن قرار التأميم ولكن الرئيس جمال عبد الناصر أعلنها حربا قوية صريحة — وهو الذى لم يعتد وهو يقود جبهةوطنية متحدة متكاتفة من أبناء الشعب ضد الاستغلال والتدخل — ان يرجع فى قراره ، لذلك أعلن فى خطاب له فى يوم ٢٨ يوليو سنة ١٩٥٦ ان مصر ستقابل العدوان بالعدوان والاساءة بالاســـاءة . وقال ان انجلترا وفرنسا تحاولان قلب مسألة التأميم من موضوع داخلى هو تأميم شركة مصرية الى مشكلة سياسية حول حرية الملاحة فى القناة، ان شركة قناة السويس شركة مساهمة مصرية تخضعللسيادةالمصرية وتأميمها عمل من أعمال السيادة ، ونحن أحرار فى شركاتنا ، وليس من حق انجلترا التدخل فى شئوننا .

وأكد الرئيس أن الملاحة فى القناة قد انتظمت فى الثمـــانى والاربعين ساعة الماضية من وقت التأميم . وان مصر ستحافظعلىحرية

الملاحة وأن تدخل بريطانيا وفرنسا سيكون سببا فى تعطيل الملاحة فى القناة بسبب مناوراتهما وتدخلهما .

ان شعب مصر سيحافظ على استقلاله وحريته وسيادته الى آخر قطرة من دمه . ان الضجة التى قامت دون سند أو حق لايسندها الا أساليب الاستعمار والا التعود على امتصاص الدماء واغتصاب الحقوق ، ولا يسندها الا التدخل فى شئون الدول الأخرى .

لقد كان من الممكن أن تقتنع انجلترا وفرنسابهذاالمنطقالسليم المعقول ولكنهما لاتفكران بعقلية سليمة وانما تسيطر عليهما الافكار الاستعمارية والرغبة فى التدخل فى شئون الدول الاخرى . وكانت غلطة بريطانيا انها لم تفرق بين مصر قبل الثورة وبعد قيام الثورة بقيادة الابطال الاحرار . ولم تفرق بين مصر فى عهد الاحتلال وبين مصر بعد الجلاء وبعد أن أصبحت حرة مستقلة ذات سيادة ، ولم تفرق بين مصر وحكامها من الاتراك وبين مصر وحكامها مصريونلحما ودما لم يفرقوا بين العهود السابقة على الثورة عندما كانتالبلدمفضل سياستهم الاستعمارية شيعا وأحزابا متفرقة ، وبين ما اصبحت فيه بعد الثورة من جبهة وطنية متكاتفة من أبناء الشعب تستتر وراء الحاكم المصرى الذى قادها الى بر السلامة وخلصها من الاستعمار البغيض ومن المحتل الغاصب ، ومن سيطرة الاقطاع ورأس المال فى الداخل .

اننا عندما صدر قرار التأميم كنا نباشر سلطاتنا فى داخل بلدنا ونقوم بعمل من أعمال سيادتنا داخل اقليمنا ولكن الاستعمار كان يرغب فى التدخل فى سياستنا الداخلية ويدس أنفه فى أمر من

حتميم اختصاصنا ، فى الوقت الذى أعلنا فى صراحة مدوية ان سياستنا تنبع من ضميرنا ، ولن نسمح لاحد بأن يتدخل فى شئوننا الداخلية أو الخارجية ، اننا دولة ذات سيادة تعتز بحريتها وكرامتها وسنحافظ على حريتها وكيانها الى آخر قطرة من دماء أبنائها البررة المخلصين •

نحن دعاة سلام ولكننا لن نقف مكتوفى الايدى أمام أى اعتداء على حريتنا أو أى تصرف يمس عزتنا وقوميتنا وكرامتنا •

(٦)

الاسباب الحقيقية للعدوان ومراحله

لقد وضح ان الاستعمار لم يحاول أن يتمشى مع المنطق السليم المعقول ويقتنع بأن تأميم شركة القناة انما هو عمل من أعمال السيادة وأن تأميم الشركات المصرية انما هو من أخص شئوننا الداخلية وان الاجراء الذى اتخذته لايعرض السلام العالمى للخطر لان مصر هى التى كانت تحمى الملاحة فى القناة وظلت كذلك بعد صدور قرار التأميم .

ولم يكن الامر يحتاج الى مزيد من الحجج لاقناع الاستعمار لان بريطانيا نفسها كانت تعلم ان شركة القناة شركة مساهمة مصرية وانها تخضع للقوانين المصرية وللسيادة المصرية ، وقد أبدت وجهة النظر هذه فى مذكراتها التى قدمتها للمحاكم المختلطة كما سبق البيان .

فالمسألة اذن ليست خلافا حول الرأى القانونى بشأن تأميم القناة وليست حرصا على حرية الملاحة فى القناة ، لان مصر هى التى كانت دائما تحمى الملاحة فى القناة وقد تعهدت بالمحافظة على حرية الملاحة بعد التأميم ،وقد نفذت الحكومة المصرية وعدها واستمرت الملاحة فى االقناة حرة ومن ثم لم يكن هناك مبرر قانونى يسوغ للدول التدخل فى شأن تأميم القناة ، أو قلب مسألة التأميم من موضوع داخلى هو تأميم شركة مصرية الى مشكلة سياسية حول حرية الملاحة فى القناة .

ان اثارة هذه المشكلة السياسية والاعتداء على حقوق مصر

وسيادتها على اقليمها لم يكن الغرض منه المحافظة على القناة أوضمان حرية الملاحة فيها لان الحكومة المصرية كانت تحمى القناةوكانت حرية الملاحة فيها مكفولة • وانما العدوان بسبب تأميم القنـــاة كانت له أسباب ودوافع لاتمت الى حرية الملاحة فى القناة بأية صلة•انالروح الاستعمارية هى التى أملت التدخل فى شـــؤون مصر والاعتـــداء عليها •

لقد عاش الاستعمار بيننا أربعة وسبعين عاما وهى ســـنوات الاحتلال البغيض وكان يسيطر على سياسة البلاد الداخليةوالخارجية يولى الوزارات ويعزلها ، وكانت ايماءة من المندوب السامى أوالسفير البريطانى بعد ذلك تكفى لهدم مايبنيه المخلصون من أبناء الوطن ، واتبعوا سياسة القوة مع شعب أعزل مسالم ، واتبعوا سياسة فرق تسد مع شعب تفشى فيه الجهل بفضل سياستهم •

وفى ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ قامت ثورة الجيش وكانت ثورةعلى الفساد والطغيان • وكانت ثورة سياسية اجتماعية • ثورةسياسية تسعى الى تحقيق الاستقلال والتخلص من الاستعمار •

وفى ١٩ أكتوبر سنة ١٩٥٤ تم توقيع اتفاقية الجلاء بين مصر وبريطانيا وقد نص فيها على أن يتم انسحاب القوات البريطانيـــة من مصر خلال عشرين شهرا •

وفى صباح يوم ١٣ يونية سنة ١٩٥٦ تم الجـــلاء وخرج آخر جندى بريطانى من ارض الوطن وانتهى عهد الاحتلال ورفع العلم المصرى عاليـــا خفاقا على مبنى البحرية فى القنال لاول مرة منـــذ ٧٤ عاما •

ونادت حكومة الثورة بالحرية الاقتصادية ، الحرية فى أن نقيم المصانع وأن ننتج من السلع مانحتاج اليه للاستهلاك المحلى ونصدر

ما يفيض عن حاجتنا . وكان الاستعمار يجد في هذه الدعوة لبنــاء اقتصاد وطني قومي قضاء على أسواقه التي يصرف فيها بضائعه والتي كان محتكرا لها . هذا فضلا عن ان الاستعمار يسره دائما ان يجد الدول الصغيرة في حاجة الى منتجاته وبضائعه وانها لا تستطيع ان تكفي نفسها اكتفاء ذاتيا . لذلك فان طريق الحرية الاقتصادية الذي سلكناه قد أثار حفيظة الاستعمار وجعله يحقد علينا ثم كــان من اسباب العدوان علينا .

والذي حدث اننا تعاملنا مع دول اخرى غير بريطانيا التي كانت تعتبرنا من الاسواق التي تصرف فيها بضائعها . فلما طلبنا منها اسلحة رفضت بيعها لنا في الوقت الذي كانت تبيعهــا لعدونا اسرائيل لذلك طلبنا السلاح من روسيا واشترت مصر شحنات متزايدة الاهمية من الدول الشرقية وقايضنا قطننا بمبلغ ٢٠٠ مليون دولار بعدد من طائرات ميج ١٥ وميج ١٧ ، التشــيكوسلوفاكية الصنع ودبابات ستالين الثقيلة ، وكان هذا اجراء طبيعيا لاننــا نجد الى جوارنا عدوا رابضا على حدودنا متحفزا دائما للهجوم فكان طبيعيا ان نستعد له وان نسلح انفسنا ، فاذا أعوزنا السلاح وضن به علينا الغرب طلبناه من الشرق دون ان يكون في هذا انحيازا الى الكتلة الشرقية ، لاننا اعلنا سياستنا واضحة وهي لا تبعية ولا استعمار ولا انحياز الى كتلة شرقية أو كتلة غربية ، وبادينا بالحياد الايجابي ،نسالم من يسالمنا ونعادي من يعادينا وهي سياسة واضحة كل الوضوح .

ولكن تصرفنا هذا أثار بريطانيا فان وزير خارجيتها عند ما تكلم في جلسة مجلس الامن المنعقدة في ٢٦ سبتمبر سنة ١٩٥٦ بشأن أزمة القناة اقحم صفقة الاسلحة التي تمت في سبتمبر سنة ١٩٥٥ وقال انه يعتبر هذه الصفقة اولى الخطوات الكبرى في سلسلة الاحداث فيما يتعلق بالموقف الحالي .

وفى نفس اليوم الذى اعلن فيه الرئيس جمال عبد الناصر تأميم شركة قناة السويس اعلن ان الشعب السورى يريد ان يتحد مع شعب مصر اتحادا حرا سليما لندعم سويا مبادىء العزةوالكرامة ونرسى سويا القومية العربية والوحدة العربية ٠

ولقد ارتفعت الاصوات فى الدول العربية تطالب بالوحـــدة كما وضعت قواعد الوحدة الاقتصادية بين دول الجامعة العربية ٠ ان مؤامرات الاستعمار وتهديده باستعمال القوة ليس سببه تأميم قناة السويس وانما سببه الاول القومية العربية التى ظهرت فجأة كمارد جبار فى الشرق الاوسط يحاول تحرير الشرق كله من الاستعمار، وينادى ببطلان المعاهدات القائمة بين بريطانيا والامارات الشرقية والغربية ٠ ولذلك تحاول دول الاستعمار التفرقة بين الدول العربية لتوطيد أقدامها فى شمال أفريقيا ، وفى امارات شبه الجزيرة العربية المليئة بالبترول ٠

وقد أثارت سياسة الرئيس جمال عبد الناصر شعوب آســيا وافريقيا ٠٠ ففى جاكارتا حذت اندونيسيا حذو القاهرة وأنـكرت الديون المصطنعة التى قيدتها بها هولندا يوم كانت تحتلها وتمص خيراتها ٠

وفى دمشق طلب نواب البرلمان السورى الى جميع الاقطـار العربية أن تؤمم شركات البترول الواقعة فى أراضيها ٠

وهكذا بدا للمرة الاولى أن مصالح الغرب الاستعمارية فى بلاد الشرق الاوسط تعانى الخطر ٠

لقد بدأ الاستعمار يفتش عن منفـــذ فى البلاد العربية لاعادة سيادته ونفوذه بعد ان أخذ ظله يتقلص ، وليقضى على قوميتناالعربية ويستعيد نفوذه القديم ٠ وان أزمة القناة هى حجة الغرب التىيريد

بها استعادة نفوذه ليضرب القـــومية العربية التى أصبح يخشى نفوذها ونموها •

وقد أيقن العرب أن تضامنهم معناه سد عال ضد الاستعمار، لذلك كانت لهم دائما سياسة موحدة فى جميع المشاكل التى تعرض لهم حتى يكونوا قوة موحدة ضد الاستعمار • فلما أثار الاستعمار أزمة القناة اجتمع الاقطاب الثلاثة الملك سعود ملك المملكة العربية السعودية والرئيس شكرى القوتلى رئيس جمهورية سوريا والرئيس جمال عبد الناصر رئيس جمهورية مصر فى الدمام والرياض خلال الفترة من ٢٢ سبتمبر سنة ١٩٥٦ الى ٢٤ سبتمبر ســنة ١٩٥٦ لبحث مشكلة القناة وقرروا أن المشكلة وما أحاط بها من ظـروف وملابسات تعنى البلاد العربية جميعا • وان الوسيلة الوحيدةلضمان مصالح الذين يهمهم أمر الملاحة فى القناة هى الدخول فى مفاوضة مع مصر صاحبة هذه القناة تمشيا مع روح ميثاق الامم المتحـدة وقرارات باندونج •

كما بحث الاقطاب الثلاثة فى اجتماعاتهم الموقف ازاء اسرائيل واتفقوا على رسم الخطط الحاسمة لدعم الامن العربى ودفع الخطـــر الاسرائيلى ، واستكمال احكام الخطة العربية التى تم وضعهـــا فى مؤتمر القاهرة السابق حتى يمكن متابعة تنفيذها فى عزم واصرار•

وقد بات واضحا ان التضامن بين الدول العربية قد بلـــــغ مداه ، وانالقومية العربية يزيد الايمان بها وتدعيمها على مر الايام، وان الوحدة العربية أصبحت حقيقة واقعة بالنسبة لبعض الـــدول وأصبحت وشيكة التحقيق بالنسبة لباقى الدول العربية وان الدول العربية يتشاور رؤساؤها فيما يعن لهم من مشاكل سياسية •

ولا جـــدال فى أن الاستعمار وأعوانه لا يريدون للقـــومية

العربية أو الوحدة العربية أن تظهر وأن توضع موضع التنفيذ لأن وجود الدول العربية صفاً واحداً ، أو رأياً واحداً يشكل قوة تقف في وجه الاستعمار .

لذلك استغل الاستعمار واعوان الاستعمار ما أسموه أزمة القناة للتدخل فى شئون العرب لاستعادة نفوذه وسيطرته على الدول العربية .

ولما كان الاستعمار قد لاحظ ان الرئيس جمال عبد الناصر يتمتع بقوة شعبية فى بلاده ، ويتمتع بحب واعجاب الشعوب العربية وانه رجل جرىء وشجاع ومؤمن بعروبته ومقتنع بفكرة القومية العربية وسياسته تسعى الى تدعيم القومية العربية ونشر الوحدة العربية بين الدول العربية ، لذلك كان هدف الاستعمار الاول هو ضرب سياسة عبد الناصر ضربة قوية ، فاختار الاستعمار مشكلة القناة ليقاوم سياسة عبد الناصر ويسعى الى تحطيم كبريائه واذا اقتضى الامر احتلال القناة والعودة الى احتلال مصر ذاتها وخلع جمال عبد الناصر ! ان الاستعمار يكره الشخصيات الوطنية الجريئة ولا يجد له حياة الا مع ضعيفى الايمان بالوطنية وبشعوبهم وبحقهم فى الحياة الحرة الكريمة .

هذه هى أسباب العدوان على مصر فى عام ١٩٥٦ .

ولم يكن العدوان المسلح على أرضنا الغالية هو ما وقع ضدنا من عدوان ، بل لقد مر العدوان بمراحل مختلفة وظهر فى عدة صور ، فكان أول اجراء اتخذه الاستعمار ضدنا هو الاعتداء على اقتصادنا وهو ما يسمى بالحصار الاقتصادى .

ثم كان العدوان على حرية الملاحة فى قناة السويس ومحاولة عرقلتها وتعطيلها وذلك عن طريق التآمر مع المرشدين الاجانب لينفذ بذلك سياسته فى السيطرة على قناة السويس .

وجاء بعد ذلك التهديد باستخدام القوة العسكرية وكان فى هذا الاجراء محاولة للضغط على سياستنا الخارجية لنتخذ من الاستعمار سياسة أكثر ملاءمة • ولا يخفى ما فى هذا الاجراء من اعتداء على كرامتنا بمحاولة اشعارنا بضعفنا وعدم قدرتنا على الوقوف أمام الاستعمار •

وأعقب ذلك العدوان السياسي وذلك بعقد المؤتمرات فى لندن ودعوة الدول الصديقة للاستعمار أو التابعة له أو التى يستطيع أن يفرض سياسته عليها أو يطمع فى معاونتها له ، وهو يرمى من وراء ذلك الى أن يجمع حوله رأيا عاما دوليا يخدم سياسته ويشد أزره فى موقفه ويظهر بمظهر صاحب الحق المعتدى عليه !! •

وكانت الخطوة التالية شكوى الاستعمار ضدنا الى مجلس الامن محاولا اظهارنا بمظهر المعتدين الذين يهددون السلام العالمى بتصرفاتهم ، وكان يأمل أن يستطيع تأليب الدول الصديقة ضدنا، وحرماننا من عطف الدول على قضيتنا • وأخيرا جاء دور العدوان المسلح على أراضينا بعد أن فشل الاستعمار فى أن ينجح فى تحقيق رغباته فى مراحل العدوان المختلفة •

وسنتولى فيما يلى من صفحات الكلام بالتفصيل عن كل مرحلة من مراحل العدوان على حدة :

١ ـ الحصار الاقتصادى •

٢ ـ التآمر مع المرشدين الاجانب لعرقلة الملاحة •

٣ ـ التهديد باستخدام القوة العسكرية •

٤ ـ مؤتمر لندن ومشروع تدويل القناة وجمعية المنتفعين بالقناة •

٥ ـ شكوى بريطانيا الى مجلس الامن وعرض مشكلة القناة على المجلس •

٦ ــ العدوان المسلح على أرض الوطن ٠

وهذه المرحلة من مراحل العدوان تشمل القتال وكفاح شعب بور سعيد ضد القوات المعتدية وعرض النزاع على مجلس الامن ثم على الجمعية العامة للامم المتحدة والانذار الروسى ٠

ولا يبقى بعد ذلك الا أن نسجل انتصارنا على العدوان ونستعرض نتائج المعركة ٠٠

الحصار الاقتصادى

لقد أممنا قناة السويس ، وباشرنا بذلك عملا من أعمـــال السيادة فى اقليمنا ، اذ أممنا شركة مساهمة مصرية تخضـــع للقوانين المصرية ولم يكن هـــذا المنطق السليم ليخفى على فطنة المستعمر ولكن الروح الاستعمارية أبت علينا أن نتخذ قرارا خطيرا كقرار التأميم دون أن نرجع الى انجلترا سيدة البحار لنستمد منها المشورة والرأى ، ونطلب الاذن بتأميم قناتنا !! مع اننا سبق أن أعلنا فى وضوح اننا نتبع سياسة تنبع من ضميرنا ٠٠ ضميـــر الشعب المصرى ، وينطق بها وينفذها حكامه المخلصين :

نسيت انجلترا كل هـــذا ولم تفكر الا بعقلية الاســتعمار فأصدرت وزارة المالية البريطانية فى ٢٨ يولية ســنة ١٩٥٦ قرارا بتجميد الارصدة الاسترلينية والاموال المصرية فى بريطانيا ، كمـا أصدرت قرارا بتجميد ممتلكات شركة قناة السويس فى بريطانيا٠

وكان الغرض من هذه الترتيبات الجديدة منـــع المصريين من الحصول على ممتلكات شركة القنـــاة فى بريطانيا ووضـــع أموال المصريين الاسترلينية فى بريطانيا تحت رقابة النقد البريطانية ٠

وقررت وزارة المالية البريطانية ان القرارين الخاصين بالتجميد يعتبرأن ساريين منذ يوم ٢٧ يوليو سنة ١٩٥٦ أى عقب اعـــلان قانون التأميم ٠

وقد صرح سيرانتونى ايدن رئيس وزراء بريطانيا بأنه كخطوة أولى فى باب الاجراءات التى اتخذت ضـــد مصر جمدت الارصدة المصرية وأخرجت مصر من نطاق الاحترليينى فى التعامل وأصـــبح رصيد مصر من الاسترلينى خاضعا لاوامر السلطات البريطانية ٠

كان قرار تجميد الارصـــدة المصرية اذا خطوة أولى وقـــد استعملت بريطانيا سياسة الضغط الاقتصادى حتى نرجـــع عن قرار التأميم ٠

وقد صرح دكتور ايفان زعيم المعـارضة الاسترالية بأن حزب العمال البريطانى يعارض فرض العقوبات الاقتصادية لانها نوع من الحرب ، بل انها شر من الحرب وأقسى منها ، وان الرأى العـــام يعارض بالاجماع استخدام القوة ضد مصر لانها تتعارض تمـــام المعارضة مع ميثاق الامم المتحدة ٠

وهكذا اتخذت بريطانيا أول خطوة فى سبيل العدوان ضـــد مصر لانها باشرت عملا من أعمال السيادة فى اقليمها وأممت شركة مصرية هى شركة قناة السويس ٠

وقد اتخذت فرنسا فى اليوم التالى لاعـلان الاجراء الانجليزى اجراء مماثلا فقررت اخضاع الاموال المصرية فى فرنســـا لرقابة النقد المركزية هناك ٠

وفى ٣١ يوليو سنة ١٩٥٦ أذاعت وزارة المـــالية الامريكية أنها وضعت تحت الرقابة المؤقتة كل الاموال الموجودة فى الولايات المتحدة لحساب الحكومة المصرية وشركة قناة السويس فلا يتصرف فيها الا بترخيص خاص ٠

ولم تكن هذه القرارات مفاجأة لمصر بل لقد اتخذت مصر جميع الاجراءات لمواجهة قرار تجميد الاموال المصرية فى بريطانيا وفرنسا٠ ووضعت مصر الخطة الاقتصادية الكاملة لمواجهة هذا الموقف قبـــل صـــدور قرار التأميم لان سياسة مصر أصبحت ترتكز على أسس سليمة وليست سياسة أرتجالية ٠

وقد ردت وزارة المـــالية المصرية على تعليمات وزارة المـــالية

البريطانية التي صدرت في ٢٨ يوليو سنة ١٩٥٦ الى البنـــوك الانجليزية وتقضي بعدم استخدام الاسترليني المملوك للمقيمين في مصر الا بعد الحصول على ترخيص من رقابة النقد في المملكة المتحدة ـ بأن هذا القرار يتناقض مع الاتفاقيات النقدية المعقودة مع المملكة المتحدة سنة ١٩٥١ والمعدلة في سنة ١٩٥٥ ولا سند له من الناحية القانونية العامة . فضلا عن أن هذا الاجراء الذي اتخـــذته وزارة المالية البريطانية يجافي مبادىء القانون الدولي ويتضمن اخـــلالا بالثقة المالية المشروعة ، ويتنافى مع سمعة سوق لندن التي تعمـل جاهدة لاستعادتها كمركز مالي دولي ويمكن للاقتصاد المصري بفضل السياسة النقدية المستقلة التي اتبعتها مصر في السنوات الاخـيرة وبفضل احتياطاتنا الكبيرة من ذهب وعملات أجنبية أخرى وبفضـل ما عقدناه من اتفاقيات تجارية ودفع مع معظم الـدول ذات الاهمية في معامـلاتنا التجارية أن نواجه بثبات واطمئنان الاجراء التعسفي الذي عمدت اليه الحكومة البريطانية .

ولقد كان الغرض من خطوات تجميد الارصـــدة الاسترلينية وتجميدنا ما تملكه مصر من دولارات أو فرنكات سويسرية بالولايات المتحدة أو فرنسا فرض حصار اقتصـــادي على مصر وهي تبغى من وراء ذلك أن ترجع مصر عن المضي فيما عـــزمت عليه بقرار تأميم القنـــاة .

والى جانب هذه الاجراءات فقد حاولت بعض البنوك الموجودة في مصر ـ أما بسـبب صعوبة حصولهـا على تمويل من المراكز الرئيسية بالخارج ، واما بسبب الجو السياسي الموجود ـ أن تعرقل تمويل محصول القطن المصري . يضاف الى ذلك أن أسـعار التأمين على البواخر التي تمر بالقناة أو التي تفرغ أو تشحن البضائـــع بالموانى المصرية قد ارتفعت بنسبة كبيرة فبعد أن كانت ٢ شلن لكل ١٠٠ جنيه ارتفعت الى ٧ شلن عن كل ١٠٠ جنيه أي بنسبة ٣٥٠٪

وهذه الزيادة لا شك كبيرة وأخيرا فان سعر الشحن البحرى بين أوروبا الغربية والشرق الاقصى عن طريق القناة قد رفع أيضا بنسبة ١٥٪ . وكان المقصود من كل هذه الاعمال سواء رفع أسعار الشحن أو رفع أسعار التأمين أو عرقلة تمويل محصول القطن أو تجميد الارصدة الاسترلينية بطبيعة الحال مضايقة مصر من الناحية الاقتصادية ومحاولة فرض حصار اقتصادى عليها .

وبالنسبة للارصدة المجمدة سواء الارصدة الاسترلينية أو أرصدة الفرنكات الفرنسية أو الدولارات لم تكن تجارتنا الخارجية فى الماضى ـ أى قبل ٢٦ يوليو سنة ١٩٥٦ ـ تعتمد عليها اعتمادا مذكورا ، بل كان معظم اعتمادنا فى الماضى على اتفاقيات الدفع التى عقدناها مع الدول المختلفة وعلى العلاقات الطيبة بالدول المختلفة .

وهذه الاتفاقات كانت معقودة اما بالجنيه المصرى ، واما بعملات مختلفة غير الاسترلينى والدولار وبالتالى فان فرض التجميد على العملات الاسترلينية والدولارية والفرنسية لم تتأثر به تجارتنا الخارجية تأثيرا ملحوظا .

يضاف الى ذلك أن مصر عندها من الاحتياطات الذهبية ما يكفيها سنوات عديدة ولم يحدث عجز فى الواردات بسبب الحصار الاقتصادى الذى تحاول بعض الدول أن تفرضه على مصر .

وقد عملت الحكومة المصرية منذ تاريخ هذا الحصار على أن تكون ، احتياطيات حرة من العملات المختلفة الحرة التى لم تفرض حكوماتها التجميد على أرصدة مصر ونجحنا بفضل الله وعونه فى هذه المحاولات وتراكمت لدينا احتياطيات كثيرة من العملات الاجنبية

أما فى المجال الداخلى فعندما حاولت بعض البنوك الإقلال من اقراض عملائها على محصول القطن ـ شجعت وزارة المالية البنوك

المصرية والبنوك العربية وبنك التسليف الزراعى على التوسع فى التسليف بكل امكانياتها ووضعت وزارة المالية تحت تصرف هذه البنوك ، ان دعت الحاجة ، جميع الاموال التى يحتاج اليها للقيام بتمويل المحصول على خير وجه ، ونتيجة لذلك لم تحدث أى صعوبة فى تمويل محصول القطن .

والى جانب ذلك فقد بحثنا عن أسواق جديدة نبيع فيها قطنا بدلا من بيعه لبريطانيا فعقدنا اتفاقات تجارية مع دول مختلفة وباعت مصر قطنها الى الهند واليابان وسويسرا وألمانيا الغربية وايطاليا ، كما شحنت مصر كميات كبيرة من القطن الى أمريكا .

وهكذا نجحت السياسة القطنية ، وازدادت حركة تداول القطن وانتقل من أيدى المنتجين الى أيدى التجار وانتعشت صادراتنا القطنية ، واستقرت السوق وتجنبت الهزات المصطنعة . لقد تم تمويل محصول القطن رغم المؤامرات الأجنبية التى كانت تريد التأثير على المحصول الرئيسى للبلاد .

وفيما يختص بالتأمين البحرى وبأسعار الشحن فان كفاءة المرشدين المصريين الذين تولوا ارشاد السفن المارة بالقناة فى ظل الادارة المصرية لقناة السويس بعد امتناع معظم المرشدين الاجانب عن أداء وظائفهم ، قد أثبتت انه لا حاجة لرفع أسعار التأمين حتى لا تتأثر تكاليف وارداتنا من الشرق الأقصى .

وقد وجدت الدول الغربية أن من مصلحتها أن تعود الى تخفيض أسعار التأمين . فعادت وخفضت أسعار التأمين من ٧ شلن الى ٤ شلن كما خفضت أسعار الشحن بـ ١٥٪ وبذلك عادت أسعار الشحن الى مستواها القديم .

وقد عملت الحكومة المصرية فى نفس الوقت على ايجاد جهات

.أخرى للتأمين أو اعادة التأمين على البواخر التى ترســـو بالموانى، المصرية حتى لا تتأثر مستقبلا بأى رفع فى أسعار التأمين الـــذى تجريه الشركات الغربية .

هذا وقد كانت الحالة الاقتصـادية فى القطر المصرى مطمئنة وتسير سيرا طبيعيا والواردات من الخارج فى ازدياد مستمر سواء من حيث الكمية أو القيمة واحتياطياتنا من النقـــد الاجنبى تتزايد باستمرار ولا تقل . وفى مجال الصادرات فان ارتباطاتنا لتصـدير القطن والارز وهما المحصولين الرئيسيين زادت عن الاعوام السابقة .

ولاجدال فى أن الاموال التى كنا نحصل عليها نتيجة للتصدير يضاف الى احتياطاتنا المتزايدة من النقد الاجنبى ، كانت تمكننا من الاستمرار فى عملية الاســـتيراد دون أى صعوبة أو توقف . وهكذا نجحت الحكومة المصرية فى القضاء على الحصار الاقتصادى . ولـم تؤثر الاجراءات الاقتصادية التى اتخذتها بريطانيا وفرنســـــا فى تجارة مصر الخارجية .ففرنسا ذاتها الى ما قبل وقوع الاعتــــداء المسلح فى ٣١ من أكتوبر ســـــنة ١٩٥٦ كانت تشترى القطن من مصر . وكانت الدول الاوربية الغربية تتسابق للتعاون مـــع مصر وتعرض تسهيلات كثيرة لتنمية التبادل التجارى وعلى رأس هـــذه الـــــدول ايطاليا وأسبانيا والبرتغال والصين الشعبية وروســـيا وتشيكوسلوفاكيا .

وقد استعدت مصر لمواجهة الغدر والحصار الاقتصادى فحولت جزءا كبيرا من معامـــلاتنا التجارية والاقتصادية للحصـــــول على احتياجاتنا سواء فى ذلك ما يلزمنا للاستهلاك العام أو للانتاج الى أسواق أخرى جديدة . وأصبحنا بذلك يمكننا الاســـتغناء استغناءا كاملا عن جميع ما كنا نستورده من انجلترا وفرنسا وفى مقـــدمة ذلك الاقمشة الصوفية والادوية والبويات .

كما تعاقدت الحكومة المصرية مع دول صديقة على جميـــــع احتياجاتنا لآجال طويلة • فقد عقدت مصر صفقتين مـــــع روسيا لاستيراد قمح للاستهلاك المحلى مقابل قطن ومنتجات زراعية مصرية، وتم الاتفاق على أن يكون الدفـــع بالجنيه المصرى وكان هـــــذا من وسائل زيادة توطيد العلاقات الودية وروابط الصداقة بين البلدين• كما تعاقدنا مع الصين الشعبية لتوريد المواد التموينية التى تحتاج اليها مصر ويتم التوريد بالجنيه المصرى وبأسعار تقــل عن الاسعار العـــالمية •

وعقدت مصر صفقات تجارية مع هولندا بمبلـــغ مليون جنيه مصرى لشراء الادوية والمواد الكيماوية والادوات الطبية مقابل قطن ومنتجات مصرية تزيد قيمتها على ٦٠٠ ألف جنيه • وهكذا اجتازت تجارة مصر الخارجية كل الازمات •

وفى ذات الوقت أوقفت الحكومة المصرية الاستيراد من الدول التى لا تتعاون مع مصر •

هذا هو ما تبعته الحـــكومة المصرية للتغلب على الحصـــار الاقتصادى فى ميدان التجارة الخارجية • أما فى الداخـــــل وفى ميدان الصناعة بالذات فان سياستنا تهدف الى الاكتفاء الذاتى • وقد عمدت الحكومة الى توجيه الانتـــاج الصناعى لســـد حاجة الاستهلاك • فبالنسبة للمنتجات المستوردة من الخـــارج كان بعض هذه المنتجات يستورد من انجلترا وفرنسا وقد حلت محلها منتجات أخرى مستوردة من دول أخرى أو مصنوعة محليـــــا • وبالنسبة للمنتجات التى تصنع محليا فلم يحدث فيها نقص بــل زاد انتاجنا وقد سعت مصر فى الانتاج المحلى لمقابلة جميـــع الاحتياجات وبذلك فتح مجال العمل أمام العمال الصناعيين وسيستمر بـــل وسيزيد مستقبلا • وفى مشروع السنوات الخمس للصناعة تأسست احدى

وعشرين صناعة جديدة تبلغ جملة رءوس أموالها ١٤ مليونا من الجنيهات وتوفر هذه الصناعات ١٢ مليون جنيه سنويا كانت مصر تستورد بها بضائع من الخارج • وتحقق هذه المشروعات الصناعية زيادة في الانتاج القومي قدره ١٣ مليون جنيه سنويا وتستوعب حوالي عشرة آلاف عامل •

وفضلا عن ذلك فانه ينبني على اتجاه سياسة الدولة نحو التصنيع زيادة الدخل القومي والنهوض السريع بالانتاج الصناعي وتحقيق الاكتفاء الذاتي فيما يمكن تصنيعه من المنتجات التي تحتاجها البلاد •

ان اقتصادياتنا لم تتأثر بالحصار الاقتصادي ولا بالعدوان المسلح لان نظامنا الاقتصادي يسير وفقا لخطط مرسومة أدت الى زيادة التبادل التجاري مع كثير من الدول وفتحت مصر أسواقا جديدة لم يسبق التعامل معها واستوردت مصر من هذه الدول ما كانت تستورده من انجلترا أو فرنسا • وعلى ذلك لم يشعر المستهلك في التجارة الداخلية بأي حرمان لان جميع السلع تزيد على حاجة الاستهلاك • ومن أجل ذلك لم تلجأ الحكومة المصرية الى أي قيد بينما اشتدت الازمات الاقتصادية في البلاد المعتدية • وعندما كانت انجلترا تقاسي من نقص البترول بسبب عدوانها علينا لم يتعرض البترول لازمة في مصر • كما ان البنزين والكيروسين توافرا في الاسواق المصرية بما يكفي حاجة الاستهلاك •

وفوق ما تقدم فقد أممنا ـ بعد قناة السويس ـ الممتلكات البريطانية والفرنسية في مصر وأممنا البنوك البريطانية والفرنسية وأممنا الشركات البريطانية والفرنسية التي كانت تحتكر جزءا كبيرا من اقتصاد بلادنا • وكانت هذه الشركات تحصل كل عام على ما يقرب من ثلاثين مليونا من الجنيهات الاسترلينية كأرباح يدفعها الشعب المصري لافراد من الانجليز والفرنسيين •

وفي ٢٧ سبتمبر سنة ١٩٥٦ صدر قرار من مراقبة النقـــد بوزارة المالية المصرية بالغاء القيود التى سبق أن فرضتها للحد من سلطة البنوك فى التعامل بالنقد الاجنبي واجراء التحاويل بـــين الحسابات غير المقيمة • وكان الهدف من اصدار هذا القرار اطلاق الحرية لتجارة مصر الخارجية وتسهيل عمليات الاستيراد والتصدير وقد اتت هذه الخطـــوة بثمراتها الطيبة فى نشاط تجـــارة مصر الخارجية •

وقد قررت وزارة المالية المصرية فى اكتوبر ســـــنة ١٩٥٦ الاحتفاظ ببعض احتياطاتها فى شكل غطاء ذهبي بدلا من العملات الاجنبية التى أصبحت خاضعة للتصرفات السياســـــية ، وأصبح التصرف فيها وخاصة الاسترليني مقيدا وخاضعا للاهواء السياسية، والذهب الذى اشترته مصر لتدعيم غطائها الذهبي انمـــا اشترته بفائض عملاتها الاجنبية الحرة اما باقى العمـــلات الحرة فتستعمله فى مشروعات التنمية ، ذلك ان الحاجة لا تدعو الى استعمال الغطاء الذهبي فى تمويل المشروعات الانتاجية فان تنفيذ هـــذه المشروعات مستمر وتوفير النقد الاجنبي اللازم لها متيسر بل متوافر أيضـــا لتمويل استيراد المواد الاستهلاكية •

هذا ولم تكتف بريطانيا بالضغط على اقتصـــادنا عن طريق تجميد الارصدة الاسترلينية التى لمصر لدى بريطانيا وانما حاولت من طريق آخر التأثير على اقتصادنا ، فانطلقت أبواقها الاستعمارية تبث سموم الدعاية بين شركات الملاحة العالمية وتحدثت عن عـــدم انتظام الملاحة فى قناة السويس ، وعدم خبرة المرشدين المصريين ، وعن الخطر الكامن فى القناة وقالت هذه الدعايات ان البواخر تمر فى القناة وأفواه المدافع مصوبة اليها : وان القناة تزدحم بالمدمرات والطرادات وزوارق الطوربيد • وقد ثبت لشركات الملاحة العالمية

التى أرسلت مندوبيها للتحقق من هذه الدعايات انها دعايات كاذبة لا أساس لها من الصحة ·

وكان الغرض الذى ترمى اليه هــذه الدعايات هو تحــويل البواخر عن المرور بقناة السويس واتخاذ بواخر الــدول المنتفعة بقناة السويس طريق سير آخر حول رأس الرجاء الصالــح · والهدف الذى كان يسعى الاستعمار الى تحقيقه لو نجحت هــذه الدعايات هو تشديد الحصار الاقتصادى على مصر وخاصة ان حياة مدن القناة تعتمد اعتمادا كبيرا على هــذه البواخر ، فمعظم سكان هذه المدن يشتغلون بالشحن والتفريغ على هذه البواخر · كمــا تعتمد معظم المحال التجارية فى بور سعيد والسويس على تصريف بضائعها وأغلبها من التحف الشرقية الى السائحين · ولذلك أرادت انجلترا وفرنسا خنق هذه المدن اقتصاديا ·

وقد اعترفت شركات الملاحة باستحالة مقاطعة قناة السويس لان الطريق حــول رأس الرجاء الصالــح ملىء بالعواصف ومعظم قباطنة السفن ليست لديهم أى خبرة بالملاحة فى هــذا الطريق · وقرر مندوبو شركات المــلاحة ان الملاحــة منتظمة وتسار بمهارة فأسرعت الشركات تعيد سفنها الى قناة السويس ·

وهكذا لم يكتب النجاح لخطة تحويل الملاحة الى رأس الرجاء الصالح وعلى ذلك لم يتأثر اقتصادنا بدعايات الاستعمار فى هــذا الصــدد ·

وكان من بين الاجراءات التى اتخذتها الحــكومة المصرية فى أعقاب العدوان الثلاثى للسير بالاقتصاد القومى فى الطريق السليم ووضع خطط موحدة للنشاط الاقتصادى للدولة · انشاء مؤسسة سميت بالمؤسسة الاقتصادية وصدر بانشائها القانون رقــم ٢٠ سنة ١٩٥٧ فى ١٤ يناير سنة ١٩٥٧ ـ ذلك ان من أهم المبــادىء

التى قام عليها الدستور تنظيم الاقتصاد القومى وفقا لخطط مرسومة تراعى فيها مبادىء العدالة الاجتماعية ، وتهدف الى تنمية الانتاج ورفع مستوى المعيشة واستخدام رأس المال فى خدمة الاقتصاد القومى ، وعدم جواز تعارض طرق استخدامه مع الخير العام للشعب ، وكذلك كفالة التوافق بين النشاط الاقتصادى العام ، والنشاط الاقتصادى الخاص تحقيقا للاهداف الاجتماعية ورخاء الشعب .

ولا شك ان من انجع الوسائل لوضع الخطط الكفيلة بتنظيم الاقتصاد القومى أن يعهد الى هيئة موحدة برسم سياسة استغلال أموال الحكومة فى النشاط الاقتصادى سواء بالاشتراك فى الشركات المساهمة أو بانشاء مؤسسات عامة اقتصادية تجارية أو صناعية وكافة الوسائل الاخرى المؤدية الى التنمية الاقتصادية للدولة وهى من أهم الوسائل لرفع مستوى المعيشة . وهذه هى الاغراض التى انشئت لتحقيقها المؤسسة الاقتصادية .

وبعد أن تم انشاء المؤسسة الاقتصادية لتحقيق الاغراض المشار اليها الى جانب مشروعات التصنيع وتأميم الشركات والبنوك وازدياد الصادرات والواردات بين مصر والدول الصديقة أصبح الاقتصاد القومى موجها لخدمة الشعب سليما قويا لا تؤثر فيه الازمات المفتعلة التى خلقها الاستعمار .

ولكن هذا لم يكن كل شىء ، فانه بعد انتهاء العدوان الثلاثى المسلح على مصر وانتصارنا على الاستعمار وجلاء المستعمر عن بور سعيد كان لابد من القضاء على آثار العدوان من الناحية الاقتصادية وقد تبلورت هذه الآثار فى المباحثات التى سبقت توقيع الاتفاقية المالية بين الجمهورية العربية وبريطانيا فى ٢٨ فبراير سنة ١٩٥٩ من الجانب المصرى فى مطلبين :

١ ـ الافراج عن الارصدة الاسترلينية المجمدة ٠
٢ ـ دفع تعويض عن الاضرار التى لحقت بمصر نتيجة للعدوان ٠

وكان للانجليز مطلبان :

١ ـ رفع الحراسة عن الممتلكات البريطانية ٠
٢ ـ تعويض عن المؤسسات البريطانية التى آلت ملكيتها الى أيدى الوطنيين ٠

وقد بدأت المباحثات بين الطرفين التى سبقت توقيع الاتفاقية المالية فى روما فى شهر مايو سنة ١٩٥٧ وكانت خاصة بمسألة التعويضات عن الخسائر لكل من البلدين وللافراج عن الارصدة الاسترلينية المجمدة لدى بريطانيا وانتهت المرحلة الاولى من هذه المباحثات وعاد كل من الوفدين لاستشارة حكومته بعد ان تمسك كل من الطرفين بالتعويضات التى يطالب بها ٠ وكان من نتيجة هذه المرحلة ان أفرجت لندن عن ستة ملايين من الجنيهات المجمدة لديها لتغطية قيمة سلع وآلات كان متعاقدا على استيرادها قبيل العدوان ٠

وفى الشهر التالى (يونيو سنة ١٩٥٧) وصلت الى الاسكندرية ثلاث بواخر تحمل بضائع من ليفربول بانجلترا لاول مرة منذ العدوان وكانت هذه البضائع قد دفع ثمنها وجمدت بعد تأميم القناة ٠

واستؤنفت المباحثات فى روما فى أواخر سنة ١٩٥٧ ثم تأجلت الى مارس سنة ١٩٥٨ حيث تقدم الجانب البريطانى بمشروع شامل من أجل تسوية كاملة تدخل فيها التعويضات للجانبين ولكن المباحثات توقفت مرة أخرى ٠

وفى نفس الشهر وصل أول فوج من السياح الانجليز الى

القاهرة وكانت شركة كوك الانجليزية للملاحة قد اتفقت مع حكومة القاهرة على تنظيم رحلات سياحية لركاب السفن الانجليزية المارة بالقناة كما بدأت فى تلك الفترة مباحثات حملة أسهم قناة السويس التى قام بالوساطة فيها مستر يوجين بلاك مدير البنك الدولى . وانتهت مباحثات قناة السويس باتفاق الطرفين ووقعها عبد الجليل العمرى محافظ البنك الاهلى فى يوليو سنة ١٩٥٨ بجنيف مع جورج بيكو رئيس مجلس شركة قناة السويس المنحلة .

وفى شهر سبتمبر سنة ١٩٥٨ استؤنفت مباحثات روما وتوسط يوجين بلاك بصفته الشخصية بناء على طلب الحكومتين المصرية والبريطانية . ووقع الاتفاق بالحروف الاولى فى ١٦ يناير سنة ١٩٥٩ .

وفى ٢٨ فبراير سنة ١٩٥٩ تم توقيع الاتفاقية المالية وقد وقعها الدكتور القيسونى نيابة عن الحكومة المصرية ومستر ايرول الوزير البريطانى عن الحكومة البريطانية ، وتتلخص أهم نصوص الاتفاق المالى فيما يلى :

« ١ — تعهدت لندن بالافراج عن أرصدة مصر الاسترلينية المجمدة ووضعها تحت تصرف حكومة الجمهورية العربية المتحدة سواء فى ذلك الخاصة بالافراد المقيمين فى مصر أو البنوك أو بالحكومة أو بالشركات » .

وهذه الارصدة تبلغ قيمتها السوقية ٧٢٫٧ مليون جنيه الا أن قيمتها الحقيقية نحو ٨٦٫٥ مليون جنيه تمثل دينا لمصر على بريطانيا . وبمقتضى اتفاق تم فى سنة ١٩٥٥ تعهدت بريطانيا بتسديد هذا الدين . وكانت قيمته فى ذلك التاريخ نحو ١٣٠مليون جنيه على أقساط سنوية قيمة كل قسط ٢٠ مليون جنيه بحيث يتم التسديد نهائيا فى سنة ١٩٦١ . وتقرر تقسيم الارصدة فى

حسابين الحساب رقم ١ وقيمته نحـو ٥٨ مليون جنيه ويفرج عنه في ٢ مارس سنة ١٩٥٩ والحساب رقم ٢ ويفـــرج عنه في أول يناير سنة ١٩٦٠ . وفي ٢٨ يوليو ســنة ١٩٥٦ قررت بريطانيا تجميد أرصدة مصر الاسترلينية وبمعنى آخـر قررت الامتناع عن تسديد الاقساط السنوية المستحقة عليها .

« ٢ ــ تعهدت القاهرة بانهاء العمل بكافة تدابير الحراسة التي اتخـذتها حكومة الجمهورية العربية المتـحدة بالنسبة للممتلكات البريطانية اعتبارا من ٣٠ أكتوبر سنة ١٩٥٦ حتى تاريخ توقيـع الاتفاق والســماح للرعايا البريطانيين بالعــودة لاخذ أمتعتهم واستئناف التعامل معهم وكذلك السماح لاصحاب هـذه الممتلكات بالعودة لتسلمها وادارتها » .

وكانت لندن تقدر قيمة هذه المؤسسات بمبلـغ ٤٠ مليون جنيه وثمن قاعدة السويس بمبلغ ٥٠ مليون جنيه ، وبذلك يكون مجموع ما طلبته لندن هو مبلغ ٩٠ مليون جنيه بخلاف المبالغ التي انفقتها في تطهير ميناء بورسعيد أثناء العدوان .

« ٣ ــ تعهدت القاهرة بدفع مبلـغ ٢٧ مليون جنيه الى لندن على أن تتـولى الحكومة البريطانية من جانبها تعويض أصحـاب المؤسسات البريطانية التي آلت ملكيتها الى المصريين » .

وقد حدد الاتفاق الممتلكات البريطانية التي آلت ملكيتها الى المصريين وهي خمسة بنوك وست شركات تأمين و ٣٨شركة صناعية وتجارية وجميع المدارس والمعاهد والاندية الانجليزية والاراضي التي كان يملكها ١٣١ بريطانيا . وليس من حق أي بريطاني أن يعـود على الحراسة طالبا تعويضا عن أي ضرر يكون قد لحق بممتلكاته . وتنازلت بريطانيا عن مطالبها في قاعدة قناة السويس .

وبمقتضى هذه الاتفاقية حصلت مصر على ٨٨ر٢٥ مليون جنيه

اذا اخذنا قاعدة السويس التى تقدر قيمتها بنحو ٥٠ مليون جنيه ٠ وحصلت القاهرة على مجمـــوعة من الشركات والبنـــوك والاراضى والمدارس التى كانت مملوكة للبريطانيين وتقدر قيمتها بنـحو ٣٢ مليون جنيه وحققت القاهرة أرباحا قيمتها أربعـة ملايين جنيه من أرباح المؤسسات التى تم تمصـــيرها ٠ وحصلت الحراســـة على مليونين وربع مليون جنيه من أموال البريطانيين كرسم حراسة على الاموال البريطانية ٠

هذا وحقيقة المبلغ الذى دفعتهمصر لبريطانيا بمقتضى الاتفاقية هو ٢٥٫٣ مليون جنيه لاننا اتفقنا على تأجيـل ٢٤٫٥ مليون جنيه استرلينى من الـ ٢٧٫٥ مليون جنيه لمدة عام نحصل خـــلاله على الفوائد التى يغلها هذا المبلـــغ وعلى الارتفاع فى القيمة الرأسمالية للسندات المستغل فيها هذا المبلغ وتقدر هذه الفوائد وهذا التحسن فى أسعار السندات بحـــوالى ١٫٥ مليون جنيه استرلينى أى ان صافى المبلغ هو ٢٦ مليون جنيه استرلينى أو ما يعادل ٢٥٫٣مليون جنيه مصرى ٠

ويضاف الى ما تقدم ان الاتفاق الذى عقدته مصر مـع شركة شل فى منتصف شهر ديسمبر سنة ١٩٥٨ تنازلت بمقتضاه شركة آبار الزيوت وشركة شل عن مبلـــغ ٧ ملايين جنيه كانتا تطالبان بها كفروق أسعار و ٣ ملايين جنيه عن مزايا حصلت عليها مصر من الشركة المذكورة و ٤ ملايين جنيه قيمة التعويض عن المصـــاريف التى انفقتها شركة شل فى البـحث والتنقيب عن البترول فى الـ ٦١ منطقة التى منح امتياز استغلالها للشركة العامة للبترول ، وقد قبلت شركة شل التنازل عنها وبذلك تكون قيمة المزايا التىتحققت عن اتفاق شركة شل ١٤ مليون جنيه تقريبا ٠

وفوق هذا وذاك فان الارباح الســـنوية التى كانت تحققهـــا المؤسسات المذكورة والتى كانت تحـول كل عام من احتياطاتنا من

العملات الاجنبية توقف تحويلها وتوزع داخليا فتزيد من الرخاء الداخلي بدلا من أن تقلل من احتياطياتنا النقدية . وأهم بنود هذه الارباح حوالى مليون جنيه كانت تخص المساهمين البريطانيين فى شركة ايسترن الشرقية للدخان ، ومائة ألف جنيه للمساهمين البريطانيين في شركة أسمنت حلوان ، وحوالى ٣٠٠ الى ٥٠٠ ألف جنيه أرباح بنك باركليز .

وتنفيذا للاتفاقية المالية صدر في شهر مارس سنة ١٩٥٩ أمر عسكرى برفع الحراسة عن شركة شل وشركة ترام الاسكندرية وشركة كوك وكل شركات الملاحة ومحلات داود عدس وشركة خطوط الطيران البريطانية ثم رفعت الحراسة أيضا عن ٣٤٠ مؤسسة وأعيدت أموال ٣٥٠ فردا .

وهكذا انهار الحصار الاقتصادى الذى استمر عامين ونصف . فشل الحصار فى التأثير على الاقتصاد المصرى . خرجنا من الحصار أشد قوة وصلابة .. لم تتوقف مشاريعنا ، لقد تقدمنا فى الزراعة وأنشأنا المصانع ، واكتشفنا الآبار الجديدة للبترول وعززنا الاسطول التجارى .

لقد زادت معاملاتنا التجارية مع دول العالم ، وتوزعت تجارتنا بين الشرق والغرب وانتقلت ملكية المرافق الاقتصادية الهامة الى أيدى الوطنيين .

وقد شحذ من همتنا وزاد من قدرتنا على النضال اسراع الدول والشعوب الصديقة الى مد يد المساعدة بالمؤازرة الادبية والمادية .

رسمنا للتجارة الخارجية والداخلية سياسة قوية فتوسعنا فى عقد اتفاقات التجارة والدفع وعملنا على تنويع صادراتنا والارتقاء بها فزادت صادراتنا من الغزل والمنسوجات والاسمنت والاطارات

والبترول، واستوردنا محطات التعبئة لتصدير الخضروات والفواكه على أفضل شكل وبأحسن سعر . كما فتحنا أسواق جديدة فى تجارتنا الخارجية .

وصدرت سوق التأمين ، وعملت مصر على تدعيم مرفق النقل البحرى فزاد الاسطول التجارى بنسبة ٤٠٪ فبعد ان كان يتكون من ٢٠ سفينة حمولتها ١٠٤ آلاف طن عند العدوان الثلاثى ، أصبح يتكون من ٢٧ سفينة مجموع حمولتها ١٤٤ ألف طن . وعقدت عدة اتفاقيات للنقل البحرى مع كثير من الدول لضمان نقل جزء متزايد من تجارتنا الخارجية على البواخر الوطنية وتعاقدنا على شراء سفن وناقلات جديدة وعلى انشاء ترسانة بحرية كبيرة بالاسكندرية تبدأ انتاجها سنة ١٩٦١ .

وقد كان من نتائج هذه الدعائم القوية ان زاد الدخل القومى، فارتفع الانتاج الزراعى لمعظم المحاصيل، كما ازداد الانتاج الصناعى للبلاد كما ونوعا . وفى الفترة من سنة ١٩٥٥ الى سنة ١٩٥٨ ارتفع الرقم القياسى لاستخراج المعادن بنسبة ٤٥٪ وارتفع الرقم القياسى لانتاج الصناعات التحويلية بنسبة ٣٣٪ وارتفع انتاج البلاد من البترول الخام من ١٫٨١٣ مليون طن عام ١٩٥٥ الى ٣٫٢ مليون طن عام ١٩٥٨ ، كما ارتفع مجموع انتاج البلاد من البنزين والكيروسين والسولار والديزل فى نفس الفترة من ٨٩٣ ألف طن الى ١٫٠٠٨ مليون طن . ويلاحظ فى هذا الصدد انه بعد أن كان كل ما تنتجه مصر يستخرج بواسطة شركة شل الانجليزية أخذ انتاج الشركة الشرقية للبترول وهى شركة نصف رأس مالها وطنى ، وانتاج الشركة العامة للبترول وهى شركة كل رأس مالها وطنى يتزايد ويلاحق انتاج شركة شل . كما تزايد ايضاً انتاج القوى الكهربائية من ١٤١١ مليون كيلووات ساعة عام ١٩٥٥ الى ١٩٣٦ مليون كيلووات ساعة عام ١٩٥٨ .

التآمر مع المرشدين الاجانب لعرقلة الملاحة

أما المرحلة الثانية من مراحل العدوان فهى التآمر على عرقلة الملاحة بالقناة بعد صدور قرار التأميم وذلك حتى يثبت الاستعمار أن مصر قد فشلت فى ادارة القناة ، ويتخذ من ذلك ذريعة لتنفيذ سياسة السيطرة على القناة .

وقد بدأت المؤامرة على الملاحة فى القناة بأن ارسلت شركة القناة المنحلة فور صدور قرار التأميم خطابات الى المرشدين الذين كانوا يمضون أجازاتهم بالخارج يوم التأميم ان الشركة مستعدة لان تدفع مرتب عام كامل مقدما لكل من أمضى أكثر من ٢٥ عاما فى خدمة الشركة ، ومرتب عامين مقدما لمن أمضى مدة بين ٢٠و٢٥ سنة ، ومرتب ثلاثة أعوام لمن أمضى أقل من ٢٠ عاما ، على أن يمتنعوا عن العودة الى مصر لتسلم عملهم .

وقد استجاب لهذا النداء ١٤ مرشدا فرنسيا و ٧ مرشدين بريطانيين ولكن المرشدين المصريين ردوا على المناورة بأن قطعوا أجازاتهم وعادوا وتسلموا عملهم فورا فى القناة ، وعندما اكتشفت هيئة ادارة القناة الجديدة المؤامرة التى تحاك خيوطها فى الظلام ، أصدرت تعليماتها الى كل المرشدين الذين يبلغون عن مرضهم أو عدم استطاعتهم أداء العمل أن يجرى عليهم الكشف الطبى بواسطة أطباء الجيش المصرى .

هذا وشركة القناة فى ذلك الوقت كانت تستخدم ٢٠٥ مرشدا منهم ٤٠ مصريا والباقى من جنسيات مختلفة . وفى نفس الوقت فتحت الهيئة الادارية الجديدة باب التعيين وتم تعيين ٣١ مرشدا جديدا وأصبح عدد المرشدين ٢٣٦ ، وهذا العدد يكفل عدم

تعطيل أي سفينة عن المرور ، لما يكفل عـــدم ارهاق المرشدين ويسمح لهم بالقيام باجازاتهم • وقـــد أثبت المرشدون المصريون كفاية عالية رغم الاشاعات التي كانت تذيعها الشركة المنحـــلة عن عدم كفاءة المرشدين المصريين • وفوق هذا فقد تلقت سفارات مصر في جميع أنحاء العالم مئات الطلبات من مرشدين للعمل في القناة فتقدم مرشدون من ألمانيا والسويد والنرويج وأمريكا كما تقدم من موسكو ويوغوسلافيا عدد كبير للعمـــــل في القناة ، وكذلك من اليونان وايطاليا وهولندا والهند ، وطلب بعض أعضــــاء اتحـــاد ضباط السفن في الملايو العمل كمرشدين في قناة السويس وقـــد بلغ عدد المتقدمين ١٤٠ مرشدا •

ولكن المؤامرة على الملاحة في القناة لم تقف عند هـــذا الحد ، بل ان مجلس ادارة شركة قناة السويس المنحلة اجتمع في باريس في ١١ سبتمبر سنة ١٩٥٦ وبحث التطورات الاخيرة لمشكلة القناة وموقف المرشدين الاجانب منها • وقرر عقب انتهاء بحثه دعـــوة جميع موظفي الشركة من غـــير المصريين الى ترك عملهم اعتبارا من يوم ١٥ سبتمبر • وأرسل بيـــكو مدير الشركة المنحلة خطابات بهذا المعنى الى جميع الموظفين الاجانب يطلب منهم ترك العمـــل في نهاية يوم ١٤ سبتمبر •

ومن الملاحظ أن هـــذه التعليمات صدرت عقب انتهاء اجتماع ايدن وموليه بست ساعات • ومن المعـــــلوم ان بريطانيا وفرنسا تبادلتا المشورة مع شركة القناة المنحلة بشأن موضوع المرشدين ، ولا شك ان تقرير بقـــاء المرشدين في العمل بالقناة أو انسحابهم منه مبني على تلك المشورة • فاذا انسحب المرشدون فان تبعة ذلك لا تقع الا على بريطانيا وفرنسا وحدهما •

والمقصود من هذا الاجراء هو عرقلة الملاحة في القناة وهـــو

الخطوة الاولى فى خطة بريطانيا وفرنسا لعرقلة الملاحة ٠ فان من الواضح أن من مصلحة بريطانيا وفرنسا تعطيل الملاحة فى القناة وخلق احداث تمكنهما من التدخل العسكرى ٠ ولكن مصر فوتت عليهما غرضهما ، وأعلنت انها مستعدة لجميع الاحتمالات ، وان الملاحة فى القناة لن تتعطل ساعة واحدة ٠ وقد وضعت مصر خطة كاملة لاستمرار الملاحة اذا استجاب المرشدون البريطانيون والفرنسيون لهذا النداء ٠

ونورد فيما يلى بيانا بعدد موظفى شركة القناة عند التأميم :

٩٣٠ مرشدا ومهندسا بينهم ٥٢٥ من غير المصريين ٠

٤٢٠٠ عامل منهم ٩٥٠ من المصريين بينهم ٧٥٠ يونانيا متمصرا ٠

أما المرشدون فيبلغ عددهم ٢٠٥ مرشدا موزعين كالآتى :

٥٣ فرنسيا ، ٦١ بريطانيا ، ٤٠ مصريا ، ١٤ هولنديا ؛ ١١ نرويجيا ، ١٢ يونانيا ، ٣ هولنديين ، ٢ ايطاليين ؛ ٢ أمريكيين و ٢ بلجيكيين ، ٢ سويديين ، وأسبانى ويوجوسلافى وبولنى ـ وكان ستون من هؤلاء المرشدين متغيبين فى أجازات ولم يعودوا الى عملهم ٠

وقد وضحت خيوط المؤامرة عندما أعلن سلوين لويد وزير خارجية بريطانيا فى مؤتمر لندن الذى عقد فى أغسطس سنة ١٩٥٦ لبحث مشكلة القناة ان جميع المرشدين البريطانيين الذين يعملون فى القناة قد أعلنوا اخلاصهم لشركة القناة (المنحلة) ومن ثم فهم لا يريدون خدمة السلطة المصرية الجديدة ، وقال لويد انه يعتقد ان هذا هو الحال مع سائر الموظفين الاجانب الذين يعملون فى الشركة ٠ وأضاف انه اذا لم يكن هؤلاء المرشدون والفنيون يريدون ، الاستمرار فى العمل فى وظائفهم ٠ واذا لم تكن لهم

الثقة اللازمة بالنظام الذى يعملون من أجله ، فسيؤدى هـــذا الى نقص فى كفاءة العمل ، وهو أمر ينذر بالخطر لانه قـد يؤدى الى كارثة للقناة ٠

وكانت المؤامرة واضحة بجلاء فلم يستطع أن ينكرها الانجليز أنفسهم ، وقد هاجم هيوجيتسكل الحـــكومة البريطانية قائلا ان الموقف بالنسبة للمرشدين خطير جدا وان الحكومة البريطانية كان يجب أن تتحاشى ممارسة أى ضغط عليهم للانسحاب من عملهم بل كان عليها أن تقنعهم بالبقاء ٠ وأضاف ان شركة القناة أصـــدرت بيانا جاء فيه انه يجب على المرشدين أن يختاروا بين الاستمرار فى العمل أو الاستقالة وحددت أمدا لذلك هو ١٥ سبتمبر وهــــذا البيان لم يكن سوى مؤامرة مكشوفة لوقف العمـــل فى القناة ، والحكومة البريطانية وقد اشتركت فى هذا العمل فانها تكون قـد انتهكت اتفاقية عام ١٨٨٨ ٠

ورغم هجوم حزب العمال المعارض للحكومة البريطانية ضـد مؤامرة تعطيل الملاحة فى القناة فقد تطورت المؤامرة تطورا خطيرا ، ذلك ان قناصل بريطانيا وفرنسا ابلغوا المرشدين بأنهم اذا لـــم ينسحبوا فورا من العمل فتسحب جنسيتهم ويتعرضون لعقوبات شديدة ٠ وفى الوقت ذاته وعدت شركة القناة المنحلة المرشـــدين بصرف مكافآت ومعاشات ضخمة لهم ، كما وعدتهم بايجاد عمـل لهم فى الخارج فورا ٠ وازاء هذا التهديد وذلك الاغراء ، قــــرر المرشـــدون الانجليز والفرنســـــيون والنرويجيون والايطاليون والهولنديون ترك العمل بالقناة ليلة ١٤ من سبتمبر ، وبلغ عـدد المرشدين الذين قرروا الانسحاب ١٣٣ مرشدا وقد أبلـــغ رئيس فرع الملاحة بقناة السويس هيئة ادارة القناة بذلك ٠

وبالرغم من هذه المؤامرة فان مصر رأت تســـهيل خروج أى

مرشد يبدى رغبته فى الاستقالة ، وأعلنت مصر ان الملاحة فى القناة مستمرة ولن تتعطل . ومع ذلك أعلنت الدوائر المسئولة أن هذا الاجراء الذى اتخذه المرشدون والموظفون الاجانب بتحريض من بريطانيا وفرنسا انما يعد خرقا للاتفاقيات الدولية ، وهى مؤامرة يراد بها تعطيل الملاحة وان الادارة المصرية اشرفت على الملاحة فى القناة منذ أن أعلن التأميم حتى ١٤ سبتمبر وثبت بالدليل القاطع حسن سير الملاحة ومن ثم فان التجاء فرنسا وبريطانيا الى هذا الاجراء انما هو تعطيل لحرية الملاحة التى نصت عليها اتفاقية سنة ١٨٨٨ وتمزيق لاتفاقية دولية .

وهكذا يتضح ان تعطيل الملاحة انما هو من صنع بريطانيا وفرنسا وليس من صنع مصر وتمزيق الاتفاقيات الدولية ليس من صنع مصر بل من صنع بريطانيا وفرنسا .

لذلك أبلغت مصر مستر داج همرشلد سكرتير عام الامم المتحدة وجميع وفود الدول الاعضاء بهيئة الامم المتحدة بأن حكومتى بريطانيا وفرنسا وشركة القناة المنحلة مسئولون عن أى تعطيل يحدث فى الملاحة فى القناة ابتداء من يوم ١٥ سبتمبر وأخطرتهم مصر انها اتخذت التدابير اللازمة لاستمرار الملاحة فى القناة رغم هذه المحاولات واذا حدث ان تعطلت الملاحة فى القناة لاسباب خارجة عن ارادتها فان المسئولية تقع فى هذه الحالة على هذه الجهات التى عملت على تعطيل الملاحة .

وفى يوم ١٥ سبتمبر سنة ١٩٥٦ كانت مفاجأة للعالم أجمع وبوجه خاص لدول الاستعمار التى دبرت مؤامرة تعطيل الملاحة فى القناة ، اذ أعلن الرئيس جمال عبد الناصر انتصار مصر على المؤامرة المفضوحة التى دبرتها انجلترا وفرنسا لتعطيل الملاحة فى القناة بعد انسحاب المرشدين الانجليز والفرنسيين ، وقد منح الرئيس

عبد الناصر جميع المرشدين الذين احبطوا المؤامرة وسام الاستحقاق باسم الشعب •

ان المرشـــدين المصريين استطاعوا بالتعاون مـــع المرشدين اليونانيين الذين رفضوا الرشوة والاغراء أن يمرروا السفن بالعمل المتواصل •

ان انجلترا وفرنسا تبرران موقفهما من موضوع قناة السويس الذى جعلتا منه مشكلة دولية ؛ بأن تعطيل الملاحة في القناة يؤدى الى انهيار الاقتصاد الاوروبى وهما في الوقت ذاته تتآمران على تعطيل الملاحة !!

لقد حدثت فى القناة المعجزة التى قام بها المرشدون المصريون • فان مصر صممت على أن تعبر جميع السفن التى وصلت بور سعيد والسويس القناة دون أى تأخير رغم ضخامة عـــدد السفن وبدأت الملاحة فى منتصف ليلة ١٥ سبتمبر ـ واستمرت حتى منتصف ليلة ١٦ سبتمبر وعندما جاء ظهر ذلك اليوم لم تكن هناك باخرة واحدة خارج السويس أو بور سعيد تنتظر عبور القناة •

كانت أنظار العالم كله تتجه للقناة ، كان العالم يتوقع ان تتعطل السفن ، وأن تضرب الملاحة • ووقف العـــالم مبهوتا عندما حقق المرشدون المصريون المعجزة •

وحدث فى الساعة السادسة من صباح يوم ١٦ سبتمبر بعـد ست ساعات فقط من انسحاب المرشدين الاجانب ان وقفت أكثر من ٢٣ سفينة وهو ضعف العدد اليومى العادى تنتظر الدور فى المرور بالقناة وكل سفينة منها قد رفعت علما مقسما الى ستة أقسام ملونة أصفر وأسود على التوالى • ومعنى هذا أن السفينة تريد مرشدا ، وتريد المرور فى القناة ، وأحدى عشر سفينة من هذه السفن كانت من ناقلات البترول الضخمة المشحونة بالبترول وكان قباطنة السفن قد

رفعوا الاعلام جميعا يطلبون مرشدين ويحسبون انهم سيضطرون للانتظار يومين أو ثلاثة حتى تتاح لهم فرصة عبور القناة . وكانت الاخبار التي وصلتهم ان عدد المرشدين المصريين لا يسمح باستمرار الملاحة في القناة .

ولكن في فجر يوم ١٦ سبتمبر كان اللنش الذي يحمل المرشدين في طريقه الى الميناء حاملا المرشدين المصريين فقط . وصعد المرشد المصرى الى الباخرة والعيون شاخصة اليه وترقبه، وانقضت الساعات الرهيبة وناقلة البترول تلو الاخرى تدخل القناة وآلاف العيون ترقبها ان أقل خطأ في قيادة ناقلة البترول عبر القناة ينجم عنه كارثة . ولكن الذى حدث أن ناقلات البترول استمرت في عبور القناة دون أن يقع أى حادث.

وفي الوقت ذاته كانت لندن تذيع في نشرتها الاخبارية من الاذاعة البريطانية أن جميع المرشدين الاجانب قد انسحبوا من القناة، وان المرشدين المصريين هم الذين سيقومون بالعمل ، وذكرت النشرة انه من المتوقع تعطيل الملاحة . ولكن الله خلف ظنهم وجعل النصر حليفنا ومضت الازمة بسلام ولم تتعطل الملاحة .

أما المرشدون المصريون فكانت الفرحة تعلو وجوههم . لقد نجحت مصر في تسيير الملاحة ، وقضت على المؤامرة وكان المرشدون وموظفو شركة القناة كأنهم في عيد . يهنىء بعضهم بعضا ودموع الفرح تملأ عيونهم ، ان من حقهم أن يفخروا وأن تفخر بهم مصر لانهم قاموا بخدمة وطنية جليلة ورفعوا رأس مصر عاليا .

ثم تسلم المرشدون الجدد بعد اتمام تدريبهم عملهم في قناة السويس ووقف المرشدون الاجانب الذين تعاونوا معنا الى جانب زملائهم من المرشدين المصريين ليشاركونا فرحة الانتصار واحباط مؤامرة الاستعمار .

لقد كان عدد المرشدين قبل صدور قرار التأميم ٢٠٥ مرشدا فأصبح لدينا بعد انسحاب المرشدين الانجليز والفرنسيين وبفضل تعاون المرشدين من مختلف دول العالم ١٩٤ مرشدا منهم ٨٠ مرشدا مصريا و ٢٤ يونانيا و ١٤ المانيا و ٧ ايطاليين و ٥ نرويجيين و ١١ يوغوسلافيا و ١٠ أمريكيين و ٣ أسبان و ١١ بولندى و ٧ سويديين و ٢ هولنديين و ١٦ روسيا و ٢ رومانيين ومرشد واحد من كل من المجر وجنوب أفريقيا . وهكذا استطعنا ان نحبط المؤامرة فى مهدها واستمرت الملاحة فى القناة تسير سيرا طبيعيا والسفن تعبر القناة فى أمن وسلام وبكفاءة ودون أدنى تأخير .

ومع ذلك أستمرت هيئة ادارة القناة الجديدة تستقبل كل يوم عشرات المرشدين من جميع أنحاء العالم جاءوا مع مصر ويقضوا على مؤامرة بريطانيا وفرنسا . وحضر المرشدون الى القناة ليجدوا هدوءا عجيبا وشعبا مسالما يرحب بهم وقناة انتظمت فيها الملاحة فى نظام رائع . وصرح المسئولون عن انتظام الملاحةفىالقناة أننا لدينا العدد الكافى من المرشدين الذين يحملون مؤهلات عالية وعلى درجة كبيرة من الكفاية لضمان مرور جميع السفن التى ترغب عبور قناة السويس وخصوصا ناقلات البترول الضخمة . وان قبول المرشدين الجدد للعمل فى القناة ليس معناه الاحتياج الى مزيد من المرشدين ، ولكن كل ما هنالك اننا نريد أن نخفف العمل عن المرشدين الحاليين . كما أن عدد السفن المارة بالقناة لم يتأثر بانسحاب المرشدين الاجانب الذين تعاونوا مع الاستعمار فى تنفيذ المؤامرة .

ولقد حقق المرشدون المصريون نجاحا كبيرا وتفوقا عظيما ، اذ قاد مرشد مصرى فى أول اكتوبر سنة ١٩٥٦ أكبر ناقلة بترول عبر القناة والناقلة حمولتها ٣٠ ألف طن وكانت القافلة تتكون من ٢٧ سفينة ، كما قاد مرشد مصرى كبر سفينة ركاب تمر بالقناة وهى

السفينة الهولندية « أورانج » وحمولتها ٢٠ ألف طـــن ٠ وهكذا قضى المرشدون المصريون على الخرافات التى تنشرها بريطانيــــا وفرنسا عن عدم استطاعة المرشدين المصريين قيادة السفن الضخمة عبر القناة ٠

كان واجبا على الاستعمار ازاء الجهود المضنية التى بذلتهـــا الادارة المصرية لقناة السويس فى سبيل انتظام الملاحة فى القنـــاة ونجاحها فى تحقيق هذا الهدف ـ أن يكف الاستعمار عن مناوراته ومؤامراته لعرقلة الملاحة فى القناة ولكن هى الروح الاستعمارية التى تسيطر على تصرفات المستعمر ٠ لذلك واجهت الملاحـــة فى قناة السويس مؤامرة استعمارية جديدة ٠ فقد تآمر الانجليز على تعطيل الملاحة فى القناة ولكن الادارة المصرية استطاعت أن تعمل على انتظام الملاحة ، واحباط المؤامرة الجديدة ٠

لقد كادت تحدث كارثة عندما خرجت فى أوائل أكتوبر سنة ١٩٥٦ ناقلة بترول انجليزية ضخمة من ميناء السويس وكان يقودها مرشد مصرى وكانت الباخرة تسير على مايرام ٠ وغادرت الباخرة ميناء السويس وسط القافلة وفى منطقة حرجة معينة فى القناة فوجىء المرشد المصرى بتوقف آلات الباخرة وأصبحت تحت رحمة الامواج والرياح فى القناة الضيقة ٠ وادرك المرشد خطورة الامـر وأسرع يسأل القبطان الانجليزى عما حدث ٠ ولكن القبطان هـز كتفيه وقال له : لقد تعطلت الآلات ٠٠ ماذا أفعل ؟؟ ان هذا عملك أنت ٠٠ وبدأت الرياح تدفع الباخرة الى الضفة الغربية ، بينمـــا الباخرة التى تليها بدأت تقترب منها ٠ وفى أقل من عشر دقائق كان المرشد المصرى قد اعطى الخبر لزملائه المرشدين فى البواخرالتى خلفه ٠ وأمر بحارة الباخرة التى يقودها بارسائها فى مكانهـــا الحالى ، وبذلك ابتعدت الباخرة عن خطر محقق وكان القبطـــان الانجليزى جالسا فى ركن من غرفة القيـــادة يراقب كل هذا ٠

وعندما وجد أن المؤامرة التى دبرها قد فشلت قام من مكانه وأعطى أوامره فعادت الآلات تعمل !! واكتفى بأن اعتذر للمرشد المصرى بأن الخلل كان طفيفا وأمكن اصلاحه فى دقائق .

وهكذا وضحت المؤامرة ، ولكن الله سلم ولم تتعطل الملاحة فى القناة بل ظلت الملاحة منتظمة حتى يشهد العالم أننا قوم شرفاء، وأن المرشدين المصريين أكفاء فى عملهم متفانون فى خدمة وطنهم .

وانتهت أزمة المرشدين وعادت سفن شركات الملاحة العالمية الى القناة . وعدلت عن تحويل خط سير السفن التابعة لها الى رأس الرجاء الصالح . واخطرت شركات الملاحة البريطانية والفرنسية والأمريكية والهولندية ادارة القناة المصرية بهذا العدول ، وبموعد استئناف سفنها السير فى القناة . واعترفت هذه الشركات بانتظام الملاحة وبكفاءة الادارة المصرية والمرشدين المصريين .

حقا ! انتهت أزمة المرشدين ، ولكن مؤامرات الاستعمار لم تنته . ففى خلال العدوان الثلاثى المسلح على مصر عطلت بريطانيا وفرنسا الملاحة فى القناة . فقد ألقت طائراتها القنابل على السفينة المصرية « عكا » أثناء عبورها قناة السويس بالقرب من بحيرة التمساح فأغرقتها . وقامت الدولتان بهذا الاجراء فى الوقت الذى تدعيان فيه الحرص على الملاحة فى القناة ، بل وتعتديان على سلامة وأمن دولة مستقلة ذات سيادة هى مصرنا العزيزة ؛ بحجة المحافظة على انتظام الملاحة فى القناة !!

لقد عطل العدوان البريطانى الفرنسى الملاحة فى القناة لمدة أربعة أشهر وأضر بمصالح دول العالم كله ، اذ أغرقت بعض السفن نتيجة للعدوان فى قناة السويس بفعل قنابل الطائرات البريطانية والفرنسية ، كما تحطم كوبرى الفردان أحد الكبارى العسكرية حينما هاجمته الطائرات البريطانية والفرنسية أثناء عودة القوات

المصرية من سيناء • وكان من نتيجة ضرب قناة السويس بالطائرات البريطانية والفرنسية أن حجزت في القناة ١٢ سفينة من جنسيات مختلفة كانت محملة بالبضائع الى دول آسيا من أوربا •

هذه هي مؤامرات الاستعمار لعرقلة الملاحة في قناة السويس وتعطيلها ومصر دائما تعمل على انتظام الملاحة، فعندما تآمر الاستعمار مع المرشدين الاجانب عملت مصر على زيادة عدد المرشدين المصريين وعينت المرشدين الاجانب الذين قدموا طلبات للتعاون معنا واحباط مؤامرة الاستعمار - وكان ان انتظمت الملاحة •

وعندما تعطلت الملاحة في القنـــــاة بفعل قنابل الطائرات البريطانية والفرنسية أيام العدوان الثلاثي على مصر قامت بتطهير القناة •

وفي الوقت الذي كانت تحاك فيـــه المؤامرات اعدت ادارة قناة السويس برنامجاً شاملا لا دخال التحسينات اللازمة على قناة السويس حتى تلائم النمو المطرد في حركـــة الملاحه حيث يتم توسيعها وتعميقها لتتمكن من عبورها اضخم ناقلات البترول التى تبلغ حمولتها ٥٥ ألف طن • أما التوسيع فسيكون بين ١٥ و ٣٠ مترا طبقا لا ختلاف المناطق كما ان التعميق سيبلغ ٢ و٣ امتار • وهذا يستلزم اجراء بعض عمليات التطهير على عمق كبير وتحتـــاج هذه المشروعات الى استخراج ١٠٠ مليون متر مكعب من الاتربة من قاع القناة وهدم وبناء ٦٥ كيلو مترا من جوانبهـــا وتبلغ نفقات هذه العمليات حوالى ٣٦ مليون جنيه •

وبينما مصر تعد هذه المشروعات وتحاول تدبير المـــال اللازم لاتمامها لصالح الملاحة في القناة وطلبت لهـــذا الغـــرض عقد قرض بينها وبين البنك الدولى ، اذا بالصهيونيين يتآمرون

ويرسلون برقيـات الى يوجين بلاك مدير البنــك الدولى يحتجون على البنك ويطالبونه بالامتناع عن تقديم القرض الى هيئة قنـاة السويس او على الاقل تأجيل تقديمه حتى تسمح حكومة القاهرة لسفن اسرائيل بالمرور فى قنــاة السويس • وفى نفس الوقت ارسل ٦٦ عضوا فى الكونجرس الامريكي برقيــات تحمل نفس المعنى الى يوجين بلاك • وهكذا تتآمر اسرائيل واعوانهـــا لمصلحتهـــا الخاصة مضحية فى ذلك بمصلحة الملاحة فى القنـــاة وبمصلحة دول العالم المنتفعة بالقناة •

ولكن بالرغم من ذلك وافق مجلس محـــافظى البنك الدولى للانشـــاء والتعمير علـى القرض بالاجمـــاع واحبطت المؤامرة الصهيونية •

وتم فى ٢٢ ديسمبر سنة ١٩٥٩ توقيع اتفاقية قرض الدولى لتمويل مشروعات تحسين وتعميق القناة الجارى تنفيذه بضمان حكومة الجمهورية العربيــة المتحدة وقد وقعهـــا مستر يوجين بلاك مدير البنك الدولى نيابة عن البنك والمهندس محمود يونس رئيس هيئة قناة السويس نيابة عن الهيئة • ووقع الدكتور مصطفى كامل سفيرنا فى واشنطن على اتفاقية ضمان تسديد القرض نيابة عن حكومة الجمهورية العربية المتحدة •

وتبلغ قيمـــة القرض ٥٦ر٥ مليون دولار (اى ٢٠ مليون جنيه مصرى) يبدأ تســديدها فى ١٥/٣/١٩٦٢ ومـدة القرض ١٥ سنة • واول قسط من القرض دفعه البنك عند توقيع الاتفاقية يبلغ ستة ملايين جنيه تقريبا (١٦ر٥ مليون دولار) وهو ما انفقته هيئة القناة حتى ذلك التاريـــخ على مشروعات التحسين بالنقد الاجنبى • ثم بدفع البنك الى هيئة القناة بعد ذلك كل مبلغ تنفقه على مشروعات التحسين بحيث يتم دفع القرض كله خلال السنتين التاليتين لتوقيع العقد •

ويعتبر هذا القرض بمثابة استعادة العلاقات المالية بين الجمهورية العربية وبين اسواق المال فى الغرب . ولا شـــك ان حصول الجمهورية العربية المتحدة على هذا القرض علاوة على ما سبق ان حصلت عليه من قروض من الدول الشرقية والغربية دليل على ثقة الغرب والشرق والهيئات الـــدولية فى المركز الا قتصادى للجمهورية العربية المتحدة ، وفى رغبتها الصـــادقة فى تنمية اقتصادياتها وروفع مستوى معيشة اهلهـا وفى ايمانهـــا الصادق بمبادىء الحياد الاجابى ومساهمتهـــا فى دعم السلام العـــالمى . وينتهى تنفيذ المشروعات فى سنة ١٩٦١ ، وستمكن السفن زنة ٤٦ الف طن من المرور فى القنـــاة واختصار مدة السفر، وتخفيض نفقاته مما يترتب عليه المساهمة فى انعاش حركة التجارة العالمية . ونتيجة لذلك سيزيد دخل القناة بمقدار عشرة ملايين جنية فى السنة . هذا فضلا عن ان تنفيذ المشروع سيؤدى الى زيادة كفاءة القناة فى خدمة الاقتصاد العالمى .

(٩)

التهديد باستخدام القوة العسكرية

لقد اوضحنا ان مصر باشرت عملا من اعمال السيادة فى اقليمها عندما اممت شركة قنـــاة السويس وهى شركة مساهمة مصريـة تخضع لقوانين البلاد . وان الاستعمار جعل من مسألة التاميم وهى مسالة داخليـــة من صميم اختصاص الحـــكومة المصريـة مشكلة دولية .

ولم يكتف الاستعمار بالا جراءات الاقتصادية التى اتخذهـا ضد مصر محاولا بذلك فرض حصار اقتصادى حولها بل اعقب ذلك بمحاولة عرقلة الملاحة وتعطيلها فى القناة ليتخذ من ذلك ذريعـــة للتدخل فى شئون ادارة القناة وفرض سيطرته على الملاحة فيها .

وقد اعقب هاتين المرحلتين من مراحـــل العدوان عـلى مصر مرحلة أخرى هى مرحلة التهديد باستخدام القوة العسكرية ، وكان فى هذا الاجراء محاولة للضغط على سياستنا الخارجية لنتخذ من الاستعمار سياسة أكثر ملاءمة فنقبل اقتراح الاستعمار بانشاء هيئة دولية لادارة القناة ومعنى هذا أن نقبل تدويل قنـــاة السويس المصرية ، هذا فضلا عما فى هذا الاجراء من اعتداء على كرامتنـــا بمحاولة اشعارنا بضعفنا وعدم قدرتنا على المحافظة على حريتنـــا واستقلالنا وان الاستعمار يستطيع أن يبطش بنا ويعود ليحتـــل أرضنا .

ولكن مصر أعلنت فى شتى المناسبات منذ تأميم القناة انهـا على استعداد لسلوك جميع السبل المؤدية الى حل سلمى لهذه المشكلة عن طريق التفاوض . ان مصر لا ترفض الحلول السليمة ولكنهـا

ترفض أن يفرض عليها أى نظام يسلب منها القناة لمصلحة بعض الدول .

ان تأميم القناة ليس فيه أى اخلال بمعاهدة سنة ١٨٨٨ ولا بحرية الملاحة فى القناة اذ أن الحكومة المصرية التى كانت تضطلع بالمحافظة على أمن وحرية المرور فى القناة ، خاصة وان شركة القناة هى شركة مصرية تخضع لقوانين البلاد طبقا لنص المـــادة ١٦ من فرمان منح التزام قناة السويس للشركة العالمية لقنـــاة السويس البحرية عام ١٨٦٦ .

ولم يكن التهديد باستخدام القوة ضدنا يرهبنا بل لقد أعلن الرئيس جمال عبد الناصر أن مصر ستقاوم العدوان بالعدوان واننا سنحارب حربا نظامية شاملة وحرب عصابات . ان الاعتداء على مصر اعتداء على الدول العربية كلها ، ان معناه أن مصالح المعتدى وموارده فى هذه المنطقة قد انتهت الى الابد . ان مصر لديها السلاح الكافى وسنضرب المثل للعالم أجمع كيف تستطيع دولة صغيرة أن تقاوم طغيان الدول الكبرى .

لقد صدر قانون تأميم القناة فى ٢٦ يوليو سنة ١٩٥٦ . وفى ٢٧ يوليو اتصل السير انتونى ايدن رئيس وزراء بريطانيا - من لندن تليفونيا - بمسيو كريستيان بينو وزير خارجية فرنســـا فى باريس واتفقا على القيام باجراء عسكرى عاجل وفعال ضـــد مصر . وقررا أنه يجب خلع جمال عبد الناصر وان الطريقة السريعة العملية الوحيدة لتحقيق ذلك هى استعمال القـــوة أو التهديد باستعمالها .

وفى الوقت الذى كانت بريطانيا وفرنســـا تعلنان فيه عن رغبتهما فى عقد مؤتمر يضم الدول الموقعة على اتفاقية سنة ١٨٨٨ والدول ذات المصلحة فى استخدام قنـــاة السويس وذلك لبحث

المشاكل الناتجة عن صدور قرار التأميم • والمفروض أن الاتجـــاه يرمي الى محاولة حل المشكلة حلا سلميا ••• فى هذا الوقت نفسه أعلن ايدن رئيس وزراء بريطانيـــا فى ٢ أغسطس سنة ١٩٥٦ ان بريطانيا اتخذت اجراءات وقائية ذات صبغة حربية لمواجهة الموقف بعد قرار تأميم القناة • وانه تقرر دعوة جزء من جنود الاحتياطي وضباطه وتحركت بعض وحدات البحرية والجيش والطيران للعمل فى البحر الابيض المتوسط • وان الغرض الاول من هذه الاجراءات هو ضمان حرية الملاحة فى القناة التى تتوقف عليها الحياة الصناعية فى أوربا •••تلك الحرية التى لن تكفل الا اذا أشرفت على القناة هيئة دولية !!

كما صرح ايدن فى مجلس العموم البريطاني فى ١٣ أغسطس بأن حكومة جلالة الملكة قد وجـــدت من الضرورى أن تتخذ بعض الاجراءات الاحتياطية العسكرية وهى تهدف الى تقوية مركزها فى شرق البحر الابيض وتمكينها من معالجة أى موقف يطرأ فى هـــذه المنطقة •

وفى ١٢ سبتمبر صرح ايدن فى مجلس العموم البريطاني بأنه فى الاسابيع الاخيرة اتخذت اجراءات حربية معينة فى البحر الابيض المتوسط وأكد ان الحكومة ليست لديها أية نية لتخفيف هذه الاجراءات وقال ان القوات الفرنسية ينبغى أن تتاح لها فرصة الدفاع عن حقوقها العديدة • وأن بريطانيا منحت قوات فرنسا جميع التسهيلات الممكنة التى تطلبها •

وفى ٢ أكتوبر صرح سلوين لويد وزير خارجية بريطانيـــا أن القوة سوف تستخدم كحل أخير لمسألة قناة السويس •

ولم يقتصر التهديد باستعمال القوة العسكرية على تصريحات

المسئولين فى انجلترا بل لقد تعداها الى بعض دول الكومنولث فقد صرح مستر منزيس رئيس وزراء استراليا فى البرلمان ان استخدام القوة ضـــد مصر اجراء لاينبغى استبعاده أو منعـــه وان الاجراءات الاقتصادية ينبغى ألا تستبعد هى الاخرى ٠

كيف يمكن اذن امام هذه التهديدات الصريحة باستخدام القوة العسكرية أن تصدق نوايا الاستعمار فى حل مشكلة القناة حلا سلميا ان هذه التهديدات باستخدام القوة العسكرية تقوم دليلا قاطعا لاشبهة فيه على أن النية كانت مبيتة على الغدر والعدوان ضد شعبنا المسالم لانه باشر عملا من أعمال سيادته فى اقليمه ٠

وكيف يتصور الاستعمار أن شعبا حرا كريما يقبل الشروط والمقترحات التى تملى عليه وسيف التهديد مسلط على عنقه ٠

وأى شر أريد بنا وكان فرضا علينا أن نقبله والا فان الخراب والدمار ينتظرنا ٠٠ أجل ! أى شر أريد بنا لانه لو أريد لنا خير لما كان هناك داع لاستخدام القوة أو التهديد باستخدامها لقبـــول الحلول المعروضة علينا ٠

هذا ولم يكن التهديد باستخدام القوة مجرد كـلام يلقى عـلى عواهنه أو مجرد حشد قوات فى حوض البحر الابيض المتوسط بل ان الامر تعدى ذلك الى ان القوات البريطانية فى مالطة قامت بمناورات مشتركة ضخمة على ساحل الجزيرة ، اشتركت فيها حاملات الطائرات والطرادات ، وقام بالمناورات ربع مليون جندى وكانت هذه أول مناورة فى البحر الابيض المتوسط بعد تأميم القناة ٠

ولا جدال فى أن القيام بهذه المناورات على نطاق واسع ، وفى ذلك الوقت بالذات ، ومع التهديد باستخدام القوة ، واضح فيه معنى الارهاب ، فضلا عن عدم الرغبة الجدية فى حل مشكلة القنـــاة حلا

سلميا ، لان التهديد باستخدام القوة فيه معنى العدوان أيضا ، أو هو فى الواقع صورة العدوان ، ومرحلة من مراحله .

والى جانب حشد القوات والقيام بالمناورات بدأت كذلك مباحثات عسكرية سرية بين قواد بريطانيا وفرنسا لبحث الموقف تجـاه أزمة القناة . وخلال شهر سبتمبر زادت الاستعدادات العسكرية بدرجة ضخمة . واستمر انزال الامدادات البريطانية والفرنسية فى قبرص طوال اليوم . وأعلن أن ألوف الجنود الفرنسيين سيصلون الى قبرص خلال ذلك الشهر .

كما عقـــدت اتفاقية عسكرية فى شهر أكتوبر بين فرنســـا واسرائيل .

والمهم ان الاستعمار حاول أن يقلب الاوضاع ، واعتبر أن مصر هى التى لجأت الى القوة أولا ، وان بريطانيا هى صاحبة الرغبة دائما فى حل منازعاتها بالوسائل السلمية وان ما اتخذته بريطانيا من اجراءات عسكرية ليس عدوانا من جانبها وانما هو دفاع شرعى عن مصالحها .

أى والله هذا ماقالته ألسنة الاستعمار وبغير مغالاة أو مجانبـة للحقيقة ، فقد صرح ريتشارد بتلر زعيم المحافظين فى مجلس العموم البريطانى بشأن مشكلة قناة السويس ان من واجب بريطانيا أن تحافظ على الاجراءات العسكرية التى اتخذتها لحماية مصالحها ومصالح الدول التابعة لها . وان الحكومة البريطانية دأبت دائما على حل المنازعات بالوسائل السلمية . وان مصر هى التى لجأت الى القوة باستيلائهـا على القناة وتقويضها من جانب واحد نظاما للضمانات الدولية .

وهكذا قلبت الاوضاع من وجهة نظر الاستعمار ، فمصر هى المعتدية لانها أممت شركة مصرية تخضع لقوانين البلاد !

وانه لما يثلج صدورنا ويشعرنا اننا لم نكن نقف وحـدنا أيام

العدوان،أن جميع الامم المحبةللسلام حتى من كان منها متفقافى وجهة نظره لحل مشكلة القناة مع بريطانيا وفرنســـا ــ الا أن الجميـع قد استنكروا التهديد باستخدام القوة العسكرية باعتباره عدوانا لايمكن لمن يسعى لخدمة السلام العالمى أن يرضى عنه أو يقبله ٠

فقد صرح الرئيس ايزنهاور فى مؤتمر صحفى عقــده فى ١١ سبتمبر سنة ١٩٥٦ ان أمريكا ضد استخدام القوة حتى لو توقفت الملاحة فى قناة السويس ٠ وقال ان الولايات المتحدة لن تدخل الحرب ولن تقوم بعمل عسكرى يتعلق بالنزاع على قناة الســويس ٠ واذا ارتكبت مصر عملا من أعمال العدوان فالولايات المتحدة عندئذ تعترف لبريطانيا وفرنسا بالحق فى القيام بأعمال لاتصل الى الحرب ٠وقال الرئيس ايزنهاور انه لايعتقد أنه سيكون هناك مايبرر استخدام بريطانيا وفرنسا للقوة لابقاء قناة السويس مفتوحة ، اذا أدى انســحاب المرشدين الاجانب الى شل حركة الملاحة فى القناة ، وقال انأمريكا سوف تعترف لبريطانيا وفرنسا بالحق فى استخدام القوةاذااستنفذت كل الوسائل السلمية لتسوية النزاع على قناة السويس واذا وقعت بعض الاعمال العدوانية من جانب مصر ٠

وفى حديث آخر صرح الرئيس الامريكى بأنه يعتقد ان أزمة القناة ستحل بالمفاوضات وبالوسائل السلمية وانه لايتصور أن القوة العسكرية تكون حلا جيدا فى أزمة قناة السويس ٠

هــذا ماصرحت به أمريكا بشأن التهديد باســتخدام القــوة العسكرية ضد مصر ٠ ولقد كان للتهديد باستخدام القوة أثر سيء فى روسيا ٠ فقد أعلن الاتحاد السوفيتى ان أى اجراء عســكرى تتخذه بريطانيا وفرنسا ضد مصر سيهدد السلام العالمى تهديدا خطيرا ،وانه يجب أن يحال بين بريطانيا وفرنسا وبين استخدام القوة ٠

وقد حذر المارشال بولجانين كلا من انجلترا وفرنسا من الالتجاء

الى القوة فى أزمة قناة السويس • وبعث رئيس وزراء روسيا برسالتين شخصيتين ، واحدة لرئيس وزراء فرنسا وأخرى لرئيس وزراء بريطانيا نصح فيها باتباع الحكمة وحسن التفكير ، وحذر من اتخاذ أى اجراء قد يكون من الصعب علاج النتائج التى ستترتب عليه •

كما صرح خروشوف فى موسكو أنه لو كان له ابن لارسله متطوعا للدفاع مع العرب ، وان العرب لن يكونوا وحدهم اذا نشبت حرب بسبب قناة السويس •

هذا ماكان من موقف أمريكا وروسيا من تهديد بريطانيا وفرنسا لنا باستخدام القوة العسكرية •

يضاف الى ذلك أنه منذ أممت مصر قناتها وهدد الاستعماريون باستعمال القوة والسفارات المصرية فى الخارج تتلقى الوف الطلبات من مواطنين احرار يريدون الدفاع عن مصر • ومنهم محاربون قدماء وشبان جامعات وعمال من هيئات مختلفة ، وبعضها وثائق تطوع كتبت بدماء المتطوعين ، كما أرسل أبناء الجاليات العربية فى الخارج يعلنون تأييدهم للرئيس جمال عبد الناصر فى تأميمه القناة واستعدادهم للقتال مع مصر •

ولم يكن الشعب المصرى أقل وطنية أو حماسا ، بل لقد أعلن الشعب بهيئاته وطوائفه المختلفة التعبئة العامة للدفاع عن تأميم قناة السويس وقرر الشعب أن يحمل السلاح وأن يضع دمه وروحه رهن اشارة الزعيم المفدى الرئيس جمال عبد الناصر فى سبيل الذود عن كرامة الوطن ودعم استقلاله وسيادته •

وأعلن فضيلة الاستاذ الاكبر الشيخ عبد الرحمن تاج شيخ الازهر أن الموت فى سبيل الدفاع عن قناة السويس شهادة فى سبيل الله وأعلن تعبئة رجال الدين للدفاع المقدس عن الوطن اذا مابدأ الاستعمار بأى عدوان غاشم •

وفى ١٣ أكتوبر سنة ١٩٥٦ اجتمع المؤتمر الشعبى القبطى الممثل لجميع المسيحيين المصريين وانتهى المؤتمر الى اصدار القرارات الآتية :

أولا — ابلاغ مجلس الأمن استنكاره للأساليب التى تتخذ للاعتداء على سيادة مصر • وأكد المؤتمر تأييده للرئيس جمال عبد الناصر وسياسته الوطنية للذود عن حقوق البلاد ودفع كل شر يراد بها • وطالب مجلس الأمن بأن تسود العدالة قراراته بأن يقر حقوق مصر المشروعة فى تأميم القناة وادارتها تدعيما للسلام العالمى •

ثانيا — ان مصر كلها تقف وراء الرئيس جمال عبد الناصر فى سياسته الوطنية فى تأميم القناة التى هى جزء لايتجزأ من أرض الوطن •

ثالثا — يستنكر المؤتمر السياسة التى تتبعها بعض الدول لمحاربة الحد من سيادةمصر وممارستها لحقوقها الطبيعية واستكمال حريتها •

رابعا — يعلن المؤتمر من شباب وشيب عزمه الاكيد على الاستمرار فى الكفاح بالدماء عن الوطن ضد أى تدخل أو عدوان أجنبى •

خامسا — ابلاغ جميع ممثلى الدول الاعضاء فى هيئةالامم المتحدة بهذه القرارات •

هذا وقد انتشر الفدائيون المصريون فى كل مكان فى أنحاء الجمهورية وأعلنوا الكفاح ضد أى اعتداء على أرض الوطن •

أما الجيش المصرى فكان دائم الاستعداد ويقوم باجراء العمليات الحربية لاختبار مدى قدرة الجيش على المحافظة على سلامة الوطن فى كل وقت •

وأجريت تجارب حول صد الدفاع عن المطارات وتمت التجربة بنجاح ، وصرح رئيس هيئة أركان حرب الجيش بأن قواتنا قادرة على تأمين البلاد ضد أى عمليات عدائية •

كما أعلن القائد العام للقوات المسلحة فى ٢ سبتمبر سنة١٩٥٦ بعد أن أشرف على المناورات والعمليات التى قام بهـــا الجيش المصرى ماياتى :

(١) ان الجيش المصرى مســــتعد الى آخر تفصيل يمكن ان يستعد لمداه جيش •

(٢) أن تعبئة القوات الاحتياطية وأولها الحرس الوطنى وجميع الوحدات الشعبية المحاربة قد تمت فعلا •

(٣) ان تعبئة القوات المسلحة المصرية تعبئة كاملة تمت فعلا •

(٤) ان قواتنا قد أخذت الاوضاع العسكرية التى تستطيع معها مواجهة أى موقف بقدرة وكفاية •

(٥) ان سلاحنا كامل وذخيرتنا كاملة من جميع الوجوه •

وأبدى القائد العام ان اطمئنانه لسلامة موقف الجيش ليس له حدود •

والى جانب هذه الاستعدادات جميعها فقد صدر قرار جمهورى بانشاء جيش التحرير الوطنى ويتكون من

(١) الحرس الوطنى •

(٢) كتائب الشباب •

(٣) المتطوعين من سن ١٨ الى سن ٥٠ •

وتولى قيادة الجيش السيد كمال الدين حسين •

وأعلن قائد جيش التحرير ان الحكومة ستعطى السلاح لكل مواطن ومواطنة للدفاع عن بيته وأسرته وأن التدريب سيبدأ فورافى جميع المدارس ومعسكرات الشباب •

وقد تلقت مصر عروضا من دول كثيرة للتطوع فى جيش التحرير المصرى ومن بينها طلبات من مواطنين روس •

وتم تدريب جيش التحرير على حرب العصابات بالذخيرة الحية• وكان الجيش يرابط فى مواقع معينة من الاسكندرية الى كفر الدوار الى رشيد • وقد قامت معسكرات كفر الدوار بتخريج الالوف من عمال المصانع والفلاحين والموظفين والتجار والمحامين ولم يقتصر التدريب على اطلاق النار أو اصابة الهدف على الرجال البالغين •• بل لقد تطوع عدد كبير من الاطفال لايزيد عمرهم عن اثنى عشر عاماوأجادوا اطلاق النار واصابة الهدف • ان الروح الوطنية هى التى شحذت الهمم وحب الوطن والايمان به وبالمبادىء التى نعيش من أجلها هى التى كانت رائدنا وهى التى قادتنا فى طريق الكفاح وهى التى جعلتنا ننتصر فى النهاية •

وكان جيش التحرير دائما على أهبة الاستعداد لمواجهة أى هجوم فى أى لحظة •

ان شعبا كانت هذه روحه المعنوية تجاه التهديدات باستخدام القوة العسكرية من دول درجت على أن تسمى نفسها دول عظمى ، لجدير بأن ينتصر فى أى معركة يخوضها لانه لايحارب بقوة السلاح فحسب، وانما يعتبر قتاله فى سبيل مبادئه استشهادا ،فلم يكن ليضن فى هذه الحرب بروحه ودمه فى سبيل نصرة الوطن • ومن كان هذا رائده ، فانه لابد أن ينتصر أو يهلك فى سبيل احراز النصر ، ولكنه لايمكن أن ينهزم •

(١٠)

العــــدوان السياسى

١ - مؤتمر وزراء الخارجية

ونصل الآن الى مرحلة جديدة من مراحل العدوان على مصر وذلك ان بريطانيا سعت الى عقد المؤتمرات فى لندن ودعت اليها الدول الصديقة للاستعمار أو التابعة له ، والتى يستطيع أن يفرض سياسته عليها ، أو يطمع فى معاونتها له ، وهو يرمى من وراء ذلك الى أن يجمع حوله رأيا عاما دوليا ، يخدم سياسته ويشد أزره فى موقفه ويظهره بمظهر صاحب الحق المعتدى عليه ·

وفى الوقت الذى كانت تجتمع فيه بعض دول الغرب فى هيئه مؤتمر لمحاولة ايجاد حل لمشكلة تأميم القناة وهى فى الواقع لم تكن مشكلة وانما كان قرارا « حكيما » صادرا من سلطة مصرية مختصــــة بتأميم شركة مساهمة مصرية ، ولكن الروح الاستعمارية جعلت من قرار داخلى أصدرته مصر بمحض سيادتها ، مشكلة دولية تحير دول الغرب دون أن يجدوا لها حلا موفقا ، فى هذا الوقت بالذات سارعت أغلب الدول الى تأييد قرار الرئيس جمال عبد الناصر بتأميم شركة قناة السويس ، وهذه الدول هى ســــوريا ولبنان والاردن والعراق والمملكة العربية السعودية واليمن وليبيا وتونس ومراكش واليونان ويوغوسلافيا وتشيكوسلوفاكيا وبولندا ورومانيا والمجر وبلغاريا وروسيا والصين الشعبية والهند وباكستان وأندونيسيا · ولم تعارض قرار التأميم سوى بريطانيا وفرنسا وكندا وأستراليا وجنـــوب أفريقيا · وبهذا يكون دول الكومنولث نفسها لم تتفق على رأى واحد

فى معارضة قرار التأميم ، بينما أجمعت الكتلة الاسيوية الافريقية على تأييد القرار والوقوف وراءه بكل قوة .

ولعل بريطانيا بعد أن أصدرت قرارها بتجميد الارصدة الاسترلينية والاموال المصرية فى بريطانيا ، كانت تشعر فى قرارة نفسها أن هذا القرار لم يزعزع ايمان مصر بمبادئها ، ولن يثنيها عن المضى فيما عزمت عليه رغم تكرار تهديدها باستخدام القوة العسكرية وان قرار التأميم لازالت تحس بريطانيا ومن يجرى فى فلكها بأنه ضربة خطيرة .

لذلك اجتمع فى لندن فى ٣٠ يوليو سنة ١٩٥٦ سلوين لويد وزير الخارجية البريطانية وروبرت مورفى الوكيل المساعد لوزارة الخارجية الامريكية وكريستيان بينو وزير خارجية فرنسا وأصدروا بلاغا جاء فيه ان المجتمعين متفقون على خطورة الموقف وضرورة المحافظة على استخدام القناة لصلحة جميع الدول البحرية بوصفها ممرا دوليا وبمقتضى شروط اتفاقية سنة ١٨٨٨ .

وقالوا ان الشركة العالمية لقناة السويس كانت دائما ذات طابع دولى سواء أكان ذلك بالنسبة لحملة أسهمها أو بالنسبة لمديريها أو موظفيها الذين يديرونها ، كما كانت كذلك بالنسبة لمسئولياتها لضمان استخدام قناة السويس كممر مائى دولى على الوجه الاكمل .

وتضمن البلاغ انهم لاينازعون فى حق مصر فى أن تتمتع وتمارس كل سلطات الدولة المستقلة ذات السيادة بما فى ذلك الحق المعترف به عامة فى ظروف مناسبة لتأميم الاموال التى لاتتعلق بها مصلحة دولية والتى تخضع لسلطانها السياسى ولكن العمل الحالى ينطوى على شىء أبعد كثيرا من مجرد عمل بسيط من أعمال التأميم . انه ينطوى على استيلاء تعسفى ومن جانب دولة واحدة على وكالة دولية واحدة على وكالة دولية مسئولة عن صيانة وادارة قناة السويس

حتى يستطيع كل الموقعين والمنتفعين من معاهدة سنة ١٨٨٨ التمتع فعلا باستخدام ممر مائي دولي يعتمد عليه اقتصاد وتجارة وأمن الجانب الاكبر من العالم •

واعتبر الوزراء أن العمل الذى قامت به حكومة مصر يهددحرية وأمن القناة • ولذلك اقترحت الدول الثلاث عقد مؤتمر عاجل يحضره ممثلو الدول الموقعة على اتفاقية سنة ١٨٨٨ وغيرها من الدول ذات المصالح العامة فى استخدام قناة السويس • وأن الدعوى لعقد هذا المؤتمر فى لندن يوم ١٦ أغسطس ستوجهها حكومة المملكة المتحدة الى الدول الموقعة على اتفاقية سنة ١٨٨٨ وهى مصر وفرنسا وايطاليا وهولندا واسبانيا وتركياوالمملكة المتحدة وروسيا • أما الدول ذات المصلحة فى استخدام قناةالسويس فهى المانياواليونان وسيلان والهند وأندونيسيا وايران واليابان ونيوزيلندا والنرويج وباكستان والبرتغال والسويد والولايات المتحدة •

وقد تلقت وزارة الخارجية المصرية مذكرة الحكومةالبريطانيةالتى تتضمن نص البيان الصادر من حكومات الولايات المتحدة الامريكية والمملكة المتحدة وفرنسا فى مؤتمر وزراء الخارجية حول تأميم مصر لشركة قناة السويس •

وأصدرت الحكومة المصرية بيانا بالرد على هذه المذكرة متضمنا الرد على الدعوة لحضور المؤتمر المقترح عقده فى لندنيوم ١٦ أغسطس سنة ١٩٥٦ •

وفى ١٢ أغسطس ردت مصر بأنها لاتوافق على ماجاء بالمذكرة البريطانية من أن شركة قناة السويس كان لها دائما طابع دولى ، اذ أن هذه الشركة طبقا لاتفاقية سنة ١٨٨٨ جنسيتها وصفتها مصرية بحتة ، ولا يمكن أن تكون غير ذلك وبالتالى تسرىعليها حتما القوانين المصرية وأن قرار التأميم لم يكن اجراء تعسفيا كما قال وزراء الخارجية الثلاث ، وانما هو قرار صادر من الحكومة المصرية

بمقتضى حقها فى السيادة وأى محاولة لاعطاء شركة قنـاة السويس صفة دولية ليس الا تبريرا للتدخل فى شئون مصر الداخلية وأن أى محاولة للربط بين شركة قناة السويس وحرية الملاحة فى القناة لأمر يدعو للمزيد من الشك لان شركة قنـاة السويس لم تكن مسئولة فى أى وقت من الاوقات عن حرية الملاحة فى القناة واتفاقية سنة ١٨٨٨ وحدهـا التى تنظم حرية الملاحة فى القناة والحـــكومة المصرية هى التى تصون هذه الحرية بمقتضى سلطانها على أرضها التى تمـــر بها القناة وتعتبر جزء لا يتجزأ منها وان الحـــكومة المصرية تعتبر اقتراح اقامة لجنة دولية لادارة القنـــــاة وضمان حرية الملاحة فيها ليس الا تعبيرا مهذبا عما ينبغى تسميته بالاستعمار الدولى وترمى من ورائه حكومات البيان الثلاثى الى اغتصاب حق من صميم حقوق مصر ومن صميم سيادتها • ومثل هذا الاقتراح يبين ان الهـدف من المؤتمر هو التدخل السافر فى الشئون الداخلية لمصر التى لا تدخل فى اختصاص أى مؤتمر •

وأشار البيان الى قرار الدول الثلاث بتجميد الاموال المصرية فى بنوكها وهى بهذا القرار تخرق الاتفاقات الدولية وميثاق الامم المتحدة وتستخدم الضغط الاقتصادى ضد الشعب المصرى أو البلد الذى حفر القناة وفقد من أبنائه مائة وعشرين الفا علاوة على تحمله نفقات حفر القناة •

واستنكر البيان بشدة ما أعلنته كل من بريطانيا وفرنســا من تعبئة الاحتياطى أو تحرك قواتها وأساطيلهما لان هذا تهديد للشعب المصرى حتى يتنازل عن جزء من أراضيه أو سيادته للجنة دولية هى فى الحقيقة استعمار دولى وهذا من شأنه تهديد السلام والامن العالميين مما يتعارض مع ميثاق الامم المتحدة الذى تعهدت انجلترا وفرنســا باحترامه •

أما عن الدعوة للمؤتمر فان الحكومة المصرية لتعجب من أن بريطانيا قررت الدعوة لمؤتمر يبحث الامور الخاصة بقناة السويس التى هى جزء لا يتجزأ من مصر بدون أى تشاور مع مصر وهى الدولة صاحبة الشأن المباشر • انفردت حكومة المملكة المتحدة بتحديد الدول التى تحضر المؤتمر وهى ٢٤ دولة ، علما بأن عدد الدول التى استخدمت القناة عام ١٩٥٥ ليس أقل من ٤٥ دولة ، فان هذا المؤتمر لا يعتبر مؤتمرا دوليا مختصا باصدار قرارات • كما أن هذا المؤتمر ليس من حقه أن يبحث فى أى أمر يتعلق بسيادة مصر أو بسيادة جزء من أراضيها • وبناء على ذلك فان الدعوة لمثل هذا المؤتمر لا يمكن أن تقبلها مصر •

وأبدت الحكومة المصرية استعدادها للعمل على عقد مؤتمر منها ومن بقية حكومات الدول التى تمر سفنها بقناة السويس وذلك لاعادة النظر فى اتفاقية القسطنطينية سنة ١٨٨٨ وللبحث فى عقد اتفاق بين تلك الحكومات جميعا يؤكد من جديد ويضمن حرية الملاحة فى قناة السويس •

وهكذا أوضحت مصر فى ردها عدة حقائق •

أولا — ان قرار التأميم هو قرار صادر من الحكومة المصرية بمقتضى حقها فى السيادة •

ثانيا — ان شركة القناة طبقا لاتفاقية سنة ١٨٨٨ جنسيتها وصفتها مصرية بحتة وبالتالى تسرى عليها القوانين المصرية ، وأى محاولة لاعطاء هذه الشركة صفة دولية ليس الا تبريرا للتدخل فى شئون مصر الداخلية •

ثالثا — ان الحكومة المصرية هى التى تصون حرية الملاحة فى القناة بمقتضى سلطانها على أرضها التى تمر بها القناة وتعتبر جزء لا يتجزأ منها •

رابعا — ان اقتراح اقامة لجنة دولية لادارة القناة وضمان حرية الملاحة فيها فهو فى حقيقته استعمار دولى •

خامسا ــ ان قرار تجميد الاموال المصرية فى بنوك الدول الثلاث هو خرق للاتفاقات الدولية وميثاق الأمم المتحدة وهو ضغط اقتصادى ضد الشعب المصرى ٠

سادسا ــ ان تحرك قوات بريطانيا وفرنسا وأساطيلهما وتعبئة الاحتياطى هو تهديد للشعب المصرى حتى يتنازل عن جزء من أراضيه أو سيادته للجنة دولية هى فى الحقيقة استعمار دولى وهذا من شأنه تهديد السلام والامن العالميين ٠

سابعا ــ ان مؤتمر لندن الذى قررت بريطانيا الدعوة اليه لم يشمل جميع الدول المستخدمة للقناة كما أنه ليس من حقه ان يبحث فى أى أمر يتعلق بسيادة مصر أو يمس سيادة جزء من أراضيها ٠

هذه هى الحقائق التى اوردتها الحكومة المصرية فى ردها على مذكرة الحكومة البريطانية فى شأن الدعوة لمؤتمر لندن التى رفضتها مصر ٠ واقترحت الحكومة المصرية عقد مؤتمر منها ومن بقية حكومات الدول التى تمر سفنها بقناة السويس لاعادة النظر فى اتفاقية سنة ١٨٨٨ لضمان حرية الملاحة فى قناة السويس ٠

وسوف نتبين فى الصفحات التالية أن دول العالم كله ممثلة فى الجمعية العامة لهيئة الامم المتحدة قد اقرت هذه الحقائق وجعلتها أساسا للمفاوضة لحل أزمة القناة ولكن قطع العدوان المسلح على مصر طريق المفاوضة ٠

ولو أن بريطانيا نزعت من رأسها فكرة الاستعمار ودرست هذه الحقائق دراسة سليمة واقتنعت بها اذا لتجنبت العدوان المسلح على مصر ولوقف عدوانها على مصر عند هذا الحد ٠

وهناك حقيقة أخرى غابت عن ذهن الاستعمار وهى أنه لاحرية للملاحة فى قناة السويس الا بضمان حكومة مصر وشعب مصر لهذه الحرية ٠

(١١)

٢ ـ مؤتمر لندن الاول

وفي يوم ١٦ أغسطس سنة ١٩٥٦ وهو اليوم المحدد لعقد مؤتمر لندن ، وقف الاحرار في العـــالم خمس دقائق حدادا وقت افتتـــاح مؤتمر لندن . وأضرب الطلبة الافريقيون والآسيويون والعرب في لندن ، ووقفوا أمـــام باب المؤتمر يهتفون بسقوط الاستعمار .

وفي جلسة افتتاح المؤتمر أعلن دالاس وزير خارجية الولايات المتحدة أن أمريكا لن تستعمل القوة ضد مصر وتعـــارض في أن تستعمل بريطانيا وفرنسا القوة ضد مصروأعلنمشروعالغربتدويل القناة . ويتضمن المشروع ان تدار القناة تحت اشراف هيئة دولية طبقا لمعاهدة سنة ١٨٨٨ والاعتراف بحق مصر في الحصـول على دخل عادل من القناة ومنح حملة الاسهم تعويضا عادلا .

وأيد سلوين لويد وزير خـــارجية بريطانيا مشروع دالاس وطالب المؤتمر بوضع مبادىء تحقق نوعا من النظام الدولي للقنـــاة وتعرض هذه المبادىء على الحكومة المصرية .

واقترح شبيلوف الوزير الروسي ورئيس وفد روســـيا في المؤتمر ، عقد مؤتمر آخر على نطاق أوسع .

وقال ان المؤتمر كان يجب أن يعقد في القاهرة وليس في لندن وان القاهرة هي أنسب مكان لمؤتمر يبحث مشكلة قنـــاة السويس .

وأعلن ان المؤتمر لا يملك مناقشة تأميم القناة لأن اختيـــار

الدول الاعضاء تم بطريقة يضمن بها تأييد مقترحـــات الغرب ٠ وأيدت روسيا موقف مصر واعترض الاتحاد السوفييتي وأندونيسيا في مناقشة مسألة قناة السويس على أسس دولية لا سيما وان مصر والدول الأخرى المعنية بالامر غير ممثلة في المؤتمر وأيدت روسـيا رفض مصر للاشراف الدولي على القناة باعتباره انتقاصا من سيادة مصر وكرامتها ٠ ودعا شبيلوف الى عقد معاهدة جديدة لضـــمان حرية الملاحة في القناة وحقوق مصر وايجـــاد تعاون دولي مع مصر لضمان استقرار الرسوم التي تدفعها السفن التي تعبر القنـــاة ٠ والاتفاق على أن القناة يجب ألا تصبح مبعثا للتهديد بعمليـــات حربية أي لا تكون منطقة قاعدة حربيـــة كالقاعدة التي كانت تستخدمها بريطانيا هناك ٠

وتوالت المقترحات من الدول المختلفة الاعضاء في المؤتمـــر بادخال تعديلات على مشروع « دالاس » بتدويل القناة ، ولـــكن كل هذه المقترحات لم يكن لها أية قيمة أمام تأكيدات الرئيس جمال عبد الناصر وهو يتكلم من مصر ، وبعيدا عن مؤتمر لندن ولكنــه مؤمن بقوته ٠٠ قوة الحق الذي يتمسك به ٠٠ وقوة الشعب الذي يقف وراءه ٠٠ ويعلن الرئيس مرة أخرى أن مصر لن تقبل قيـــام هيئة دولية لادارة القناة لان ذلك سيكون اعتداء على ســـيادتنا وكرامتنا فان القناة جزء من أرض مصر ونحن أصحاب الشأن فيها ٠

وهكذا رفضت مصر مبدأ الاشتراك في المؤتمر من ناحيـة ، كما أنها رفضت مبدأ الاشراف الدولي على القناة من ناحية أخرى ولا يهم بعد ذلك أن يتخذ الاشراف الدولي أية صورة من الصور ٠ وأعلنت مصر انها ترفض أي مشروع لا يتفق مع سيادتها وان مشروع دالاس فيه اعتداء على هذه السيادة ٠

ولعله من المفيد ان نشير الى اقتراح دول الغرب الثلاث والنقط

الاربع التى يقوم عليها والتى أوضحها مستر دالاس فى اجتماعات المؤتمر وهى :

١ ـ مجلس ادارة دولى يكون مسئولا عن ادارة اعمال القناة ٠ وهذا المجلس الذى تشترك فيه مصر سوف يرتبط بالامم المتحدة ويمكن نظريا السماح للمصريين بادارة القناة على أن يقبلوا القيام بذلك لحساب المجلس المذكور ٠

٢ ـ أن تحصل مصر على نصيب عادل من دخل القناة ٠

٣ ـ أن يحصل حملة أسهم الشركة المنحلة على تعويض عادل

٤ ـ أن تبتعد القناة بصفة دائمة عن مناطق السياسة الدولية ٠

ومن المفهوم طبعا أن مصر رفضت مقترحات دالاس لانها ترفض أساسا قبول الادارة الاجنبية للقناة ٠

وكذلك أعلن سلوين لويد وزير خارجية انجلترا وجهة نظر بريطانيا فى تأميم قناة السويس وفى المشروع الغربى والاسس التى يرى أن تتم على أساسها التسوية النهائية لازمة قناة السويس وهى تنحصر فيما يلى :

١ ـ دفع تعويضات عادلة لحملة اسهم شركة قناة السويس المؤممة ٠

٢ ـ عمل الترتيبات الخاصة بشأن ادارة قناة السويس ادارة فنية فعالة ، فهذه القناة لا تعود بالفائدة على اقتصاد الدول الغربية وحدها بل وعلى كثير من الدول الآسيوية أيضا ٠

٣ ـ وجوب بقاء قناة السويس بمنأى عن التأثيرات السياسية ٠

٤ ـ وجوب اقامة نوع ما من النظام الدولى .

وطلب مستر سلوين لويد أنه بعد موافقة المؤتمر على هــــذه الاسس أن تعرض هذه المبادىء على الحكومة المصرية .

والواضح مما تقدم أن وجهة نظر دول الغرب تدور حول فكرة تدويل القناة أى لا تنفرد مصر بادارتها . ولما كانت مصر ترفض هذا الاقتراح فقد تراجعت هذه الدول وعدلت مقترحاتها وقـــدم مستر دالاس مشروعا جديدا خلا من الاشارة الى مجلس ادارة دولى لادارة قناة السويس واستبدل ذلك بمجلس ادارة قناة الســـويس لادارة القناة وصيانتها وتحسينها .

وقد أدخل وزراء خارجية الباكستان وتركيا وايران تعديلات على هذا المشروع تنحصر فيما يلى :

١ ـ يضاف الى المشروع أن يحرص النظام الذى سيتبع فى ادارة القناة على احترام سيادة مصر .

٢ ـ توضع عبـــــارة أن المؤتمر يفترض أن مصر ستدفع التعويضات الى الشركة المؤممة .

٣ ـ توضع عبارة « ينبغى مفاوضة مصر فى عقد اتفاق » .

٤ ـ ينص فى المشروع على أنه سيحدد فى الاتفاق المقترح عقده شكل « مجلس الادارة » الذى سيعهد اليه بادارة القناة .

وقد عارضت مشروع دالاس بعد التعديلات التى ادخلت عليه خمس دول هى روسيا والهند واسبانيا واندونيسيا وسيلان .

وايدت هذا المشروع بعد تعديله ووافقت عليه ١٧ دولة هى استراليا والدانمرك واثيوبيا والمانيا الغربية وايطاليـــا واليابان وهولندا ونيوزيلندا والنرويج وباكستان وايران والبرتغـــال

والسويد وتركيا وبريطانيا وفرنسا وبلجيكا ٠٠ يضاف اليهـــم امريكا صاحبة المشروع ٠

اما مصر فقد اعلنت انها ترفض أى مشروع لا يتفق مـــع سيادتها الكاملة وان مشروع دالاس فيه اعتداء على هذه السيادة ٠
لذلك قدم كريشنا مينون مندوب الهند فى المؤتمر اقتراحـــا يتضمن ما يلى :

١ ــ ان يقوم مؤتمر لندن بالاعتراف بسيادة مصر وملكيتها للقناة التى تربط اوربا وآسيا وافريقيا والتى كانت تحت الادارة الغربية منذ سنة ١٨٨٨ ٠

٢ ــ اعلان ان للقناة أهمية دائمة لجميع دول العالم ٠

٣ ــ ان يطلب الى مصر الانضمام الى مؤتمر اوسع نطاقا يعهـــد اليه ان يحتفظ بالوضع الدولى للقناة فى معاهدة جديدةتضع تدابير جديدة لادارتها واستخدامها وتحسينها فى المستقبل٠

غير ان هذا الاقتراح الهندى لم يلق تأييدا من الدول اعضاء المؤتمر فيما عدا روسيا التى اعلنت ان أى حل لازمة القناة يجب ان يقوم على احترام سيادة مصر باعتبارها صاحبة القناة وحامية الملاحة فيها ٠ واتخذت حكومة الاتحاد السوفيتى قرارا بتأييدالاقتراح الهند ٠ وايدت حكومة الاتحاد مصر فى موقفها فى أزمة القناة ٠

وانتهى مؤتمر لندن فى ٢٣ أغسطس سنة ١٩٥٦ دون ان يتفق المجتمعون على مشروع قرار من القرارات التى اقترحتهـــا بعض الدول الاعضاء فى المؤتمر وقرر المؤتمران تبلغ وزارةالخارجية البريطانية الى السفارة المصرية نصوص جميع محاضر المؤتمر وان يحمل وفد من خمس دول المشروع الذى وافقت عليه ١٨ دولة الى مصر ٠ وكان مفهوما ان هذا الوفد ليست له سلطة توجيه انذار

لمصر بقبول هذا المشروع لان مؤتمر لندن نفسه لم يكن يملك اتخاذ اية قرارات تكون ملزمة لمصر ٠

وقد تسلمت السفارة المصرية فى لندن صور جميع محاضر جلسات مؤتمر لندن ٠

(١٢)

٣ ـ لجنـــة الخمســـة

وتلقت الحكومة المصرية فى ٢٤ أغسطس مذكرة من مستر منزيس رئيس وزراء استراليا باسم لجنة الخمسة الممثلة للثمانى عشرة دولة التى وافقت على مشروع دالاس بعد تعديله فى مؤتمر لندن ـ تبدى رغبتها فى الاجتماع بالرئيس جمال عبــــد الناصر لعرض وجهة نظر الدول المذكورة فى مسألة قناة السويس .

وقد وافقت مصر على طلب اللجنة مقابلة السيد الرئيس عبد الناصر لهذا الغرض واعلنت مصر أن اجتماع اللجنة بالرئيس لايلزم مصر بقبول مشروع الغرب كأساس للمفاوضات . وسلم رد مصر رسميا الى رئيس وزراء استراليا يوم ٢٨ أغسطس

وفى مؤتمر صحفى عقده الرئيس جمال عبد الناصر فى ٢ سبتمبر صرح سيادته بأنه يرحب بأى حل لمشكلة القناة لا يمس السيادة المصرية . وان مصر تفضل الاعتماد على الرأى العام العالمى على الذهاب الى مجلس الامن . ووصف محادثاته مع لجنة الخمسة بأنها ستكون مناقشات أكثر منها مفاوضات .وأكد سيادته ان مصر لن تقبل الاشراف الدولى على القناة لانه لن يكون الا استعمــــارا جماعيا .

وحضرت اللجنة الخماسية الى مصر واجتمع السيد الرئيس عبد الناصر باعضاء اللجنة وابلغت مصر نص مشروع دالاس بشأن القناة . وصرح منزيس رئيس اللجنة انه يحاول ان يؤدى عملانافعا وانه يريد حلا للمشكلة .

وقد رفض الرئيس عبد الناصر مقترحات دالاس الاشراف

الدولي على القناة . ثم تأجلت الاجتماعات بين الرئيس عبد الناصر ولجنة الخمسة . واتصل مستر منزيس بالسفير الامريكي والسفير البريطاني في مصر . وكان مفهوما ان مهمة اللجنة في مصر هي ايجاد نقطة تبدأ عندها المفاوضات وليست مكلفة بتسوية مسألة القناة ولا تقديم انذار لمصر وانما البحث عن ضمانات لحرية الملاحة في القناة .

وسافرت اللجنة في ٩ سبتمبر الى بريطانيا لتقديم تقريرها بنتيجة مقابلاتها مع الرئيس عبد الناصر الى مستر سلوين لويد وزير خارجية بريطانيا ورئيس مؤتمر لندن .

وفي نفس الوقت اذاعت مصر ردها على المشروع الغربي الذي قدمته لجنة الخمسة . واعلنت مصر ان نقطة البداية في الازمـــة الحالية بدأت في ٢٦ يوليو سنة ١٩٥٦ عندما اممت حكـــومة مصر الشركة التي تحمل اسم «الشركة البحرية العالمية لقناة السويس» ممارسة في ذلك احد حقوقها الخاصة وان حق مصر الكامل في تأميم تلك القناة المصرية لايمكن ان يكون موضع منازعة جدية . وان مصر صرحت بأنها تعتبر نفسها مقيدة باتفاقية سنة ١٨٨٨ التي تضمن حرية العبور خلال قناة السويس واستعدادها لمنح تعويض كامل ، وعادل لحملة الاسهم كما اعلنت في ١٢ أغسطس استعدادها لان تعقد مع بقية الحكومات الموقعة على اتفاقية القسطنطينية في عـــام ١٨٨٨ مؤتمرا تدعى اليه الحكومات الاخرى التي تمر سفنها عبر قناة السويس بقصد اعادة النظر في اتفاقية القسطنطينية والبحث في ابرام اتفاقية جديدة بين كل تلك الحكومات لاعادة تأكيد وضمان حرية العبور في قناة السويس .

واشار الرد الى ان الازمة وما يسمونه بالموقف الخطير انما هو نتيجة لما يأتي :

(أ) تصريحات تتضمن تهديدا باستخدام القوة .

(ب) تعبئة وتحركات القوات التابعة لفرنسا والمملكة المتحدة .

(ج) تحريض المستخدمين والمرشدين الذين يعملون في قناة السويس على التخلص فجأة من عملهم وذلك بوساطة فرنسا والمملكة المتحدة وبعض موظفي شركة قناة السويس السابقة .

(د) الاجراءات الاقتصادية العدائية التي اتخذت ضد مصر .

ومع ذلك فان حكومة مصر قد اعلنت استعدادها التام للتفاوض للوصول الى حل سلمي يتفق مع اغراض ومبادىء ميثاق الامم المتحدة، ولا تزال هذه هي سياسة ونية الحكومة المصرية .

ومصر على اتفاق مع الدول الثماني عشرة عند ما تقرر ان الحل يجب ان يتضمن :

(أ) احترام حقوق مصر .

(ب) حماية حرية عبور قناة السويس وفقا لاتفاقية القناة الموقعة في ٢٩ اكتوبر سنة ١٨٨٨ .

(ج) احترام حق مصر في ملكية القناة .

(د) ضمان ادارة القناة وصيانتها وتحسينها بكفاءة .

ومع ذلك فان النظام المقترح وهو تولى ادارة القناة بوساطة لجنة دولية ينظر اليه شعب مصر ويعده عملا عدائيا، وانه يمس حقوقه وسيادته مما يؤدى الى عرقلة التعاون الحقيقي . خاصة وان حكومة مصر في الواقع هي التي حمت ولا تزال تحمي حرية العبور في القناة .

ان اقتراح تدويل قناة السويس والقول بان مندوبي اية دولة

ستمثل في مجلس الادارة المقترح لقناة السويس يجب الا يكونوا ملتزمين بمراعاة أية تعليمات سياسية ، علما بأنهم سيكونوا رعايا لدولهم ورعايا لحكوماتهم وليس من المحتمل قط ان يكونوا محصنين ضد تأثير مثل هذه العلاقة • وان ، عزل القناة عن السياسة يمكن ضمانه بصورة افضل بوساطة التزام دولى جدى فى صورة ما إما بإعادة تأكيد او تجديد الاتفاقية سنة ١٨٨٨ وكلاهما مقبول من مصر • هذا وحكومة مصر مستعدة للدخول فى اجراء ملزم يتعلق بوضع رسوم وعوايد عادلة ملائمة • ومصر مستعدة لتحسين القناة وإدارتها وان حكومة مصر تنتفع وستكون دائما على استعداد لان تنتفع بمعرفة وخبرة كبار الخبراء الممتازين من جميع انحاء العالم ، وان سياستنا هى ان هيئة ادارة قناة السويس هيئة مستقلة ذات ميزانية مستقلة تتمتع بكل السلطات اللازمة دون ان تحدها القوانين والانظمة الحكومية كما أننا أعلنا عن عزمنا على أن ، تخصص نسبة مئوية كافية من دخل القناة لتحسينها مستقبلا وتحويل جزء آخر من الدخل اللازم لمثل هذه التحسينات الى نواح أخرى •

وانتهى رد مصر الى ان اقتراح دول الغرب الغرض منه اخذ قناة السويس من ايدى مصر ووضعها بين بعض الايادى الاخرى وأعلن الرد أن سياسة الحكومة المصرية هى كما يلى :

(أ)حرية عبور قناة السويس وضمان استخدامها دون تفرقة •

(ب)تحسين قناة السويس لمواجهة احتياجات الملاحة مستقبلا •

(ج)تقرير رسوم وعوائد عادلة وملائمة •

(د)كفاءة فنية لادارة قناة السويس •

وعلى هذا الاساس ستكون قناة السويس بعيدة عن السياسة، وحلقة للتعاون والمنفعة المتبادلة وزيادة التفاهم بين دول الأرض •

ما أوضحتها تلك السياسة التى تنتهجها مصر . تلك السياسة التى تتجه الى اقرار السلام العالمى والتبصير بالخطوات العدائية التى اتخذتها وما زالت تتخذها بريطانيا وفرنسا ضد مصر . تلك الخطوات التى خلقت الموقف الخطير الذى تتشدق به بريطانيا وفرنسا . وليس تأميم شركة القناة المصرية احد هذه الخطوات ولا يمكن أن يكون احد ها أو يؤدى اليها . وانما هى السياسة الخرقاء سياسة القوة التى كانت تعتمد عليها بريطانيا فى وجودها بالشرق الاوسط ، وكانت تزعم لنفسها رسالة خاصة فى هذه المنطقة ولكن الاستمرار فى هذا الزعم واستخدامها لسياسة القوة مع الشعوب المتحررة هو الذى خلق موقفا خطيرا فى الشرق الاوسط .

ان مصر كانت تبغى أن ترجع بريطانيا وفرنسا عن الطريق الذى تسلكانه والذى يؤدى بهما الى خوض غمار حرب ليس من مصلحة احد الدخول فيها . لذلك ارسلت الحكومة المصرية فى ١٠ سبتمبر سنة ١٩٥٦ مذكرة الى دول العالم والى سكرتير عام الامم المتحدة تقترح فيها حلا لازمة القناة لان مصر احرص ما تكون على صون السلام العالمى ، وقد جاء فى هذه المذكرة ما يلى :

ان جوهر المقترحات التى قدمتها الى المؤتمر حكومات الولايات المتحدة الامريكية والباكستان وتركيا وايران والحبشة والتى ايدتها ثلاث عشرة دولة اخرى وقامت بتقديمها الى الحكومة المصرية فى ٣ سبتمبر سنة ١٩٥٦ لجنة خماسية برئاسة المستر روبرت جوردن منزيس رئيس وزراء استراليا والتى قامت ايضا بشرح وجهة نظر الحكومات المؤيدة لها ـ جوهر هذه المقترحات اقامة رقابة دولية بدلا من رقابة مصر على القناة .

وان الحكومة المصرية تلفت النظر الى انها قد اعلنت فى ١٢ اغسطس سنة ١٩٥٦ عن استعدادها لان تقوم بالاشتراك مع

الحكومات الاخرى الموقعة على اتفاقية القسطنطينية سنة ١٨٨٨ بالدعوة لى مؤتمر لاعادة النظر فى هذه الاتفاقية والبحث فى عقد اتفاق لضمان وتأكيد حرية الملاحة .

واعلنت مصر فى مذكرتها انها تعتقد بامكان ايجاد حلول دون مساس بسيادة مصر او كرامتها للمسائل المتعلقة بما يأتى :

(أ)حرية وسلامة الملاحة فى القناة .

(ب)تنمية القناة لمواجهة مقتضيات الملاحة فى المستقبل .

(ج)وضع رسوم عادلة .

وهذه مسائل تعنى جميع الدول التى تستخدم القناة وان مصر باعتبارها الدولة صاحبة السيادة والشأن ليست أقل اهتماماً بهذه المسائل من تلك الدول .

وتعتقد الحكومة المصرية ان ايجاد الحلول للمسائل السابقة يمكن الوصول اليه بوسائل المفاوضة السلمية .

واقترحت الحكومة المصرية كخطوة اولى تشكيل هيئة مفاوضة تمثل وجهات النظر المختلفة للدول التى تستعمل قناة السويس والمبادرة الى اجراء محادثات للاتفاق على تشكيل هذه الهيئة ومكان وموعد انعقادها ، ويمكن ان يعهد الى هذه الهيئة بمهمة اعادة النظر فى اتفاقية القسطنطينية سنة ١٨٨٨ .

وصرحت الحكومة المصرية بعزمها على مواصلة الجهود للوصول الى حل عن طريق التفاوض فى نطاق نص وروح ميثاق الامم المتحدة .

وقد رفضت بريطانيا رسميا اقتراح مصر بأن تقوم هيئة دولية تمثل الدول التى تستخدم قناة السويس باجراء مفاوضات

لحل أزمة قناة السويس وقال المتحدث بلسان وزارة الخـــارجية البريطانية انه لا بد وان اقتراح مصر يتضمن اى اساس جـــديد لاجراء مفاوضات ، وان خطوة مصر لم تغير الموقف باى حال من الاحوال .

هذا فى الوقت الذى نال فيه الاقتراح المصرى تأييد اغلبية دول العالم اذ تلقت وزارة الخارجية المصرية موافقـــة ٢١ دولة ووافقت عليه الدول العربية والدول الاسيوية .

وهكذا اوصدت بريطانيا باب المفاوضة الذى فتحته مصر على مصراعيه ليكون طريق السلام فى أزمة القناة ، وكأنما كـــانت بريطانيا تبيت أمرا فى نفسها وتعد العدة للعدوان المسلح ضـــد مصر .

(١٣)

٤ ـ مؤتمر لندن الثـــانى

اجتمع مؤتمر لندن الثانى فى ١٩ سبتمبر سنة ١٩٥٦ فى نفس المكان الذى شهد مؤتمر لندن الاول بقصر لانكستر • ورأس المؤتمر مستر سلوين لويد وزير خارجية بريطانيا وكان الغــرض من الاجتماع هو عرض مشروع انشاء جمعية مستخدمى قنــــــاة انسويس لاخذ موافقة الدول عليه تمهيدا لتنفيذه •

فبعد ان فشل مؤتمر لندن الاول فى الوصول الى حل لازمة القناة وفشلت لجنة الخمسة فى مهمتها الخاصة بايجاد نقطة تبدأ عندها المفاوضات مع مصر بعد ان عرضت اللجنة على الرئيس جمال عبد الناصر مشروع دول الغرب الذى وافقت عليه ثمـــانى عشرة دولة •

وبعد ان اعلنت مصر رسميا انها لاتقبل انشاء ادارة دولية لادارة قناة السويس فقد وضح لبريطانيا وفرنسا ان طريق العدوان السياسى الذى سلكاه والذى كان يرمى الى وضع مصر امام الامر الواقع ، عندما تحصلان على موافقة اجمالية من الدول الموقعة على اتفاقية سنة ١٨٨٨ ومن الدول المستخدمة لقناة السويس على تدويل القناة فتجد مصر نفسها فى الميدان الدولى وحيدة وبالتالى تجد نفسها مرغمة على الموافقة على تدويل القناة لان التجاءها لمجلس الامن أو هيئة الامم المتحدة لن يفيدها ما دامت بريطانيا وفرنســـا قد استطاعتا الحصول على موافقة اجماعية على مشروع تدويل القناة من الدول التى لها مصلحة فى استخدام القناة • وحتى اذا اعترضت مصر فانها لن تجد من يؤيدها فى موقفها ، وهكذا تظهر مصر امام

دول العالم بمظهر الدولة المعتدية ، بينما تظهر بريطانيا وفرنسا بمظهر الدولتين المسالمتين اللتين تنفذان ارادة الدول المنتفعة بالقناة وليس ارادتهما المنفردة أو مصلحتهما الخاصة وانما ينفذان السياسة التى وافقت عليها الدول المنتفعة بالقناة . ولا شك أن فى وضع رأى هذه الدول موضع التنفيذ ما يصون السلام العالمى .

هذا هو ماكانت ترمى اليه انجلترا وفرنسا من عقد مؤتمر لندن الاول فلما فشل هذا المؤتمر استمرت الدولتان فى سياستهما نحو تأليب دول العالم ضد مصر فى أزمة القناة فدعتا الى مؤتمر لندن الثانى واستبدلتا مشروع انشاء جمعية مستخدمى قناة السويس بمشروع تدويل القناة الذى لم يحظ بموافقة اجماعية كما ان مصر رفضته .

وقد دعى الى مؤتمر لندن الثانى نفس الدول التى دعيت الى مؤتمر لندن الاول .

وقد صرح سلوين لويد وزير خارجية بريطانيا فى المؤتمر ان بريطانيا لا تقبل حلا وسطاوانها لن تترك القناة تتحكم فيها دولة واحدة وان الدول الغربية غير ملزمة بتغيير مقترحاتها لان عبد الناصر رفضها .

وكان الاتجاه الغالب بين أعضاء المؤتمر هى محاولة حل النزاع بالوسائل السلمية .

وعرض دالاس وزير خارجية امريكا مشروع جمعية مستخدمى القناة وهو ينحصر فيما يلى :

١ ـ مهمة الجمعية الاشراف على تحسين القناة ومساعدة سفن دول الهيئة والسفن الاخرى على المرور .

٢ ـ للجمعية وكيل ادارة لشئون السفن له خبرة بحرية ، يقدم المرشدين ويساعد على تنظيم مرور السفن فى القناة او

يحولها اذا لزم الامر ٠ له سلطة الوكالة عن أصحاب السفن ٠ ويحصل ويدفع الاموال اللازمة ٠

٣ ـ تنشأ ادارة صغيرة للجمعية من أعضاء المؤتمر تعين الوكيل وتحدد سلطته وتبحث جميع الوسائل الخاصة باستخدام ناقلات البترول الكبيرة للمرور حول رأس الرجاء الصالح ٠

٤ ـ للجمعية رصيد متواضع يدفعه الاعضاء ويستردونه من رسوم المرور ٠

٥ ـ لاتطلب الجمعية اية ارتباطات من الدول الاعضاء ولكن الاعضاء يعملون على تعزيز هيبة الجمعية ٠

٦ ـ لايفرض على اى دولة الانضمام للجمعية ٠ وانشاء الجمعية حل مؤقت الى ان يوضع حل سلمى دائم ٠

واوضح مستر دالاس ان الدول وحدها هى التى ستتمتع بعضوية الجمعية وان مصر ستكون مسئولة عن الملاحة فى القناة وانه يأمل ان تصل الجمعية الى اتفاق على اساس الامر الواقع مع مصر ، وان التعاون المطلوب من مصر ان تسمح للمرشدين التابعين للجمعية بارشاد السفن التى تمر عبر قناة السويس ، وان رفض مصر السماح للسفن بالمرور بغير المرشدين المصريين سيخلق موقفا عصيبا ٠ وان سفن الجمعية ليس لديها مانع من ان يقودهامرشدون مصريون اذا اقتضى الامر ٠

وكان رأى وزراء خارجية السويد وايران واسبانيا والدنمرك فى المشرع المعروض عليهم بوصفهم اعضاء فى المؤتمر ان احسن حل هو اجراء مفاوضات مباشرة مع مصر ٠ وقال وزير خارجية اسبانيا ان اقتراح مصر بعقد مؤتمر لحل ازمة القناة بالوسائل السلمية هو افضل وسيلة لتسوية هذه المشكلة ٠

واعلن وزير خارجية باكستان فى المؤتمر ان بلاده لن تنضم لجمعية مستخدمى القناة وطالب بعدم المضى فى مشروع انشاء الجمعية واجراء مفاوضات مع مصر واذا رفض الرئيس جمال عبد الناصر المفاوضة تعرض القضية على مجلس الامن . واعلن انه يعارض بشدة وان مصر وحدها مسئولة عن حرية الملاحة فى قناة السويس .

اما كريستيان بينو وزير خارجية فرنسا فصرح بانه من المستحيل ترك القناة تحت سيطرة مصر . وان الالتجاء لمجلس الامن والامم المتحدة سيستغرق وقتا طويلا . وأعلن تأييده لانشاء جمعية المنتفعين بالقناة وموافقته على الالتجاء للامم المتحدة .

قد فشل دالاس فى اقناع وزيرى خارجية بريطانيا وفرنسا بمفاوضة مصر لحل ازمة القناة . وفى نفس الوقت فشل سلوين لويد وبينو فى ان يحصلا من دالاس على ادنى تعاون ممكن من جانب أمريكا تجاه ازمة القناة .

ولم توافق دول اسكندناوة الثلاث على مشروع انشاء جمعية مستخدمى القناة لأنه « كلام فارغ » وطالبت الدول الثلاث بعرض النزاع على الامم المتحدة .

والواضح مما تقدم ان مندوبى الدول الاعضاء فى مؤتمر لندن الثانى لم يجمعوا على رأى بالموافقة على مشروع دالاس بانشاء هيئة المنتفعين بالقناة . بينما اجمعوا على ضرورة عرض موضوع القناة على الامم المتحدة ولكن الاراء اختلفت حول تحديد الوقت المناسب لاتخاذ هذه الخطوة . فبينما يرى البعض ضرورة عرض الموضوع فورا على الامم المتحدة فان معظم الدول الاخرى يرى أنه لايجب عرض الموضوع الا اذا رفض الرئيس عبد الناصر ان يتعاون مع جمعية المنتفعين . هذا ولم توافق على مشروع دالاس غير تسع

دول من الثماني عشرة دولة التي وافقت على مشروع دالاس بتدويل القناة في مؤتمر لندن الاول .

ومعنى هذا ان الدول التي دعتها بريطانيا لحضور المؤتمر بقصد حملها على اصدار قرار ضد مصر في مشكلة القناة قد انقلبوا الى دعاة سلام يقرون وجهة نظر مصر في المفاوضة لحل ازمة القناة بالوسائل السلمية .

وهكذا فشل مؤتمر لندن الثاني ولم ينته الى رأى قاطع في الموضوع وان كان الواضح انه حبذ الالتجاء الى الامم المتحدة .

هذا هو الموقف داخل مؤتمر لندن الثاني . اما الموقف خارج المؤتمر فقد اصبح مفهوما من رجل الشارع في لندن ان الرئيس عبد الناصر قد استولى على قناة السويس وانه لا سبيل الى انهاء الازمة الا بالتفاوض مع عبد الناصر ، لان الالتجاء الى القوة اجراء غير مرغوب فيه والالتجاء الى الامم المتحدة خطوة غير مجدية ومرور السفن عن طريق رأس الرجاء الصالح اجراء يتكلف مبالغ طائلة .

وقد أعلن مستريتس النائب البريطاني المحافظ أن ادارة قناة السويس من صميم سيادة مصر وليس في استطاعة هيئة غير مصرية ان تقوم بهذا العمل ، وان جمعية المنتفعين تمس سيادة مصر وحقوقها في ادارة القناة كما ان مصر تعترف بمسؤوليتها الكبرى في حماية جميع السفن المارة بالقناة .

وقال ان الهستيريا القائمة في لندن وباريس حول تأميم القناة لا تتفق مع رأى دبلوماسية عاقلة والدول التي يهمها أمر الملاحة بالقناة يجب ان تعقد مؤتمرا لبحث هذه المسألة مع مصر خصوصا وان مصر هي الدولة الوحيدة التي في مركز تستطيع معه ضمان حرية الملاحة في القناة التي تجرى في ارض مصرية .

كما ان مصر ستعمل دائما على جعل القناة فى درجة عـــالية من الكفاءة ، والصلاحية لان رسوم القناة مورد دخل يهم مصر ان تزيده وان الحل الوحيد لازمة القناة هو مؤتمر يضم مصر والدول المنتفعة بالقناة على ان تضمن الامم المتحدة للدول مستخدمة القناة بقـــاء هذا الممر الحيوى مفتوحا دائما ، وان تقدم مصر لهيئة الامم ارقاما وحسابات تبين فيها المصاريف ومقدار ماينفق فى تحسين القناة ، والدخل الذى تحصله وان تكون هناك هيئة استشارية للشركـــة المصرية تقبلها مصر وأى شكوى خاصة بذلك الاتفاق الجـــديد تحال الى مجلس الامن او محكمة العدل الدولية ، كما ان التعاون بين مصر وجميع المنتفعين بالقناة سيحل تلك الازمة .

هذا هو رأى نائب بريطانى من حزب المحافظين يعلنه فى لندن وهو فى الواقع يردد ما سبق ان اعلنته مصر ، وهذا دليل على ان سياستنا سياسة سليمة لها اسانيد مقنعة واننا لم نعتد على حـق بلد من البلدان ولم يكن فى تصرفنا خطر يهدد السلام العالمى بل على العكس فان استقرار السلام العالمى كان يقتضى من انجـــلترا وفرنسا التسليم بحقنا رسميا بدل العدوان على حقوقنا .

وفى سيلان صرح سولومون بندرانيك رئيس الوزراء بأنـــه يستنكر تكوين جمعية المنتفعين بالقناة لانها ستؤدى الى عرقلة حل مشكلة القناة حلا سلميا .

وطلبت امريكا اجراء مفاوضات مباشرة مع الرئيس جمـــال عبد الناصر ، وقال دالاس انه على استعداد للاتصـــال بالرئيس المصرى اذا كانت بريطانيا وفرنسا على استعداد للجلوس معه امام مائدة مستديرة للوصول الى حل مرض لازمة القناة وان امريكـــا تعترض على استخدام القوة .

واعلن وزير خارجية ايطاليا فى مجلس النواب الايطالى ان

انضمام ايطاليا الى جمعية المنتفعين لا يتضمن تعهدات سياسية ، ولكن تعهدات فنية فقط . وذكر ان ايطاليا ستعمل من أجل حل ازمة قناة السويس عن طريق التباحث مستبعدة استخدام القوة .

وفى ايران اعرب الشاه عن امله فى ان تتم تسوية النزاع الخاص بقناة السويس بالوسائل السلمية ، والتى تضمن حقوق مصر وسيادتها . وانه يأمل ان تنجح الامم المتحدة فى تسوية المشكلة بطريقة تكفل بقاء القناة مفتوحة امام كل سفن العالم دون أى مساس بالسيادة المصرية .

وفى روسيا صرح الماريشال بولجانين بان بلاده ترحب بعقد اجتماع يضم رؤساء حكومات مصر والهند وفرنسا وبريطانيا والولايات المتحدة وروسيا لبحث مسألة قناة السويس وقال بولجانين ان هذا الاجتماع يستطيع الوصول لحل سلمى لازمة القناة خصوصا ان اقتراح مصر يفتح المجال لتسوية سلمية .

وقال المتحدث باسم وزارة الخارجية الاندونيسية ان هيئة المنتفعين بالقناة ستصبح هيئة غير المنتفعين بها . وقال ان النتيجة التى يمكن استنتاجها هى ان الهيئة لا تقوم على اساس قوى .

وقد اجتمعت اللجنة السياسية لجامعة الدول العربية وتداولت فيما جد من احداث بشأن مشكلة قناة السويس وما طرأ عليها من تطورات وابانت ان الازمة القائمة بشأن القناة تعنى البلاد العربية باجمعها وهى تنطوى على محاولة للاستيلاء على القناة بوسائل الضغط العسكرى على مصر ودول عربية اخرى الامر الذى يهدد سلامة الدول العربية وامنها وسيادتها وقررت اللجنة السياسية

أولا ــ ان الحل الذى دعا اليه رئيس الحكومة البريطانية بتأليف ما أسماه « هيئة مستعملى قناة السويس » غير مقبول لانه يخالف

مبادىء الامم المتحدة . ومن شأنه أن يؤدى الى الاخلال بالسلم العالمى وان قرارات مؤتمر باندونج التى التزمت بها جميع الدول ال ٢٩ الاعضاء فيه تنكر الوسائل العدوانية التى يقوم عليها المشروع الغربى بانشاء هذه الهيئة وان قبول الاشتراك فيها يعتبر نقضا لهذه القرارات وخروجا على مبادىء المؤتمر .

ثانيا – استنكار أسلوب التهديد والضغط السياسى والاقتصادى والعسكرى الذى لجأت اليه كل من بريطانيا وفرنسا للوصول الى غايتهما مما يقلق جميع الدول العربية .

ثالثا – تأييد دعوى مصر لايجاد هيئة مفاوضة والمطالبة بقبول مبدأ المفاوضة وحل النزاع بالطرق السلمية وفقا لميثاق الامم المتحدة .

رابعا – الدعوة الى جميع الطرق المنصوص عنها فى ميثاق الامم المتحدة واستنفاذها فى سبيل الوصول الى حل سلمى .

خامسا – تأييد الكتاب الذى وجهته الحكومة المصرية الى مجلس الامن يوم ١٧ سبتمبر بشأن موقفها من تأميم القناة وحرية الملاحة .

كنا اذن دعاة سلام وكانت بريطانيا وفرنسا دعاة حرب وكان الحق فى جانبنا وكنا نحظى بتأييد العالم أجمع فى أن أزمة القناة يتعين حلها بالوسائل السلمية وعن طريق المفاوضة . ولم يخرج عن هذا الاجتماع سوى بريطانيا وفرنسا اللتين كانتا تسيران بخطى واسعة فى طريق العدوان ضد مصر حتى وصلتا الى نهاية الطريق . بالعدوان المسلح .

ولعله من الطريف أن نذكر ان جريدة «صنداى تايمز» نشرت رسما كاريكاتيريا لجمعية المنتفعين اطلقت فيه على الجمعية اسم « جمعية الذين فقدوا قناة السويس » !!

ويجمل بنا فى نهاية الاستعراض الذى قدمناه لآراء الدول المختلفة بعد فشل مؤتمر لندن الثانى أن نشير الى تصريح أدلى به الرئيس جمال عبد الناصر لمندوبى وكالات الانبـــاء جاء فيه ، ان الخطوة التالية لحل أزمة القناة يجب أن تأتى من مستعملى القناة. فمصر أوضحت وجهة نظرها • ولا يزال من الممكن حل مشـــكلة القناة والوصول الى اتفاق حـــول حرية المـــلاحة وتحسين القناة وتوسيعها ووضع رسوم عادلة للمرور • ولا شك فى ان دخـــل القناة سيرفع الدخل القومى لمصر • وقال الرئيس ان مصر معاهمت فى التعايش السلمى بنبذها الاحلاف العسكرية واتباعها سياســـة عدم الانحياز والتمسك بمبادىء مؤتمرى باندونج وبريونى •

اذن موقفنا واضح ، سياستنا المساهمة فى التعايش السلمى، وموقفنا من القناة اننا اممنا القناة لانها حق لمصر ولم نعتد على أحد ونحن دعاة سلام نعرض حـــل أزمة القناة عن طريق المفاوضة ، وبالوسائل السلمية •

(١٤)

٥ ـ مؤتمر لندن الثالث

لقد أوضحت مصر وجهة نظرها فى أزمة القنـاة التى أعقبت صدور قانون تأميم شركة القناة فى ٢٦ يوليو سنة ١٩٥٦ وأسباب رفضها للدعوة التى وجهتها لها بريطانيا لحضور مؤتمر لندن الاول وذلك فى مذكرتها الى الحكومة البريطانية فى ١٢ أغسطس ٠ ثـم أعلنت مصر ردها على مشروع الغـرب بتـدويل القناة وأرسلت بمضمون وجهة نظرها مذكرة الى معظم دول العالم فى ١٠ سبتمبر اقترحت فيها تكوين هيئة للمفاوضة لحل أزمة القناة ٠

ويبدو ان ما بدا من اجماع الدول بعد فشـل مؤتمر لندن الثانى على ان أزمة القناة يجب أن تحـل بالوسائل السلمية وعن طريق المفاوضة ، دعا مصر الى أن تقدم مذكرة فى ١٧ سبتمبر الى مجلس الامن استعرضت فيهـا مراحل تأميم القناة باعتبارها شركة مساهمة مصرية وان هذا أمر من تصميم أعمـال السيادة وضمانها لحرية الملاحة ، وانها ستعوض حملة الاسهم تعويضا عادلا ـ ولـكن هذا الاجراء قوبل بتصريحات من كل من حكومتى فرنسـا والمملكة المتحدة تتضمن التهديد باستخدام القوة ، وتعلن عن تـدابير قامت بها هاتان الحكومتان للتعبئة ، وتحركات القوات المسلحة كمـا اتخذت تدابير اقتصادية معادية ضد مصر ٠ كما عمـدت حكومة فرنسا والمملكة المتحدة بالاشتراك مع بعض موظفى شركة قنـاة السويس السابقة الى تحريض الموظفين والمرشدين الذين يعملون فى قناة السويس على ترك عملهم محاولين بذلك عرقلة سير العمل فى القناة ٠ وقد وجهت حكومات فرنسا والمملـكة المتحدة والولايات المتحدة الامريكية الدعوى الى أربـع وعشرين دولة من بينها مصر

لحضور مؤتمر يعقد فى لندن للبحث فى اقتراح بانشاء ادارة دولية لقناة السويس .

وفى ١٢ أغسطس أعلنت الحكومة المصرية رفضها لحضور المؤتمر الذى عقد دون الرجوع الى مصر أو التشاور معها . ورغم ان مصر أعلنت استعدادها للاشتراك مع حكومات الدول الاخرى الموقعة على اتفاقية القسطنطينية سنة ١٨٨٨ فى الدعوى الى مؤتمر الاعادة النظر فى الاتفاقية فانه لم تجر حتى الآن أية مفاوضات مع مصر . وقد درست الحكومة المصرية المقترحات ووجهات النظر المختلفة التى أبديت حول مسألة قناة السويس فى مؤتمر لندن وخارجه .

وأعربت فى ١٠ سبتمبر عن ايمانها بأنه من الممكن ومن الواجب العمل على ايجاد حلول بالوسائل السلمية للمسائل المتعلقة بما يأتى :

(أ) حرية وسلامة الملاحة فى القناة .

(ب) تنمية القناة لمواجهة مقتضيات الملاحة فى المستقبل .

(جـ) وضع رسوم عادلة .

واقترحت الحكومة المصرية كخطوة أولى تشكيل هيئة مفاوضة تمثل فيها وجهات النظر المختلفة للدول التى تستعمل القناة والمبادرة إلى اجراء محادثات للاتفاق على تشكيل هذه الهيئة ، ومكان وموعد انعقادها ، ويمكن أن يعهد الى هذه الهيئة أيضا بمهمة اعادة النظر فى اتفاقية القسطنطينية سنة ١٨٨٨ .

وترى الحكومة المصرية أن تتألف هيئة المفاوضة هذه من ممثلين لمصر ولحوالى ثمانى دول من الدول المستعملة للقناة ويمكن الاتفاق على اختيار هذه الدول بالطرق الدبلوماسية وقد تلقت الحكومة

المصرية حتى الآن – أى حتى ١٧ سبتمبر – موافقة رسمية على مقترحاتها من احدى وعشرين دولة ٠

وأشارت مصر الى أن ما أعلنه رئيس وزراء المملكة المتحدة فى ١٢ سبتمبر سنة ١٩٥٦ أمام مجلس العموم من أن الحكومة البريطانية قد قررت بالاشتراك مع حكومات أخرى أن تقوم دون ابطاء بانشاء منظمة لتمكين المستعملين للقناة من مباشرة حقوقهم ٠ وان اتحاد المنتفعين بالقناة سيستخدم المرشدين وسيقوم بمهمة تنسيق المرور عبر القناة وان رسوم المرور ستدفع لاتحاد المنتفعين لا للسلطات المصرية ٠ كما ذهب الى التحذير بأنه اذا حاولت الحكومة المصرية التدخل فى عمليات اتحاد المنتفعين أو رفضت أن تقدم له القدر اللازم من التعاون فان هذه الحكومة ستعتبر انها خرقت مرة أخرى اتفاقية سنة ١٨٨٨ ٠

وقد أعلنت مصر ان اتحاد المنتفعين المقترح يتعارض مع كرامتها وحقوق سيادتها وتعده انتهاكا خطيرا لميثاق الامم المتحدة واتفاقية سنة ١٨٨٨ فان اتحاد المنتفعين من شأنه اقامة منظمة تخول نفسها سلطات داخل اقليم دولة ذات سيادة وعضو من أعضاء الامم المتحدة دون موافقة هذه الدولة ٠ ومثل هذا التدخل يهدد حرية الملاحة ويضر بمصالح الدول المستعملة للقناة فضلا عما يتضمنه من تهديد للسلام والامن الدولى ذلك ان اتفاقية القسطنطينية وان كانت تنص على حرية المرور فى القناة الا أنها لاتسلب حق مصر بأى حال فى ادارة القناة ٠ ٠

وبالاضافة الى عدم مشروعية الاتحاد فانه سيؤدى الى وضع معقد ومتناقض نتيجة لوجود هيئتين متعارضتين احداهما قانونية والاخرى غير قانونية ، احداهما شرعية والاخرى مغتصبة ٠ ولا يستطيع أحد أن ينكر المخاطر التى ينطوى عليها هذا الوضع ٠

كما ان هذا الاقتراح ليس هناك ما يدعــو له لان المرور فى القناة اسـتمر بانتظام وكفاية ما يقرب من ستين يوما ويؤيد ذلك ان حوالى ٢٢١٦ سفينة مرت فى القناة منذ وقوع التأميم فى ٢٦ يوليو سنة ١٩٥٦ ، ويمكن مقارنة هذا العدد بعـــدد السفن التى مرت فى القناة في المدة نفسها من عام ١٩٥٥ وهو ٢١٠٣ سفينة. وذلك كله ـ ورغم ترك المرشدين الفرنسيين والبريطـــــانيين أعمالهم ـ راجع الى العناية الفائقة التى توليها الحــكومة المصرية لحرية الملاحة فى القناة والى الجهـود المتصلة للهيئة التى خصصتها لإدارة القناة •

وابدت مصر استعدادها للوصول الى حل سلمى لمسألة القناة على أساس الاعتراف بسيادة مصر وحقـوقها المشروعة ووفقا لميثاق الامم المتحدة وعلى نحو يساهم فى ازدهار وتقدم القناة ، مما يعود بالنفع على كافة الامم ويساهم فى رخاء العالم وسلامه وأمنه •

وطلبت مصر تحقيقا لذلك وضع حد للاعمال المشار اليهـــا والتى تهدف بهـــا فرنسا والمملكة المتحدة على وجه الخصوص على الاستيلاء على القناة والقضاء على صميم استقلال مصر • تلك الاعمال التى ارتاع لها العالم أجمع ، وأثارت مخاوفه اذ تشــــكل خطرا جديا على السلام والامن الدولى • وتعتبر انتهاكا بالـــغ الخطورة لميثاق الامم المتحدة • ولذلك يجب أن ينظر مجلس الامن الى هــذا الموقف بعين الاهتمام •

وكنا بذلك نشهد العالم والمنظمة الدولية بوجـــه خاص على ســلامة موقفنا وموقف خصومنا منا ومن أزمة القناة المفتعلة وتعلن رأينا فى جمعية المنتفعين بالقناة المزمع انشاؤها فنبصر العــــالم بالخطر المحدق لتلافيه قبل وقوعه •

ومع ذلك دعت بريطانيا الى عقــد مؤتمر جمعية المنتفعين بقناة السويس الذى اجتمع فى لندن فى أول اكتوبر واشتركت فيه ثمانى

عشرة دولة . وقد أعلنت عدة دول أن اشتراكها فى المؤتمر لايعنى التزامها بقراراته أو انضمامها لجمعية مستخدمى القناة لانهـا تؤثر التسوية السلمية .

وبعض الدول التى مثلت فى المؤتمر حضر مندوبوها بوصفهم مراقبين فقط ومن هذه الدول الباكستان وترى ان سير المـــلاحة بانتظام فى القناة يدعو الى دفع الرسوم لمصر . ورغـــم انضمام ايطاليا لجمعية المنتفعين بالقناة باعتبارها وسيلة للبحث عن حـــل لمشكلة القناة فانها ظلت تدفع رسوم المرور فى القناة الى مصر .

وعند اجتماع المؤتمـــر أعلن ســـلوين لويد وزير خارجية بريطانيا تكوين جمعية مستخدمى القناة . وقررت اثنى عشرة دولة الانضمام للجمعية . وقال ممثلو السويد والنرويج والدانمرك انهم فى انتظار موافقة برلماناتهم ، كما اشـترطت السويد الا يربطها اشتراكها فى الجمعية بأية التزامات . ورفضت اثيوبيا وباكستان واليابان الانضمام للجمعية المزعومة ومع ذلك دعاهم رئيس المؤتمر سلوين لويد للاستمرار فى حضور الجلسات كمراقبين فقـــط . وأصرت ايران على عدم فرض أية عقوبات اقتصادية أو سياسية على مصر بينما أعلنت فرنسا أنها ستتخذ التدابير التى تراها اذا لم تحقق الجمعية مصالحها .

وتضمن قانون الجمعية انشاء مجلس ولجنة تنفيذية من سبعة أعضاء ومدير عام . ولم يتم الاتفاق على مقر الجمعية ، كما لم يصل المؤتمر الى قرار عن أهـــداف جمعية المنتفعين ، ولم يستطع المؤتمر الاتفاق على المسائل الآتية :

١ ـ لمن تدفع الرسوم ـ وهل تدفع للجمعية أم لمصر .

٢ — من هو المدير الادارى الذى سيقع عليه الاختيار لجمعية المنتفعين •

وقد شكل المؤتمر ثلاث لجان لدراسة الموضوعات التالية :

أولا — لتنظيم الجمعية ويشمل هذا سلطات وعلاقات المجلس الذى سيضم مندوبا عن كل دولة من الدول الاعضاء ، وانشاء هيئة تنفيذية للجمعية وتعيين مدير ادارى •

ثانيا — أعمال الجمعية ، وسيقوم الخبراء بشئون الملاحةببحث المسائل العملية التى تتصل بعلاقة الجمعية بالسلطات المصرية ، ومسألة دفع وتحصيل الرسوم واحتمال تحويل خط سير السفن اذا رفضت مصر رفضا قاطعا التعاون مع الجمعية الجديدة •

ثالثا — المسائل المالية ويشمل هذا انشاء صندوق لرأس مال مشترك • وينتظر أن تساهم كل دولة من الدول الاعضاء بمبلغ فى هذا الصندوق الذى سيتكفل بدفع مرتبات السكرتيرية ونفقات أقامة مقر لها فى روما أو لشبونة •

وعندما باشرت اللجان أعمالها بدا خلاف خطير بين أعضاء اللجنة الثانية المختصة ببحث نظم ادارة الجمعية وطريقة أدائها لمهمتها • فقد اجتمعت اللجنة وتعذر على أعضائها الاتفاق على طريقة قيام الجمعية بعملها اذا رفضت مصر التعاون مع الجمعية • وصممت أربع دول على أنه ينبغى ألا تتدخل الجمعية فى مسألة مرور السفن فى قناة السويس ، وانما يجب أن تقتصر مهمتها على مفاوضة مصر فيما يتعلق بالتدابير الخاصة بتحسين المرور فى القناة • اما مصر فقد أعلنت انها مستعدة لمنح التسهيلات للمنتفعين بالقناة ضمانا لحرية الملاحة طبقا لاتفاقية سنة ١٨٨٨ ولكنها ليست

مستعدة للتنازل عن حقوقها المشروعة وسيادتها فان القناة جزء من أرض مصر .

ولعله وضح مما تقدم أن جمعية المنتفعين بالقناة لم يكن لها وجود واقعي أو قانوني وانما ضمتها كما ضمت المؤسسين لهـــا بعض الاوراق .

ولعل الصعوبات التي واجهت الجمعية واللجان أظهرت مافي هذاالمشروع من اغفال للحقائق القانونية وللاوضاع الطبيعية وبدا انها جمعية ارتجالية قصد بها مناورات سياسية أكثر من تحقيقأية أغراض أخرى .

(١٥)

الشكوى الى مجلس الامن

لو أن مصر التجأت الى مجلس الامن لتشكو من العدوان الاقتصادى ، والتهديدات العسكرية والعدوان السياسى بمحاولة تأليب الدول عليها واظهارها بمظهر المعتدية على السلام العالمى ، ومحاولة انشاء جمعية المنتفعين بالقناة لايجاد سلطة غير شرعية تباشر عملا من صميم اختصاص مصر — لو أن مصر شكت الى مجلس الامن التصرفات العدوانية التى ارتكبتها انجلترا وفرنسا ضدها منذ صدر قرار تأميم شركة القناة ، وتذرعت بأن هذه التصرفات تهدد السلام العالمى بالخطر ، فان مصر لا تكون قد جاوزت الحقيقة.

انما الغريب أن بريطانيا وفرنسا سارعتا لتقديم شكوى ضد مصر الى مجلس الامن وانه ليصدق عليها المثل القائل « ضربنى وبكى، سبقنى واشتكى » .

ففى ١٢ سبتمبر شكت بريطانيا وفرنسا مصر الى مجلس الامن بحجة أن الحكومة المصرية بمحاولتها الفردية فى القضاء على الادارة الدولية لقناة السويس التى أكدتها وكفلتها معاهدة سنة ١٨٨٨ ، قد خلقت موقفا من شأنه أن يعرض للخطر حرية الملاحة فى القناة ، وبقاءها مفتوحة لجميع السفن دون تمييز لجنسياتها وهو ما نصت عليه الاتفاقية المشار اليها .

وأضافت الشكوى أنه قد عقد فى لندن فى ١٦ أغسطس مؤتمر اشتركت فيه اثنتان وعشرون دولة قدم ممثلو ١٨ منها الى الحكومة المصرية مقترحات عن ادارة القناة فى المستقبل ولكن الحكومة المصرية رفضت اجراء أية مفاوضات على أساس هذه المقترحات التى ترى

الحكومتان البريطانية والفرنسية انها تمهد الى الوصول الى حل عادل مقبول . كما تعتبر الحكومتان أن هذا الرفض هو اعتداء صريح وفى استمراره خطر على السلام والامن وطلبتا عرض الامر على اعضـــاء مجلس الأمن .

أنظر كيف قلبت الاوضاع ، ان مصر هى المعتدية ! وتصرفاتها هى التى تهدد السلام والامن العالمى !!! وما هى هذه التصرفات ؟؟ هى تأميم شركة مصرية !!

وفى ٢٣ سبتمبر طلبت بريطانيا وفرنسا اجتماع مجلس الامن لبحث الموقف الذى ترتب على انهاء النظام الدولى لادارة قناة السويس الذى أكدته اتفاقية سنة ١٨٨٨ . وطلبت بريطانيا من مجلس الامن اقرار مقترحات الدول الثمانى عشر فى مؤتمر لندن الاول الخاصـــة بانشاء هيئة للاشراف الدولى على قناة السويس وهى المقترحات التى أعيد تأكيدها فى مؤتمر لندن الثانى .

وفى ٢٤ سبتمبر طلبت الحكومة المصرية انعقـــاد مجلس الامن للنظر فيما تقوم به بعض الدول وعلى الاخص فرنسا والمملكة المتحدة من أعمال ضد مصر تعد خطرا على السلام والامن العالميين ، كما تعد خرقا خطيرا لميثاق الامم المتحدة .

ويهمنا أن نشير هنا الى أن سلوين لويد وزير خارجية بريطانيا أعلن قبيل عرض شكوى مصر وبريطانيا على مجلس الامن أن بريطانيا ستبذل كل جهد ممكن للوصول الى تسوية سلمية لمشكلة القناة وان القوة ستكون آخر ملجأ لها . وقال انهم أن يسود حكم القانون فى العالم وتحترم كل دولة التزاماتها .

هذا ما صرح به وزير خارجية بريطانيا ولكن هل كان صـــادقا فيما قال ؟ وهل كان رائدهم فى السلم أو الحرب ؟ هذا ماستكشف عنه بوضوح الصفحات التالية .

ولقد صرح في الوقت ذاته بينو وزير خارجية فرنسا أن بريطانيا وفرنسا لن تتركا القناة تحت ادارة دولة واحدة ٠ وان الســبيل لصيانة السلام هو الوقوف بحزم ضد أى انتهاك للمواثيق الدولية كالذى قامت به مصر ، ولكن أمريكا أقل حزما من بريطانيا وفرنسا!! ودافع عن الاجراءات العسكرية البريطانية والفرنسية بأنها دفاعية ، وان عرض قضية القنــاة على مجلس الامن لا يجب أن يفسر على أنه ضعف بل لجوء الى كل الوسائل للوصول الى حل سلمى ٠

والمفهوم أن هذا التصريح الاخير أن بريطانيا وفرنسا تلجآن الى مجلس الامن فان أخذ بوجهة نظرها ووافق على الاقتــراح الذى يفرضانه فعلى مصر أن تنفذه ، وبذلك يتحقق لهما ما أرادابطرق سلمية ٠ أما اذا جاء رأى مجلس الامن ضدهما فانهما لن تتركا القناة في يد دولة واحدة وانهما يستخدمان التهديدات العسكرية كاجراءات دفاعية !! فلنقلها صريحة اذن أن الحرب هو الطريق المرسوم مقدما ٠ وان شكواهما ضد مصر ان هى الا صورة من صور الاعتداء على مصر بمحاولة تشويه موقفها أمام العالم ، وبمحاولة التأثير على الدول الاعضاء فى مجلس الامن لاصدار قرار ضد مصر ولصالحهما ٠ ان شكواهما ضد مصر واتهامها بأنها اعتدت على السلام والامن العالميين أن هو فى الواقع الا مرحلة من مراحل العدوان على مصر ٠

بينما صرح شبيلوف الوزير الروسى بأنه يعتقد بامكان الوصول لتسوية سلمية لازمة القناة عن طريق مفاوضات على أساس المساواة والصراحة بين مصر والدول التى تستخدم القناة ٠ وان المحـاولات التى تبذل لحل أزمة القناة عن طريق القوة تدل على سوء فهم لروح العصر الذى نعيش فيه ٠ وقال انه يأمل أن يقل عدد الذين يدافعون عن مثل هــذا الاجراء ٠ واعلن أن حكومته تعلق أهمية كبرى على مجلس الامن لايجاد حل سلمى لازمة القناة ٠

وقد أعلنت مصر بلسان وزير خارجيتها قبيل عرض الشكوى على مجلس الامن أنها تحبذ اجراء مفاوضات مباشرة لتسوية النـــزاع حول مشكلة قناة السويس • ولذا فان مصر ستعمــل على أن يوافق مجلس الامن على تأليف لجنة للمفاوضة تتولى علاج أزمة القناة وأوضح ان مصر تعارض كل مشروع يهدف الى فرض سيطرة دولية على هذا الممر المائى • ورد على الاتهامات الخاصة بأن مصر أصبحت لعبة فى يد السوفيت بأنها كلام فارغ لاننا لا نتخلص من سيطرة لنقع تحت سيطرة دولة أجنبية أخرى • اننا نريد ان نكون مستقلين •

وقد اجتمع مجلس الامن فى ٢٦ سبتمبر وتكلم وزير خارجيــة بريطانيا وفرنسا وطلبا الموافقة على اقتراح تدويل القنــاة والادارة الدولية للقناة • وهو المشروع الغربى الذى وافقت عليه ١٨ دولة فى مؤتمر لندن الاول وتأكد فى مؤتمر لندن اذ أن مصر بقرار التأميم قد عرضت السلم الدول للخطر فضلا عن أنهــا أخلت بنصوص معاهدة سنة ١٨٨٨ • واقحم مندوب بريطانيا صفقة الاســلحة التى تمت فى سبتمبر عام ١٩٥٥ وقال انه يعتبر هذه الصفقة أولى الخطوات الكبرى فى سلسلة الاحداث فيما يتعلق بالموقف الحالى •

وبجلسة ٨ أكتوبر ألقى الدكتور محمود فوزى وزير خارجيــة مصر خطابا فى مجلس الامن قال فيه ان انسحاب امريكا من تمــويل السد العالى جاء مفاجأة لمصر وحملة تشهير بسمعتهـــا الاقتصادية وأعلن ان الاقتصاد المصرى سليم وقوى ولن تزعزعه أى اتهامات • وقال ان سياسة انجلترا وفرنسا تجاه تأميم القناة تعتبر تدخلا فى شئون مصر • واتهم بريطانيا وفرنسا بالقيام بأعمال لتعطيل الملاحة فى القناة • كما اتهم بريطانيا باغراق المعتدين على مصر بالاسلحة فى الوقت الذى تلام فيه مصر لانها اشترت أسلحة روسية •

وعرض اقتراحا على مجلس الامن بتأليف هيئة للمفـاوضات

تبحث عن حل لازمة القناة وقال ان هذا الاتفاق يمكن الوصول اليه اذا بحثت أسس التسوية السلمية عن طريق المفاوضة ، لا عن طريق تقديم مشروعات تعسفية سبق أن رفضتها مصر ، وقال ان هنـــاك مبادىء تلقى تأييدا اجماعيا ويمكن أن تجرى المفاوضات على أسس أربعة وهذه المبادىء هي : ضمان حرية الملاحة واقامة نظام من التعاون بين الهيئة الادارية المصرية للقناة وبين الدول التى تستخدم القناة على أساس ، احترام سيادة مصر ، واقامة نظام للرسوم يضمن معاملة المستخدمين بدون استغلال وتخصيص نسبة معقولة من دخل القناة لتحسين القناة وتوسيعها .

وقال وزير خارجية مصر ان تأميم القناة في ٢٦ يوليو هو عمل تم وفقا لحقوق السيادة المشروعة ، واقترن بما اعلنته مصر من انهـا ستدفع تعويضا كاملا عادلا لحملة الاسهم . وكان لهذا العمل صدى طيب في كثير من أنحاء العالم وبين كثير من الشعـــوب ، فان الذين أعربوا فعلا عن موافقتهم على تأميم شركة قنـــاة السويس بواسطة الحكومة المصرية كعمل مشروع من أعمال السيادة يمثلون أكثـــر من ثلثى سكان العالم .

واستعرض مراحل النزاع وتطوراته ومنها مذكرة الحـــكومة المصرية الى الحكومة البريطانية في ١٢ أغسطس بعزمها على صيـــانة السلام العالمى وتمسكها بميثاق الامم المتحدة وقرارات مؤتمر باندونج واستعدادها لعقد مؤتمر يتألف من الدول الموقعة على اتفاقية سنـــة ١٨٨٨ وغيرها من الدول التى تستخدم القناة لاعادة النظر في اتفاقية القسطنطينية والبحث في توقيع اتفاقية جديدة بين جميع هذه الدول لتؤكد فيها وتضمن حرية الملاحة في القنــــاة . ثم مذكرة مصر الى سكرتير عام الامم المتحدة في ١٠ سبتمبر التى اقترحت فيها انشاء هيئة للمفاوضة تمثل مختلف وجهات النظر التى أعلنتها الدول التى

تستخدم القناة لحل أزمة القناة بالوسائل السلمية دون مساس بحق مصر في السيادة .

وقال وزير الخارجية ان رفض هذا الاقتراح حال دون اعادة النظر في اتفاقية سنة ١٨٨٨ وقال انه بالرغم مما قامت به الحكومتان البريطانية والفرنسية من استعراضات لقواتهما الحربية ضد مصر وما قامتا به من محاولات لتعطيل الملاحة في القناة ، وذلك بسحب الخبراء الفنيين والمرشدين من العمل في قناة السويس ـ فان الحكومة المصرية قد تذرعت بالصبر وعقدت العزم على أن تظل القناة مفتوحة للملاحة . وأعلن أن مصر لا تريد الاعتداء على سيادة أحد وانها لن تمارس أي تفرقة او تميز بين الدول المستخدمة للقناة . وانها لم ترتكب ولا تحمل أية نوايا عدوانية ضد أحد ، ولم ترتكب عملا يعد انتهاكا للسلام او خرقا لاى معاهدة وانها عاقدة العزم على مواصلة العمل للوصول الى تسوية وفقا لروح ميثاق الامم المتحدة ونصوصه . وفي الوقت نفسه فان الملاحة في القناة تجرى بكل دقة وكفاية رغما من اعمال التخريب التى عمدت اليها الحكومتان الفرنسية والبريطانية بالاشتراك مع شركة القناة السابقة والتى شملت الامتناع عن دفع رسوم المرور للهيئة المصرية وسحب المرشدين الاجانب .

وقال ان حكومتى بريطانيا وفرنسا تزعمان أن الحكومة المصرية تعرض السلام الدولى للخطر والواقع ان الحكومتين تتحديان حق مصر فيما يسمونه عملا فرديا في تأميم شركة قناة السويس وأن تأميم شركة القناة وهو الاجراء الذى قامت به الحكومة المصرية هو عمل يتفق مع حقوقها المعترف بها كدولة مستقلة ذات سيادة وقد اعترفت الامم المتحدة بأهمية حق التأميم وقرارها رقم ١٢٦٢٦ بتاريخ ٢١ من ديسمبر سنة ١٩٥٢ حيث قررت الجمعية العمومية حق الشعوب في استخدام موارد ثروتها وذلك طبقا لسيادتها ومبادىء

ميثاق الامم المتحدة • كما قررت الجمعية العمومية ان تمتنع جميع الدول عن الاعمال المباشرة التى تهدف الى تعطيل أعمال السيادة لكل دولة وذلك طبقا لصالحها العليا •

وأضاف أن الوضع القانونى للموقف يتلخص فى أن شركة قناة السويس هى شركة مصرية تخضع للقانون المصرى ومصر تمارس حقوقها فى السيادة على أراضيها • وحكومة مصر قد منحت الشركة حق حفر القناة فى الاراضى المصرية لمدة معينة • وان مصر تمارس حقوقها المشروعة فى السيادة على أراضيها عندما تقرر انهاء العلاقة بين الحكومة المصرية وشركة القناة • وان ذلك لم يكن الا أمراً داخلياً يخص مصر وحدها وبالتالى فلا محل لاتهام مصر بانها بقرار التأميم قد عرضت للخطر السلام الدولى ، او القول بانها أخلت بنصوص معاهدة سنة ١٨٨٨ لان هذه الادعاءات ليس لها أساس سليم من القانون •

ان ممثلى بريطانيا وفرنسا قالا فى مذكرتهما الى مجلس الامن فى ١٢ سبتمبر ان مصر ترفض المفاوضة • والواقع أن ما ترفضه مصر ليس هو التفاوض ولكن املاء الشروط •

وان مؤتمر لندن قد سبقته وصحبته استعراضات وتهديدات عسكرية لبريطانيا وفرنسا ضد مصر • وان الحكومة المصرية لم يؤخذ رأيها ــ كما كان الواجب ــ على عقد المؤتمر وتحديد مكانه والدول التى تدعى اليه •

وان الحكومة المصرية امعانا منها فى رغبتها فى السلام قد درست جديا مسألة اشتراكها فى مؤتمر لندن ، ولكن لاسباب كثيرة لم يتحقق ذلك ومن بينها ذلك التهديد باستخدام القوة والاجراءات العسكرية التى استمر اتخاذها ضد مصر من جانب بريطانيا وفرنسا والجو الذى دعيت فيه مصر لحضور مؤتمر لندن انما كان انذارا

نهائيا ، بل كان اهانة لمصرفلم نكن مدعوين لحضور مؤتمر بل كنـا مطلوبين للمحاكمة .

لقد أشرنا بافاضة الى خطاب وزير خارجيـة مصر فى مجلس الامن حتى نستعرض جميع مراحل النزاع منذ صدور قرار التأميم حتى وقت اجتماع مجلس الامن وهذا يساعدنا على معرفة موقف مصر من النزاع ووجهة نظرها وموقف بريطانيا وفرنسا ووجهة نظرهما، وأيننا على حق وأيننا على باطل .

وبعد سماع خطاب مصر وانجلترا وفرنسا ثم روســيا التى أيدت اقتراح مصر بتأليف هيئة للمفاوضة كما أيدت حقها فى التأميم وامريكا التى بدأت مشروع تدويل القناة الذى وافقت عليه دول الثمانى عشر فى مؤتمر لندن ورفضته مصر ، وقال مندوبها أن أساس البحث هو ابعاد القناة عن أن تصبح سلاحا سياسيا لدولة واحدة ـ بدأت الجلسات السرية لمجلس الامن فى ٩ أكتوبر . كما توالت الاجتماعات بين فوزى وسلوين لويد وبينو وهمرشـــولد وكانت المحادثات كلها سرية .

وفى فجر يوم ١٤ اكتوبر اجتمع مجلس الامن وعرض ســلوين لويد المشروع البريطانى الجديد بعد المحـــادثات الاستكشافية التى تمت ، وهو يتضمن ست مبادىء اتفق عليها ، وتصلح أساســا للمفاوضة وان على مصر أن تقدم مشروعا اذا كانت مازالت مصرة على رفض اقتراح الثمانى عشر دولة .

وقد صيغ المشروع على الوجه التالى :

«قرر المجلس أن كل تسوية لمشكلة قناة السويس يجب أن تفى بالاحتياجات الآتية :

١ ـ المرور عبر قناة السويس يجب ان يكون حرا ومفتوحا للجميع بدون تمييز صريح او ضمنى وهو ما يجب الاعتراف به سواء من الناحية السياسية او الفنية .

٢ ــ يجب ان تحترم سيادة مصر •

٣ ــ يجب أن تكون ادارة القناة بمعزل عن سياسة اى دولة •

٤ ــ يتم الاتفاق على طريقة تحديد الدفع او الرسوم بواسطة اتفاق بين مصر والدول المنتفعة •:

٥ ــ تحديد نسبة عادلة من الرسوم المتحصلة لتحسين القناة •

٦ ــ فى حالة نشوب نزاع تتم تسوية الامور المعلقة بين شركة قناة السويس السابقة والحكومة المصرية عن طريق هيئة للتحكيم تحدد مهمتها واختصاصها تحديدا واضحا مع شروط مناسبة لدفع المبالغ التى يتبين استحقاقها •

ويرى المجلس ان مقترحات الدول الثمانى عشر تفى بالمطالب التى سبق تحديدها وقد قصد بها ان تؤدى الى تسوية لمشكلة قناة السويس بالطرق السلمية ومما يتفق مع العدالة •

ويلاحظ المجلس ان الحكومة المصرية رغم ما اعلنته عن استعدادها فى المباحثات الاستطلاعية لقبول مبدأ قيام تعـــاون بين السلطات المصرية وبين المنتفعين الا انها لم تقدم مقترحات محددة بهـــا فيه الكفاية لمواجهة الاحتياجات التى سبق ذكرها •

ويدعو المجلس حكومات مصر وفرنسا والمملكة المتحدة لمواصلة تبادل وجهات النظر فيما بينها ، وفى هذا الصدد يدعو الحكومة المصرية لتقديم مقترحاتها سريعا عن ايجاد نظام يواجه المقتضيات الموضحة آنفا ، ويكفل الضمانات للدول المستخدمة بصورة ليست اقل اثرا من تلك التى تهدف اليها مقترحات الدول الثمانى عشرة •

ويرى المجلس أنه ريثما يتم ابرام اتفاقية تسوية نهائية لنظام قناة السويس على أساس المقتضيات الموضحة عاليه فان جمعيـــة

المنتفعين بقناة السويس على أساس المقتضيات الموضحة عالية فان جمعية المنتفعين بقناة السويس التى خول لها تحصيل رسوم عبور السفن التى يمتلكها المشتركون فيها والسلطات المصرية المختصة يجب ان تتعاونا لضمان ادارة القناة بطريقة مرضية وان تكـــون القناة مفتوحة للعبور وذلك وفقا لاتفاقية سنة ١٨٨٨ .

وعقب وزير خارجية مصر على مشروع القرار بان المبادىء الستة التى تم الاتفاق عليها بينه وبين وزير خارجية بريطانيا وفرنسا فان لمجلس الامن أن يعلن موافقته عليها . اما الجزء الثانى من المشروع فطلب رفضه ، وقال ان الحكومة المصرية تقترح لحل الازمة اقامـــة وسيلة للتعاون بين مستخدمى القنـــاة والادارة المصرية للقناة مع الاعتراف بسيادة مصر ومصالح المستخدمين واقامة نظام عـــادل للرسوم بالاتفاق مع مستخدمى القناة على ان تخصص نسبة معقولة من الايراد لتحسين القناة .

وفى صباح يوم ١٤ اكتوبر اقترح مجلس الامن عـــلى جزئى مشروع القرار البريطانى الفرنسى ووافق بالاجماع على الجزء الاول منه الذى يتضمن المبادىء الستة التى تم الاتفاق عليها بين وزراء خارجية الدول الثلاث باعتبار هذه المبادىء كفيلة بتسوية مشـــكلة قناة السويس .

ورفض المجلس الجزء الثانى من المشروع على اثر استخدام روسيا حق الفيتو وامتناع يوغوسلافيا عن التصويت . رفعت الجلسة بعد ان تقرر تأجيل مجلس الامن الى أجل غير مسمى .

وكانت الدوائر الدبلوماسية متفائلة فقد صرح دالاس ان الفيتو الروسى لن يكون له اى اثر ضار على موقف الغرب ، وان المباحثات ستستمر تماما كما لو لم يكن هناك فيتو .

• وقد ابدت انجلترا ارتياحها لان تسعة من المندوبين الاحدعشر

في مجلس الامن وافقوا على المشروع البريطاني الفرنسي • كما صرح بينو وزير خارجية فرنسا بان تسع دول من احدى عشرة دولة اعتبرت مقترحات الدول الثماني عشرة صالحة ، واعترفت بان لجمعية المنتفعين بالقناة دور يمكن أن يصبح بالغ الاهمية •

وقال شبيلوف وزير خارجية روسيا انه يعتقد انه امكن احراز بعض التقدم وان المجلس قام بعمل هام وايجابي وتمنى ان تنجح المفاوضات المقبلة ، وان تشطب مشكلة القناة من جدول اعمال مجلس الامن ومن اذهان العالم •

واعتبر داج همرشولد السكرتير العام للامم المتحدة ان القرار الذي أصدره المجلس اوجد نقطة بداية قيمة في طريق الوصول الى حل عادل وسلمي لمشكلة القناة • وقال انه سيظل يشجع الاتصالات بين حكومات مصر وفرنسا وبريطانيا للوصول الى حل •

والواقع ان المعنى الحقيقي للمبادىء الستة التي انتهت اليها مناقشات مجلس الامن هو ان مصر حققت كل ما ارادت • وهذا واضح مما يأتي :

١ ـ تصريحات مصر الموجهة الى جميع الدول بشأن احترام معاهدة سنة ١٨٨٨ الخاصة بضمان حرية الملاحة في قناة السويس •

٢ ـ مذكرة مصر بالرد على الدعوى الموجهة اليها لحضور مؤتمر لندن الاول •

٣ ـ رد مصر على لجنة منزيس •

٤ ـ مذكرة مصر التي بعثتها الى جميع الدول بعد سفر لجنة منزيس •

٥ ـ مذكرة مصر الى مجلس الامن بعد ان أخطرته بريطانيا وفرنسا بالموقف الناشيء عن تأميم قناة السويس •

فانه يبين بوضوح وجلاء من مراجعة هذه الوثائق جميعها ان مصر كانت تنادى بالمبادىء الستة منذ أممت شركة قناة السويس ، وانها في مباحثات وزير خارجية مصر مع وزيرى خارجية بريطانيا وفرنسا قد حصل على موافقتهما على هذه المبادىء لتكون أساساً للمفاوضة • واقد تضمن مشروع القرار هذه المبادىء ووافق عليها مجلس الامن بالاجماع فكان ذلك نصرا عظيما لوجهة النظر المصرية

وكان المفهوم ان قرار مجلس الامن قد فتح باب المفاوضة على أسس قبلها الطرفين المتنازعين وانه بات مقررا انهاء النزاع بالطرق السلمية ولكن الغريب ان انتونى ايدن رئيس وزراء بريطانيا صرح في ١٥ اكتوبر بان بريطانيا لم تستبعد استخدام القوة • فاحتجت مصر لدى مجلس الامن على تصريحات ايدن باعتبار أنها تعرقل المفاوضات لحل أزمة قناة السويس •

كما انه بدت نغمة جديدة لا تتفق مع ما انتهى اليه مجلس الامن من رفض الجزء الثانى من المشروع الفرنسى البريطانى ذلك إنه صدر بلاغ رسمى بعد اجتماع ايدن وموليه ووزيرىخارجيتهما فى ١٧ اكتوبر جاء فيه ان المجتمعين بحثوا الموقف الناشىء عن الاقتراع الاخير فى مجلس الامن على مشروع القرار الفرنسى والبريطانى وقرروا التمسك بالمطالب الواردة فى الجزء الاول من القرار الذى وافق عليه المجلس بالاجماع • اما فيما يختص بتنفيذ هذه المطالب فقد قرروا التمسك ايضا بالجزء الثانى من مشروع القرار الذى نال تسعة أصوات ولكنه عورض بالفيتو من روسيا •

ووفقا للقرار فان مقترحات الدول الثمانى عشرة التى تتضمن الادارة الدولية للقناة يجب ان تكون اساس التسوية الا اذا قدمت الحكومة المصرية مقترحات اخرى لنظام يواجه المطالب ، ويكفل للدول المنتفعة بالقناة ضمانات لا تقل فى اثرها عن الواردة فى مقترحات الدل الـ ١٨

وان الحكومتين على استعداد لان تبحثا معا اية مقترحات من هذا النوع كما تبادل الوزراء وجهات النظر بصفة عامة بشأن مشاكل الشرق الاوسط الاخرى • وقرروا ابقاء الاتصال المستمر بينهما حول هذه المسائل بروح الصداقة الفرنسية البريطانية الوثيقة •

فيم اذن كان عرض النزاع على مجلس الامن ، واصدار المجلس لقراره بالموافقة على الجزءالاولمن المشروع المتضمن المبادىء الستة ورفضه الجزء الثانى الذى تضمن مقترحات الدول الثمانى عشرة بشأن الادارة الدولية للقناة وجمعية المنتفعين بالقناة •

لقد اصيبت العلاقات بين طرفى النزاع بنكسة ، وأصبح وقوع العدوان المسلح وشيكا بعد ان عادت نغمة التهديد باستخدام القوة فى الظهور وبعد ان قطع السبيل على اجراء المفاوضات بحرية على أساس المبادىء الستة التى وافق عليها مجلس الامن • هذا فى الوقت الذى اعلن فيه فى مصر ان المفاوضات ستبدأ فى خلال الاسبوع الذى يبدأ فى ٢٩ اكتوبر سنة ١٩٥٦

(١٦)

هجوم القوات الاسرائيلية

كانت مصر تنتظر بدء المفاوضات بشأن أزمة القناة على أساس المبادىء الستة التي وافق عليها مجلس الامن بالاجماع . واعلنت مصر بلسان وزير خارجيتها انها مستعدة لبذل مافيوسعها للوصول الى اتفاق يحترم حقوق مصر وحقوق الدول الاخرى .

وقد صرح داج همرشولد سكرتير عام الامم المتحدة بأنه اذا لم يسو النزاع القائم حول قناة السويس بالمفاوضات فأنه ينبغي اعادته الى الامم المتحدة وذلك بالتطبيق لنصوص ميثـــاق الامم المتحدة .

لقد اصبح الطريق مرسوما ، فالمباحثات ستتم ابتداء من ٢٩ اكتوبر على اساس المبادىء الستة واذا لم يسو النزاع عن طـــريق المفاوضة فلا مناص من الرجوع الى هيئة الامم المتحدة .. وكان المفهوم ان طريق السلام وانهاء الازمة طريق ممهد .

ولكن الغريب انه في ٢٤ اكتوبر صرح ديكسون مندوب بريطانيا الدائم في الامم المتحدة بأن الموقف بشأن قناة السويس لا يزال خطيرا . وان بريطانيا وفرنسا على استعداد لبحث اية مقترحات يكون لها اثر في الاحتفاظ بالقناة كممر مائي عالمي وكفالة حقوق جميع الدول بما فيها مصر . واضاف ان بريطانيا لا تقبل وضـــع القناة تحت اشراف دولة واحدة وان الكلمة الآن لمصر وعليها انتقدم مقترحاتها .

هل القافلة تسير الى الامام ام انها تعود الى الوراء ؟؟ هل تعود

بريطانيا الى مشروع تدويل القناة الذى رفضته مصر ولم يوافق عليه مجلس الامن .

وفى الساعة الحادية عشر من مساء ٢٩ اكتوبر سنة ١٩٥٦ هاجمت قوات الجيش الاسرائيلى الاراضى المصرية فى منطقة الكونتلا جنوب صحراء سيناء داخل الحدود المصرية .

واذاعت اسرائيل بلاغا بأن القوات الاسرائيلية هاجمت الكونتيلا ومنطقة رأس الناب ، وان القوات الاسرائيلية احتلت موقعا على مقربة من ملتقى الطرق صوب قناة السويس . وقال البلاغ الاسرائيلى ان هذا الهجوم كان ضروريا بسبب الهجمات المصرية على المدنيين وعلى المواصلات البحرية والبرية الاسرائيلية لانزال الدمار بها وسلب أهاليها امكانيات الوجود السلمى .

ولقد اصدرت الحكومة المصرية بيانا رسميا جاء فيه ان اسرائيل قامت بعمليات عسكرية داخل الحدود المصرية . منتهكة بذلك القوانين الدولية وميثاق هيئة الامم المتحدة واتفاقية الهدنة ، وان هذا العمل من جانب اسرائيل يعتبر عملا عدوانيا ضد مصر وسلامة اراضيها وأمنها . وبناء على ذلك فان الحكومة المصرية تحتفظ لنفسها بحق اتخاذ جميع الاجراءات التى يخولها لها ميثاق الامم المتحدة ومن بينها الدفاع عن النفس .

وقد قامت اسرائيل بهذه العمليات رغم ما اعلنته على لسان المسئولين فيها من انها لن تقوم بأى عمل عدوانى ، وان تعبئتها لقواتها ما هو الا لغرض وقاية حدودها . وانه رغم التصريحات التى أفضى بها رئيس وزراء اسرائيل والتى جاءت ايضا على لسان سفير اسرائيل فى واشنطن فى ٢٨ اكتوبر من ان اسرائيل تعهدت بانها لن تكون البادئة بالعدوان ، فقد ثبت كذب هؤلاء المسئولين ودل على أن غرضهم كما هو ظاهر الان هو تضليل الرأى العام

العالمي في حين كانت النية مبيتة لديهم على القيام بهجوم غادر على مصر • وان هذه العمليات التى قامت بها اسرائيل فى ٢٩ اكتوبر ما هى الا جزء من سلسلة الاعتداءات التى قامت بها اسرائيل فى خلال السنة الماضية ضد الحدود المصرية والعربية • والغرض منها خلق حالة من التوتر المستمر ، وتهديد السلام فى الشرق الاوسط وذلك رغم ادانتها مرارا أمام المنظمات الدولية •

وفى نطاق الدول العربية استعدت جيوش العرب على حدود اسرائيل واعلنت حالة الطوارىء فى جميع الجيوش العربية لمواجهة الموقف بعد الاعتـــداء الاسرائيلي على الحــدود المصرية • وأعرب المسئولون فى الدول العربية عن وضـــع امكانياتهم تحت تصرف مصر تنفيذا للاتفاقيات العسكرية ضد اسرائيل • وظلت الاتصالات مستمرة بين الحكومات العربية لاتخاذ موقف موحد •

ولم تستطع اسرائيل من يوم ٢٩ اكتوبر عندما عبرت قواتها الحدود المصرية حتى يوم ٣١ اكتوبر ان تحقق أى نجاح أمام القوات المصرية ، غير انه لم يلبث ان بدت مظاهر تدل على ان هناك مؤامرة تدبر ضد مصر وان هناك دولا اخرى تشترك فى هذا العـــدوان المسلح •

ان المؤامرة بدت دلائلها من شهرين قبل العدوان عندما اعلن بن جوريون رئيس وزراء اسرائيل فى ٢٣ سبتمبر ان اسرائيل عثرت على حليف جديد قوى وكان يعنى فرنسا ، وقـــامت فرنسا سرا بشحن ٣٠ مقاتلة نفاثة من طراز ميستير الى اسرائيل زيادة عما شحنته من قبل •

وكانت فرنسا تريد القضاء على عبدالناصر بعد ان اممه القناة بايام قلائل فبعث جى موليه وزير دفاعه الى لندن ليتفاوض فى سبيـــل اعداد خطة عسكرية مشتركة لاعادة احتلال القناة • وبينمـــا كان

الدبلوماسيون يشتركون فى مؤتمرات لندن ويوجهون النداءات الى الامم المتحدة كانت القوات البريطانية والفرنسية تتجمع فى قبرص. وطليت الدبابات بلون الرمـــل الاصفر ، وطبعت العملة اللازمة لقوات الاحتلال ووضعت الخطط للاستيلاء على طائرات النقل المدنية كان الهدف هو العدوان على مصر ولم يكن فى الخطط التى وضعـت فى هذه المرحلة اى دور لاسرائيل .

وفى ١٦ اكتوبر طار ايدن وسلوين لويد الى باريس للاجتماع بموليه وكرستيان بينو اجتماعا سريا دام خمس ساعات ، ويبـدو انه فى هذا الاجتماع تم وضع الخطة للاعتداء على مصر . وقد اخفى سلوين لويد خطة العدوان عن الولايات المتحدة . ولعبت فرنسـا فى المؤامرة دور المحرض بينمـا قامت بريطانيـا بدور الشريك واستخدمت اسرائيل كوسيلة للتنفيذ .

هـذا من ناحية ومن ناحية اخرى كانت بريطانيا ترسـل لاسرائيل الطائرات النفاثة وتمدها بجميع الاسلحة الاخرى التى تحتاجها حتى تكون خصما قويا امام الدول العربية .

وفى ٢٦ اكتوبر سافر الكونت دى شـانيلا سفير فرنسـا بالقاهرة الى باريس تنفيذا لاستدعاء حكومته له . وكان سفره لمدة غير محددة .

وعندما هاجمت قوات اسرائيل الاراضى المصرية اشتـرك فى الهجوم الذى قامت به القوات الاسرائيلية فى شبه جزيرة ســيناء عدد ضخم من الطائرات الفرنسية يقودهـا طيـارون فرنسيون بملابسهم العسكرية وذلك قبل تقديم الانذار البريطانى الفرنسى لمصر . وقد شهد بذلك مندوب جـــريدة المانشستر جارديان فى تل ابيب .

وقد ثبت كذلك ان دبابات الجيش الفرنسى شحنت الى حيفا

حيث تم طلاؤها بعلامات واشارات جيش اسرائيل ، وان طائرات فرنسا كانت فى مطارات تل ابيب قبل بدء العدوان • وان الاعتداء على مصر دبر قبل تأميم قناة السويس نظــرا لان مصر خطـــر على النفوذ البريطـــانى الفرنسى فى الشرق الاسط • وكان تأميم قناة السويس عاملا فى الاسراع بالهجوم الذى اشتركت فيه قوات فرنسا وبريطانيا البريــة والجوية • وهـــذا ما أثبتتـــه وكالة الاسوشيتدبريس الامريكية قد اعترفت وزارة الطيران الفرنسيةبان طياريها كانوا داخل اسرائيل أثناء العدوان على سيناء • وقد كشف موسى ديان رئيس أركان القوات الاسرائيلية عن المؤامرة البريطانية الفرنسية الاسرائيلية للهجوم على مصر • وقال ان اسرائيل قامت بمجازفة محسوب حسابها بسبب تلقيها معونة بريطانية فرنسيـــة فى هجومها على مصر • وأضـــاف انه كان يعـــرف ان هناك قوات بريطانية وفرنسية فى قبرص ، وان بريطانيا وفرنساكانتا تصدران بيانات عن نيتهما •

هذا وقد تعرضت مصر لعدوان غادر من بريطانيا وفرنسا فى الوقت الذى كانت تدافع فيه عن نفسها ضد العدوان الاسرائيـــلى اذ قامت الطائرات البريطانية والفرنسية يوم ٣١ اكتوبر بالقـــاء القنابل على المدن المصرية:القاهرة والاسكندريةوبورسعيدوالسويس والاسماعيلية ، كما هاجمت المطارات المصرية المدنية والعســكرية وهكذا انكشفت المؤامرة المثلثة ضد مصر لغرض اخضاع الشــعب المصرى والانتقاص من سيادته وحقوقه المشروعة •

وقد بدأت وحدات الاسطول البريطانى والفرنسى فى التحرك الى شرق البحر الابيض المتوسط • وأعلن ايدن ومولييـــــه هذه القرارات فى ٣٠ اكتوبر وقال ايدن ان الغرض من الهجوم هوفصل القوات المحاربة وضمان حرية الملاحة بالقناة •

ولكن في الواقع كان هذا غرضاً ظاهرياً فقط ، وسبباً للعدوان غير حقيقي أما السبب الحقيقي فقد كشف عنه ايدن بعـــد ذلك في خطاب القاه في اجتماع شباب حزب المحافظين اذ صرح بأن الامـر لم يكن موضوع قناة السويس ولا مجرد نزاع بين مصر واسرائيل بل ان الخطر الذي كان يهدد مصالحهم هو نمو قوة مصر العسكرية وتطورها بزعامة جمال عبد الناصر • وان الغرض الاساسي للحملة هو ضرب قوة مصر ونزع سلاح العرب ووضعهم تحت رحمة الاستعمار الانجليزي والاستعمار الفرنسي •

وليست سياسة اضعاف مصر بنت اليوم ولـــكنها سياسـة مرسومة من عشرات السنين رأيناها في كل المفاوضات السياسية التي جرت بين مصر وبريطانيا منذ عام ١٩٢٠ وقد فرض علينـــا الانجليز البعثة العسكرية البريطانية عام ١٩٣٦ مع المعاهدة • وكان كل هم البعثة هو قص اجنحة جيش مصر وتزويده بالاسلحـــة القديمة التي لم تعد تستعملها الجيوش الحديثة • ورأيناها لما فرضت الحكومة البريطانية حظر الاسلحة علينا وتركت اسرائيل تســتورد أحدث الاسلحة وأحدث الطائرات •

ورأيناها على مر السنين وانجلترا تضع العقبات في طريق بناء مصانع الاسلحة في بلادنا •

ان ايدن لم يرسل الاساطيل لبلادنا ليستعيد القناة • لقـــد أرسلها ليحطم قوة مصر وقوة العرب • ان سياستهم دائماً اضعاف العرب عسكرياً حتى يعجزوا عن رفع رءوسهم والتحرر من التدخل الاجنبي والسيادة الاجنبية •

وكان قرار تأميم القناة ورغبة بريطانيا في تدويل القنــاة هي الفرصة التي استغلتها بريطانيا وفرنسا لحبك خيوط المؤامرة • فان هجوم اسرائيل على مصر جزء من المؤامرة الغربية لتدويل القناة •

وان الغرض المقصود من اتحاد الجيش الاسرائيلي ناحية القناة هـو اضطراب حركة الملاحة في القناة ومن ثم تتهم الحكومة المصرية بعجزها عن ادارة هذا المرفق ، وبهذه الطريقة تكون الدول الغربية قد سعت الى خلق ذريعة لارسال جنودها الى منطقة القناة •

وكان هناك اسباب ظاهرية غير حقيقية تتذرع بها بريطانيا لتبرير عدوانها على مصر فقد صرح آيدن بأنه لولا التدخـل المسلح لبريطانيا لوقعت حوادث خطيرة في الشرق الاوسط • وهو بذلك التصريح يحاول أن يخفى نتائج عدوانه بعد أن استنكرته شعوب الارض •

ولعل من الاسباب الظاهرية التي تذرعت بها بريطانيا ما خشيته من ازدياد النفوذ الشيوعي في مصر لمجرد ان مصر اشترت أسلحة من الدول الشرقية عندما رفضت بريطانيا أن تبيعنـا الاسلحة التي نحتاج اليها تمشيا مع سياسة اضعافنا •فلم يكن هناك نفوذ شيوعي في مصر ولم نكن لنسمح لاية دولة كانت ان تسيطر في ارضنا لاننا نسعى الى تدعيم استقلالنا وليس الى استبدال نفوذ دولة بأخرى • وليس صحيحا ما صرح به ايدن من انه كانت هناك مؤامرة شيوعية هي التي جعلت بريطانيا تشن هجومها على مصر • وقد تحديناهم أن يثبتوا صحة هذه المؤامرة فلم يستطيعوا لان هذا الكلام مختلق ولا يستند الى دليل •

والواقع ان بريطانيا أحست ان سلطانها في الشرق بدأ يتقلص وأن الشرق أصبح قوة يحسب لها حساب • فلقـــد فاز الوطنيون بأغلبية ساحقة في انتخابات الاردن • وانتخب النواب الذين أعلنوا معارضتهم لحلف بغداد وأعلنوا أن دخول القوات العراقيـــة الاردن يعتبر ضما لبلادهم للحلف•وطالبت أغلبية أعضاء البرلمان الجديد بالغاء المعاهدة البريطانية الاردنية والحصول على المعونة من الدول العربية•

وكان رأى مصرأن تدخل المعركة اذاحدث أى غزو للاردن،وان الغرض من اعتداءات اسرائيل عليها في شهر اكتوبر سنة ١٩٥٦ ـ الايهام بأن مصر غير قادرة على نجدة الاردن ، وانه لذلك يجب ألا نعيش فى عزلة عن العرب لاننا اذا عزلنا فسنهزم كل على حدة • فرأت بريطانيا انه من المناسب استغلال أزمة القناة لضرب قوة مصر بوصفها زعيمة الدول العربية •

وقد أثار حفيظة فرنسا انه عندما دبرت الحكومة الفرنسية موضوع خطف الزعماء الجزائريين الخمسة معقائد الطائرة التى كان معروفا انها تقل المجاهدين الى تونس لاجراء مفاوضات بشأن الجزائر وتم نقل الزعماء الى مطار حربى بالجزائر حيث استقبلهم رجال الجيش الفرنسى المسلح ووضعوا القيود فى ايديهم ـ بدأت ثورة عنيفة فى تونس ومراكش والجزائر احتجاجا على خطف فرنسا لزعماء الجزائر وقامت الاضطرابات والمظاهرات فى كل مكان •

وأعلن الاضراب العام فى جميع الدول العربية من الخليج الفارسى الى المحيط الاطلسى ليعلنوا عن سخطهم لسياسة فرنسا الاستعمارية وتأكيدهم الكفاح حتى يفرج عن زعماء الجزائر • واستنكرت مصر الاجراء التعسفى الذى قامت به السلطات الفرنسية ضد الزعماء الجزائريين •

ولقد شكت فرنسا مصر لمجلس الامن متهمة اياها بأنها تمد المجاهدين الجزائريين بالاسلحة • وقال موليه رئيس وزراء فرنسا ان مصر مسئولة مسئولية مباشرة عن حادث السفينة أبوس التى كانت تحمل اسلحة لثوار الجزائر •

وكانت أزمة القناة فرصة سانحة لتضرب فرنسا ضربتها وتكسر شوكة مصر وتحطم قوتها وقوة العرب •

وقد ظهرت فى تلك الاثناء ايضا قوة العرب وتضامنهم فى

صور اتفاق عسكرى بين مصر وسوريا والاردن • وتم بمقتضاه توحيد القيادة بين الدول الثلاث ويتولاها اللواء عبد الحكيم عامر فى حالة أى اعتداء • وقد تسلم قائد الجيش الاردنى اللواء أبو نوار أسلحة ومعدات من مصر وسوريا ومعونة مالية من المملكة السعودية وأصبح يمتلك بفضل هذه المساعدات أسلحة تكفى لصد أى عدوان اسرائيلى •

كما انه غداة التأميم أعلن الرئيس عبد الناصر أن سوريا قررت أن تتحد مع مصر اتحادا حرا سليما لتدعيم مبادىء العزة والكرامة ولنرسى سويا القومية العربية والوحدة العربية •

وكذلك صرح الرئيس شكرى القوتلى فى ٦ اكتوبر ان الاتحاد بين سوريا ومصر أمر مفروغ منه وسيتم فى وقت قريب جـدا • وقال ان الاتحاد العربى سائر فى طريقه •

وهكذا كان الغرض من العدوان القضاء على القومية العربية والقضاء على مبادىء الوحدة والتضامن العربى • وكان الاستعمار يريد القضاء على المثل وعلى المبادىء فى مصر وفى سوريا حتى يستطيع ان يطمئن الى أن القومية العربية قد تبددت وتفككت وان أعوان الاستعمار من العملاء سيعملون معهم على أن يحققوا هـذا الهدف • لذلك طلبت مصر من القوات السورية فى أول أيام المعركة الا تشترك القوات السورية فى المعركة حتى تكون على استعـداد لتدافع عن القومية العربية فى قلبها ، ذلك ان الاستعمار كان يبيت لنا أمرا ، ويريد أن ينشر ميدان المعركة حتى يصفى العناصر الوطنية وحتى يقيم من عملائه فى سوريا ركيزة ليضعها ضمن مناطق النفوذ وبذلك يهدد الاوضاع الوطنية والاوضاع القومية ويضع هذه المنطقة كلها داخل مناطق النفوذ •

ولقد أوضحنا فيما تقدم أن هجوم القوات الاسرائيلية كان يخفى

وراءه مؤامرة بين بريطانيا وفرنسا واسرائيل • وان الدول الثلاث كان من مصلحتها كسر شوكة مصر وتحطيم قوتها والقضاء عـــلى القومية العربية والوحدة العربية • وان مؤامرة العدوان الثلاثـــي قامت فيها فرنسا بدور المحرض بينما قامت بريطانيا بدور الشريك واستخدمت اسرائيل كمطية للتنفيذ • وكشفنا عن الاسباب والدوافع التى دعت كلا من بريطانيا وفرنسا للاقدام على العدوان المسلح على أرض الوطن تحت ستار فصل القوات المحاربة وضمان حرية الملاحة فى القناة •

وحين قامت اسرائيل بهجومهـــا المفاجيء إستطاعت مصر أن تسيطر على أرض المعركة واستطاع سلاحنا الجـــوي السيطرة على سماء المعركة وحتى ٣١ من أكتوبر كانت قواتنا البـــرية والجوية متفوقة تفوقا ساحقا وكانت خسائر اسرائيل ١٨ طائرة وخسائرنا طائرتين •

« ١٧ »

الانذار البريطاني الفرنسي

في الساعة السادسة والنصف من مساء يوم ٣٠ اكتوبر وجهت بريطانيا باسمها واسم فرنسا الى الحكومة المصرية انذارا بالآتي :

(١) ايقاف جميع الاعمال الشبيهة بالحربية في البر والبحر والجو .

(٢) سحب جميع القوات العسكرية الى مسافة ١٠ اميال من قناة السويس .

(٣) ان تقبل مصر احتلال الاراضي المصرية بوساطة القوات البريطانية والفرنسية للمواقع الرئيسية فى بورسعيد والاسماعيلية والسويس .

وأعطيت الحكومة المصرية مهلة ١٢ ساعة للرد على هذا الانذار وتنتهي المهلة في الساعة السادسة والنصف من صباح الاربعاء ٣١ اكتوبر بتوقيت القاهرة . وتضمن الانذار انه اذا لم تتسلم بريطانيا وفرنسا الاجابة في الوقت المحدد فانهما تتدخلان بالقدر الذي تريانه ضروريا لضمان اجابة مطالبهما .

وقد تسلم نص الانذار البريطاني الاستاذ سامي أبو الفتوح سفير مصر بلندن في الساعة السادسة والنصف من مساء يوم ٣٠ اكتوبر بتوقيت القاهرة . واخطرت السفارة البريطانية في القاهرة بهذا الاجراء .

كما سلم مسيو دروجيه القائم بأعمال فرنسا السيد/حسين

عزيز وكيل وزارة الخارجية فى مقابلة عاجلة تمت الساعة الخامسة مساء ٣٠ اكتوبر انذار الحكومة الفرنسية .

وطلبت السفارة البريطانية فى القاهرة الى رعاياها ورجال السفارة وزوجاتهم الرحيل عن القاهرة . وقد غادرت القاهرةزوجة السفير وزوجات رجالالسفارة واطفالهم وموظفات السفارة فى صباح صباح يوم ٣٠ اكتوبر .

ولقد وجه الينا الانذار فى وقت كانت الملاحة فيه مستمرة ولم تهدد اطلاقا وفى الوقت ذاته كانت القوات المصرية تحتشد لمقابلة القوات الاسرائيلية المعتدية .

ووافقت اسرائيل على الانذار الذى وجه اليها ايضا لان من مصلحتها أن تكون القوات المصرية بعيدة عشرة أميال من القناة . ووافقت على ايقاف القتال لانها هى المعتدية ، وكانتقواتنا منتصرة وترغمها على الارتداد .

أما فى مصر فقد استدعى الرئيس جمال عبدالناصر فىالساعة العاشرة والنصف من مساء يوم ٣٠ أكتوبر السفير البريطانى ونبهه الى أن الانذار الذى وجهته بريطانيا باسمها واسم فرنسا الىالحكومة المصرية لايمكن قبوله بحال ، وانه اعتداء على حقوق مصر وكرامتها وامتهان صارخ لميثاق الامم المتحدة . ففى الوقت الذى تدافع فيه مصر عن نفسها داخل أراضيهاضد الاعتداء الاسرائيلى تتحفزبريطانيا على المعتدى عليه . وأنذر الرئيس بأن مصر لايسعها ازاء أى عدوان عليها الا أن تدافع عن حقها وكرامتها .

واستدعى السيد الرئيس القائم بأعمال السفارة الفرنسية وأبلغه رفض مصر للانذار .

واستدعى السيد الرئيس القائم بأعمال السفارة الفرنسية

الروسى وسفير يوغوسلافيا والقائم بأعمال السفارة الهندية وسفير أندونيسيا وأحاطهم سيادته علما بالموقف وحملهم برســـائل الى ايزنهاور وبولجانين وتيتو ونهرو وسوكارنو .

وقررت مصر ألا توقف القتال مادامت القوات الاسرائيلية فى أراضيها لانها فى حالة دفاع شرعى عن أراضيها التى اعتدت عليهـا اسرائيل .

وفى نفس الوقت وبعد انتهاء المهلة المحددة فى الانذار قررت بريطانيا وفرنسا الهجوم على مصر بل أكثر من هذا ، فقد صرح ايدن بأن القوات البريطانية والفرنسية ستتجه الى منطقة قنـــــاة السويس حتى اذا قبلت مصر واسرائيل الانذار النهائى الذى وجـه اليهما بوقف القتال قبل الساعة الســـادسة والنصف من صباح الاربعاء ٣١ اكتوبر .

ولقد كان الانذار البريطانى الفرنسى مفاجأة لامريكا ، وطلب ايزنهاور من ايدن وموليه سحب الانذار الموجه الى مصر بانزالقوات بريطانية فرنسية فى قناة السويس كما طلب منهما تسوية أزمة الشرق الأوسط بالوسائل السلمية بدلا من القوة المسلحة . ولكن ايدن وموليه لم يستجيبا لطلب أمريكا .

وأعلن ايدن فى مجلس العموم البريطانى فى ٣١ اكتوبر أنه يجب على بريطانيا أن تحمى مصالحها الحيوية فى الشرق الاوســـط سواء بموافقة أمريكا المبدئية أو بدونها .

هذا فى الوقت الذى استنكر فيه العالم كله العدوان البريطانى الفرنسى الاسرائيلى على مصر . فاستنكرت تشيكوسلوفاكيا العدوان على مصر واعتبرته انتهاكا لميثاق الامم المتحدة واخلالا بالالتزامات الدولية التى ارتضتها اسرائيل بمقتضى اتفاق الهـــدنة . وأعلنت

حكومة الهند أن الانذار البريطانى الفرنسى على مصر يعتبر خرقا صريحا لميثاق الامم المتحدة • كماأعلنتالصين الشعبية أنهذا الاجراء المتهور سيلقى مقاومة قوية ليس من الدول العربية فحسب بل ومن كل الشعوب المحبة للسلام فى المناطق الآسيوية والافريقية وسائر أنحاء العالم • واحتجت حكومتها على الاعتداء الصارخ على مصر لان فيه استفزازا صارخا لشعوب الدول الآسيوية والافريقية وتهديدا خطيرا للسلام العالمى • وأيدت مصر فى كفاحها •

بل ان الحرية لم تعدم انصارا لها حتى فى بريطانيا ذاتهـــا من أنصار الحرية ومحبى السلام • فقد هاجم نواب حزب العمـال ايدن هجوما عنيفا فى مجلس العموم بسببالاعتداء الغادر على مصر وطالبوه بالاستقالة من الوزارة • وقال جيتسكل زعيم حزب العمال أن الشعب البريطانى صدم وأحس بالعار لان الطائرات البريطانية تضرب مصر بالقنابل لادفاعا عن نفسها ولكن تحديا لميثاق الامـم المتحدة • وناشد جيتسكل نواب المحافظين العدول عن تأييد ايدن فى موقفه للتخلص منه وتأليف حكومة جديدة • وعقب لورد أتلى الرئيس السابق لحزب العمال البريطانى بأنه يتعين أن يوضع حد لهذا الجنون قبل كل شىء • ووصف العدوان البريطانى الفرنسى على مصر بأنه أمر سيء يدل على الغباء •

وقد استقال وزير الدولة البريطانى انتونى ناتنج من منصبه احتجاجا على هجوم القوات البريطانية على مصر • كما استقـــال مستشار ايدن من منصبه •

وقام طلبة ستة جامعات بريطانية بمظـــاهرات احتجاجا على سياسة بريطانيا فى الشرق الاوسط •

وحاول رئيس وزراء بريطانيا فى بيانه الذى ألقاه فى مجلس العموم ظهر يوم ٣ نوفمبر أن يتنصل من تبعة الاعمال العدوانيـــة

الوحشية التى تقوم بها القوات المسلحة البريطانية الفرنسية ضد الشعب المصرى . وحاول أن يبرر العدوان البريطانى الفرنسى على مصر برغبة كل من بريطانيا وفرنسا فى ايقاف الحرب الدائرة بين كل من مصر واسرائيل بصفة نهائية .

ولكنه من الواضح أن الحرب القائمة وقتذاك لم تكن بين مصر واسرائيل وانما بين مصر من جهة وبين كل من بريطانيا وفرنسا من جهة أخرى .

وقد أذاعت الحكومة المصرية فى ٣ نوفمبر بيانا رسميا جاء فيه ان الحرب بيننا وبين بريطانيا وفرنسا اللتين تهاجم قواتهماالمسلحة المدنيين المصريين فى مدنهم وقراهم فتهدم المساكن والمستشفيات والمعابد ، وتذهب أرواح الشيوخ والاطفال والنساء بلا تمييز ولا رحمة وبصورة تشمئز منها النفوس المتمدنة ـ هذه الحرب تدور بيننا وبين فرنسا وبريطانيا وليس بيننا وبين اسرائيل . والرأى العام العالمى يدرك حقيقة الموقف تمام الادراك .

وصرح ريتشارد نيكسون نائب الرئيس الامريكى ايزنهاور بأن معارضة امريكا للاجراء العسكرى البريطانى الفرنسى ضدمصر كانت اعلانا لاستقلال أمريكاعن التقاليد الاستعمارية لهاتين‌الدولتين بعد أن تجلت فى سياستهما نحو افريقياوآسيا . وقال ان استخدام القوة خطأ اذا التجأ اليها أعداؤنا وهو خطأ أيضا اذا التجأ اليه أصدقاؤنا .

ووافق المؤتمر الاشتراكى الدولى على مشروع القرار باستنكار العدوان على مصر . قدم مشروع القرار هيو جيتسكل زعيم حزب العمال البريطانى . وقد انسحب الوفد الفرنسى من المؤتمر معلنا احتجاجه على المشروع . وكان المشروع يتضمن اتهام الحكومة البريطانية وحكومة جى موليه رئيس وزراء فرنسا الاشتراكى

بالاعتداء على ميثاق الامم المتحدة وتحدى القرارات التى وافقت عليها أغلبية الدول الاعضاء فى الجمعية العامة للامم المتحدة ٠

ووصف شبيلوف وزير خارجية روسيا ماأقدمت عليه بريطانيا وفرنسا من القاء القنابل على مصر بأنه عمل من أعمال العصابات وطالب بريطانيا وفرنسا بوقف عدوانهما على مصر واعطاء الامم المتحدة السلطة فى الاشراف على السلم فى الشرق الاوسط ٠

كما احتجت الحكومة السوفيتية لدى بريطانيا وفرنسا على حصار السواحل المصرية وبعض موانى البحر الابيض الاخرى ٠ وقالت روسيا أن هذا العمل يعد خرقا لاتفاقية سنة ١٨٨٨ نظرا لاعلان الدولتين أن بعض مناطق البحرين الابيض والاحمر ممنوعة وجاء فى الاحتجاج أن هذه الاعمال العدوانية تثير الشعوب المحبة للسلام فى جميع الدول ، وان الحصار البحرى أدى الى استحالة استخدام قناة السويس مما يعد انتهاكاصريحا لاتفاقية سنة ١٨٨٨ وحملت مسئولية النتائج المحتملة لهذه الاعمال للحكومتين البريطانية والفرنسية ٠ ووصفت الحكومة السوفييتية العمليات التى تقوم بها اسرائيل وفرنسا وبريطانيا فى الشرق الاوسط بأنها عمليات عدوانية وتتعارض مع ميثاق الامم المتحدة ٠

لقد وجهت الحكومة المصرية نداء باسم شعب مصر الى جميع دول العالم جاء فيه أن شعب مصر يخوض معركة العقاء والشرف ٠ وهو لايقاتل من أجل نفسه وبلده فقط بل هو يقاتل من أجل العالم المتحضر كله ٠ وما دام العدوان على مصر مستمرا فى أقليمها متحدياً لقرارات الامم المتحدة فان مصر ستستمر فى القتال بكل عزم واصرار وبكل ذرة فى كيانها ضد قوى الشر وفى سبيل حياة كريمة تستحق أن يعيشها الانسان ٠ وناشدت مصر العون من المتطوعين والاسلحة

وغير ذلك من كل أولئك الذين مازالوا يحترقون فى جميع انحاء العالم كرامة الانسان حكم القانون فى العلاقات الدولية ٠

وشعرنا على الفور اننا لسنا وحدنا ، وان الدنيا كلها معنا ٠ الذين يحاربوننا ليس معهم شعوبهم ، ان كل عمال بريطانيـــا ، وكل مفكريها ، وكل أصحاب الرأى والفكر معنا ونصف الشعب الفرنسى لايؤيد حكومته فى خطوتها الجنونية ، ان الله معنا ، والحق معنا ٠٠ ومعهم الباطل ٠٠ ولقد انتصر الحق وزهق الباطل ٠

ولم ير التاريخ من قبل ثورة تجتاح النفوس فى العالم على عمل من الاعمال كما حدث استنكارا للعدوان البريطانى الفرنسى الغـادر على الاراضى المصرية ٠ انها ثورة جارفة تشتعل فى نفوس الاحرار فى كل مكان ٠ فقد أحرق المتظـــاهرون فى مدينة داكا فى شرق باكستان مكتب الاستعلامات البريطانى احتجاجا على العدوان على مصر ودمر المكتب تدميرا تاما ٠ وحاول أكثر من عشرة آلاف من المتظاهرين اقتحام دار المندوب السامى فى كراتشى ووقع صـــدام بينهم وبين البوليس ٠

وفى الهند تظاهر مئات من طلبة جامعة دلهى احتجاجا عـلى العدوان البريطانى الفرنسى وحاولوا اقتحام دار المندوب السـامى البريطانى والسفارة الفرنسية ٠

وتظاهر فى كولومبيو أكثر من مائة من طلبة الحقوق وهتفوا بسقوط بريطانيا ٠

وانفجرت قنبلة زمنية فى مبنى بنك باركليز البريطانى فى مدينة طرابلس بليبيا فهدمته وأصيب بعض موظفيه بجراح ٠

وانتدب الطلبة الشرقيون بجامعة واين وفدا منهم لمقـــابلة سفراء دولهم لقبول تطوعهم للخدمة العسكرية فى بلادهم ٠

وبدأ الاتحاد الوطنى للطلبة والجبهة الجامعية المناهضة للشيوعية فى المكسيك حملة احتجاج على العدوان البريطانى الفرنسى الاسرائيلى فى مصر ٠

وتظاهر أمام السفارة المصرية فى بونس ايرس آلاف من العرب ونادوا بهتافات عدائية ضد اسرائيل وفرنسا وبريطانيا ٠

واحتجت ألبانيا على العدوان الاسرائيلى الفرنسى البريطانى على مصر وطالبت بتدخل الامم المتحدة لوقف اطلاق النار ٠ وطالبت ايطاليا بانهاء التدخل الانجليزى الفرنسى ٠

وقرر الاتحاد الدولى للعمال العرب ماياتى :

١ – حرمان الدول المعتدية على مصر من بترول العرب ولو أدى ذلك الى نسف منشئات البترول فى البلاد العربية ٠

٢ – نسف القواعد العسكرية للدول المعتدية ومنعها من أن تكون نقطة الوثوب على مصر ٠

٣ – مقاطعة سفن وطائرات العدو حتى لاتستخدم فى المعركة ضد مصر ٠

وقام الاحرار المجاهدون بعمليات نسف أنابيب البترول الممتدة من العراق والتى تملكها شركات انجليزية فرنسية حتى ميناء بانياس السورى ، واشتعلت النار فى خزانات البترول الخاصة بالقوات البريطانية قرب بنى غازى ، وظلت الانفجارات تتوالى طوال الليل فى المعسكرات والمنشئات البريطانية ٠ كما نسفت أنابيب البترول بطرابلس ولبنان ، وبذلك تسبب الهجوم البريطانى الفرنسى الاسرائيلى الغادر على مصر فى وقف انتاج ربع بترول العالم ٠

وكذلك تم نسف أنابيب البترول البريطانى فى سوريا وليبيا والبحرين ، ونسفت أنابيب أرامكو فى المملكة العربية السعودية ، وقطعت المملكة السعودية علاقاتها مع بريطانيا وفرنسا ٠

ونسف فدائيون فى الاردن خط أنابيب البترول الموصل من العراق الى ميناء حيفا الاسرائيلى عبر الاردن فاشـــتعلت النيران وارتفعت فى السماء وظلت مشتعلة عدة ساعات ٠

وقطعت سوريا علاقاتهـــا مع انجلترا وفرنســـا وأبدت استعدادها لدخول المعركة ، ووضعت سوريا قواتها العســكرية تحت تصرف القيادة المشتركة التى أمرتها بالتريث ليتحول ميدان المعركة الى قناة السويس ، كما تحركت القوات السعودية الى الحدود الاردنية ٠

وتوافدت جموع الشعب العراقى على دار السفارة المصرية فى بغداد للتطوع فى صفوف الجيش المصرى ٠ وقـــدم أفراد الشعب مئات الجنيهات للمساهمة فى تسليح الجيش المصرى ٠

وأبلغت الحكومة الاردنية السفير البريطـــانى بأن الاردن لم يسمح مطلقا باستخدام مطاراته أو أراضيه لتكون قواعد يوجـــه منها اعتداء على مصر أو أى قطر عربى آخر ٠ وأبلغته أيضا أنهـــا تحتفظ لنفسها بحرية التصرف والعمل اذا حدث شىء من هـــذا القبيل ٠ وقاطعت الحكومة الاردنية فرنسا اقتصاديا ٠

واتهم نهرو بريطانيا وفرنسا بتعطيل الملاحة وطالب بسحب قواتها من مصر تفاديا لحرب عالمية ٠

ونددت روسيا بصفة رسمية بالعمل العدائى الذى ترتكبه بريطانيا وفرنسا واسرائيل ضد مصر ، وطـــالبت مجلس الأمن بالتدخل فورا لوقف هجوم تلك الدول على مصر

وجاء فى بيان الحكومة الروسية أن الحقائق تدل على ان غزو القوات الاسرائيلية للاراضى المصرية ليس الا مؤامرة أحكمت الدول الدول الغربية تدبيرها ولا سيما بريطانيا وفرنسا وذلك لاتخاذ ذريعة من ذلك لاحتلال البلاد العربية ولا سيما منطقة قناة السويس •

• هذا التأييد من جميع دول العالم لقضية مصر ـ الذى عرضنا لمحات منه ـ زادنا ايمانا بعدالة قضيتنا ، وبأن الحق معنا والله معنا **وكنا مؤمنين بأن النصر فى النهاية لنا • وكنا على استعداد شبابا** وشيوخا واطفالا ونساء أن نضحى بأرواحنا ودمائنا فى سبيل **حريتنا ، وتطهير أرض الوطن التى دنستها أقدام المعتدين •**

(١٨)

الالتجاء الى مجلس الامن

بعد أن رفضت مصر الانــــذار البريطاني الفرنسي باعتباره اعتداء على حقوقها وكرامتها وامتهان صارخ لميثاق الامم المتحدة ٠

وبعد أن اعلنت مصر عزمها على الاستمرار في القتال ما دامت القوات الاسرائيلية في أراضيها ، لانهـــا في حالة دفاع شرعي عن أراضيها التي اعتدت عليها اسرائيل ٠

وبعد أن اثلج صدرنا ما لمسناه من استنكار العـالم للعدوان الغاشم وما شعرنا به من تأييد لموقفنا ، كل ذلك شـــحذ همتنا للقتال والكفاح في سبيل النصر وطرد المستعمر من أراضينا ٠

وطلبت مصر من مجلس الأمن المحافظة على السلام في الشرق الاوسط وابلغت مصر مجلس الامن نص الانذار البريطاني الفرنسي وأعلنت انها ستدافع عن نفسها ضد العدوان المسلح على أراضيها ٠

وجاء في الرسالة التي بعثت بها مصر الى مجلس الامن مايأتى اتخذت الدولتان القتال الدائر داخل الاراضى المصرية بين القـوات المهاجمة من قوات اسرائيل المسلحة والقوات المدافعة المصرية ذريعة للعدوان ٠ ولا يمكن أن يقوم هذا العذر أو أى عــذر آخر مبررا للعمل الذى اتخذته الحكومتان ، لان هذا الاجراء فيه انتهاك لحقوق مصر ولميثاق الامم المتحدة ، مما يدعو مصر أن تطلب اجتماع مجلس الامن فورا للنظر في العـــدوان البريطاني الفرنسي ٠ وفي الوقت نفسه والى أن يتخذ مجلس الامن الاحتياطات الضرورية ، ليس لمصر مفر من الدفاع عن نفسها والمحافظة على حقوقها في مواجهة مثـل هذا العدوان ٠

ثم أخطرت الحكومة المصرية مجلس الامن في الساعة الخامسة والربع من بعـــد ظهر يوم ٣١ أكتوبر انه قد بدأ في هذه اللحظة هجوم جوى على الاهـــداف العسكرية في مصر بقاذفات القنابل التابعة للقيادة المتحالفة . وفي الساعة السابعة الا ربعا من بعـــد ظهر ذلك اليـــوم بتوقيت القاهرة أخطرت الحكومة المصرية مجلس الامن بأن قاذفات القنابل قد أغارت على القاهرة .

وقد اجتمع مجلس الامن في الساعة الحادية عشرة والنصف مساء بتوقيت القاهرة ليلة ٣١ أكتوبر . وأعلن مندوب أمريكا في مجلس الامن مستر كابوت لودج ان الولايات المتحدة صعقت بنبأ الهجوم الاسرائيلي الذى حدث بعد أربع وعشرين ساعة من اصدار النداء الثانى الذى وجهه الرئيس أيزنهاور الى بن جوريون رئيس وزراء اسرائيل . كما ان الانـــذار البريطاني الفرنسي كان مفاجأة لامريكا وقدم مشروع قرار الى المجلس بوقف القتال فورا وانسحاب اسرائيل من الأراضي المصرية ومنع استخدام القوة في الشرق .

وتكلم مندوب بريطانيا مقررا ان الغرض من العدوان هـــو فصــــل القوات المحاربة وضمان حرية الملاحة في القناة وذلك حتى تحمى بريطانيا مصالحها الحيوية في الشرق الاوسط .

وطلب مندوب كل من بريطانيا وفرنســـا أن يوافق المجلس على مشروع قرار خاص باحتلال المراكز الهامة في منطقة قنــــاة السويس لما في ذلك من مصلحة للجميع . وقال مندوب بريطانيا ان القوات البريطانية والفرنسية سوف تتدخل بأية قـــوة لازمة لاحتلال المراكز الهامة في منطقة قناة السويس الحيوية .

وعقب مندوب أمريكا بأنه اذا وافق المجلس على مشروع القرار الامريكي فسوف تزول أسباب الاجراء البريطاني الفرنسي .

وعنـــد الاقتراع على مشروع القرار الامريكي الخاص بوقف

القتال فورا وانسحاب اسرائيل من الاراضي المصرية ومنع استخدام القوة في الشرق ٠ وافقت سبع دول على القرار الامريكي وعارضته دولتان هما فرنسا وانجلترا ٠ وامتنعت دولتان عن التصويت هما استراليا وبلجيكا ٠

أما الدول السبع التي وافقت على القرار فهي أمريكا وروسيا ويوغوسلافيا وبيرو وكوبا وايران والصين الوطنية ٠

واستعملت بريطانيا وفرنسا حق الفيتو ضد مشروع القرار الامريكي المقدم لمجلس الامن ٠ وعلى ذلك لم تتم موافقة مجلس الامن على مشروع القرار الامريكي ٠

وقد أصيب الرأى العام العالمي نتيجة لذلك بخيبة أمل ٠ وبدا الجو مظلما كئيبا أمام محبي السلام ٠

وقدم همرشولد سكرتير عام الامم المتحدة استقالته من منصبه وأعلن انه لا يستطيع أن يعمل سكرتيرا عاما للامم المتحدة الا اذا احترم الاعضاء تعهداتهم بالاعتراف بنصوص الميثاق ٠ وأشار الى حق الفيتو الذى استخدمته بريطانيا وفرنسا لمنع مجلس الامن من الموافقة على مشروع القرار الامريكي ٠

وقد أعرب جميع أعضاء مجلس الامن عن ثقتهم به وعدم الموافقة على ما عرضه من تقديم استقالته ٠ كما طالبته مصر بألا يستقيل ويستمر في رسالته التي يؤديها من أجل السلام ٠

أما الشعب المصرى فبعد أن فشل مجلس الامن في اقرار السلام عقد العزم على القتال حتى النصر ٠ وألقى السيد الرئيس جمال عبد الناصر خطابا في أول نوفمبر قال فيه اننا نقاتل قتالا مريرا دفاعا عن شرف مصر وكرامتها ٠ واننا سنقاتل ولن نسلم٠ اننا الآن نريد الصبر والايمان حتى ننتصر ٠ وعاهد الشعب على القتال معه من أجل الحرية لآخر قطرة من دمه ٠

وأذاع شيخ الازهر نداء الى الشعوب العربية والاسلامية دعا فيه الىدفع الخطر الذى يهدد الانسانية والسلام • وطالب الشعوب العربية بالاتحاد والمبادرة الى حمل السلاح لمواجهة العدو الغادر •

وأعلن كمال الدين حسين قائد جيش التحرير الوطنى أن مصر ستقاتل بلا رحمة • **وان مصر أعدت عدتها والسلاح يتوافر فى كل** مكان • وسنثبت للعالم وجودنا وصبرنا على الكفاح • ستدخل المعركة مؤمنين بالله واثقين من النصر •

بهذه الروح الوطنية العالية ، وبالايمان بالله عز وجل ، وبالايمان بحقنا فى الحرية الذى ندافع عنه • وبقوة عزيمتنا على مواصلة الكفاح حتى النصر بهذا كله دخلنا المعركة لاتلين لنا قناة • ولا يزعزع ايماننا مؤمنين بالنصر فانتصرنا ، وكان نصرا عظيما •

ولكن دعاة السلام ومحبيه فى العالم لم ييأسوا بعد فشل مجلس الامن • فقد أعلن الرئيس أيزنهاور للشعب الامريكى وللعالم أجمع ان قرار بريطانيا وفرنسا بارسال قوات الى مصر كان قرارا خاطئا • ووعد بأن تفعل الحكومة الامريكية كل ما فى وسعها للتغلب على الفيتو البريطانى والفرنسى فى مجلس الامن وذلك بدعوة الجمعية العامة للامم المتحدة الى تقديم المساعدة للوصول الى نهاية عادلة لهذه المشكلة المؤذية •

(١٩)

دور الجمعية العامة للامم المتحدة

ان موقف مصر الرائع والبطولة النادرة التى أبداها الشعب المصرى ضد الاستعمار ، هو الـــذى أيقظ الضمير العالمى وكان له الفضل فى مساندة الامم المتحدة لمصر ضـد العدوان المسلح • ان الامم المتحدة قد برهنت على انها تريد أن تحمى الدول الصغيرة من عدوان الدول التى تطلق على نفسها صفة الدول الكبرى •

كما ان الامم المتحدة اتخذت أخطر قـــرار وبأكبر أغلبية فى تاريخها منذ انشائها لتدفع العدوان الآثم الذى قامت به الـــدول الثلاث ، لانه عدوان غادر لا يتفق وميثاق الامم المتحدة •

وقد استأنف مجلس الامن اجتماعه فى أول نوفمبر ، وبناء على اقتراح المندوب اليوغوسلافى قرر المجلس دعوة الجمعية العامة للامم المتحدة لاجتماع عاجل طارىء لبحث الموقف فى الشرق الاوسط بعد الاعتداء الثلاثى الموجه الى مصر • وصدر هذا القرار بعـد أن فشل مجلس الامن فى الوصول الى حل يحقق الســلام فى منطقة الشرق الاوسط • وقد صدر القرار بأغلبية سبع أصوات •

وفى ٢ نوفمبر قـــدم مستر دالاس وزير خارجية الولايات المتحدة الامريكية مشروع قرار للجمعية العمومية للامم المتـــحدة تشاور فيه مع الرئيس أيزنهاور ومجلس الامن قبل تقديمه ، وهو يتضمن ست نقط :

١ ــ وقف اطلاق النار فورا •

٢ ــ الكف عن العمليات الحربية البرية والجوية والبحرية •

٣ ــ انسحاب اسرائيل فورا الى ما وراء خطوط الهدنة •

٤ – امتناع الدول الاعضاء فى الأمم المتحدة عن ارسال المواد والمهمات الحربية الى دول هذه المنطقة ٠

٥ – حرية مرور السفن فى القناة بعد تنفيذ وقف اطلاق النار ٠

٦ – تظل الجمعية العمومية مستمرة فى انعقادها حتى تطمئن على تنفيذ هذه التوصيات بحذافيرها ٠

وقال دالاس من ان الحقائق التى أمام الجمعية هى : « أولا) اخترقت القوات الاسرائيلية الحدود المصرية يوم ٢٩ أكتوبر (ثانيا) تبع ذلك اجراء بريطانى فرنسى مشترك ، فقد قدمت الدولتان انذارا لمصر ثم اغارت طائراتهما عليها (ثالثا) رفع الامر الى مجلس الأمن وعرض مشروع قرار أمريكى بوقف القتال فورا وانسحاب اسرائيل من الاراضى المصرية ومنع استخدام القوة فى الشرق وقد أفسده الفيتو البريطانى الفرنسى وهما الدولتان الوحيدتان اللتان عارضتا المشروع ٠

وقال وزير خارجية أمريكا انه يجب أن تبذل الجمعية العامة أقصى جهدها للمحافظة على العدالة والقانون الدولى ، فالالتجاء الى القوة لتصحيح وضع غير عادل سيؤدى بالعالم الى الدمار ، ويعود بالدول الى حيث كانت قبل الحرب العالمية الثانية ٠

واستعرض مستر دالاس مشكلة قناة السويس منذ اعلان قرار التأميم الى أن عرضت على مجلس الامن حيث اتفق على المبادىء الستة المعروفة الامر الذى حقق تقدما ملحوظا فأصبح الوصول الى حل قريب المنال ٠ وأضاف ان وسائل الوصول الى حل سلمى بمقتضى ميثاق الامم المتحدة لم تستنفد بعد ٠ ووصف استخدام القوة بواسطة الدول الثلاث بأنها أعمال محزنة وتخالف ميثاق الامم المتحدة ٠

وقد أصدرت الجمعية العامة للامم المتحدة فى ٢ نوفمبر قرارا بأغلبية ٦٤ دولة ضد خمس دول هى بريطانيا وفرنسا واسرائيل ونيوزيلندا واستراليا وامتنع عن التصويت ست دول ويقضى القرار بوقف اطلاق النار فورا وسحب القوات الاجنبية من الاراضى المصرية وانسحاب القوات المصرية والاسرائيلية الى ما وراء خطوط الهدنة ومنع الدول الاعضاء فى الامم المتحدة من ارسال العتاد الحربى الى الشرق الاوسط وعودة الملاحة بقناة السويس وتأمينها ٠

وقد جاء قرار الجمعية العامة نصرا جديدا لقضية الحق والحرية ، وهزيمة لقوى الطغيان البريطانية الفرنسية الاسرائيلية، اذ أن القرار دمغ العدوان بأنه اعتداء سافر على حقوق الانسان وان بريطانيا وفرنسا واسرائيل تعتبر دولا معتدية خارقة لميثاق الامم المتحدة ٠

وقدم مستر بيرسون وزير خارجية كندا اقتراحا الى الجمعية العامة للامم المتحدة يتضمن ارسال قوة بوليسية دولية مؤقتة الى منطقة الشرق الاوسط لاقرار السلام فى تلك المنطقة على أن تكون القوة تحت اشراف الامم المتحدة وقوامها عشرة آلاف رجل بمراقبة الحدود بين اسرائيل والدول العربية ٠

ووافقت الجمعية العامة للامم المتحدة على الاقتراح الكندى وكلفت مستر همرشولد السكرتير العام للامم المتحدة بتقديم مشروع بتكوين هذه القوة بموافقة الدول المعنية فى مدة اقصاها ٤٨ ساعة٠

وقد وافقت مصر فى ٣ نوفمبر على قرار الامم المتحدة بشأن وقف القتال المترتب على العدوان الاثم من اسرائيل وبريطانيا وفرنسا ، غير انها أعلنت انه لا يمكنها أن تنفذ هذا القرار اذا استمرت القوات المغيرة فى عدوانها ٠

أما بريطانيا وفرنسا فرفضتا تنفيذ قــرار الجمعية العامة للامم المتحدة بوقف القتال ٠

وازاء ذلك طلبت مصر عقد الجمعية العامة فورا لتتخذ التدابير التى تعهدت بها حرصا على مبادىء القانون والعـــدالة ، ولتوقف الهجوم الغادر ضد مصر والذى ليس له ما يبرره ٠

وفى الوقت ذاته أبلغت بريطانيا الامم المتحدة انها على استعداد لوقف الاجراءات العسكرية ضد مصر اذا تحققت الشروط الثـلاثة الآتية :

(أولا) ان توافق مصر واسرائيل على قبول قوة تابعة للامـــم المتحدة لصيانة السلام ٠

(ثانيا) أن تقرر الامم المتحدة تأليف هذه القوة والابقاء عليهـا حتى يتم الوصول الى تســوية سلمية بــين العرب واسرائيل ٠ والموافقة على وضع تنظيمات مرضية لقناة السويس على أن تضمن الامم المتحدة كلا الاتفاقين ٠

(ثالثا) أن يتم تأليف القوة التابعة للامم المتحدة ٠ ويجب أن توافق مصر واسرائيــل فورا على وضــع قوات محدودة فرنسية وانجليزية تفصل بين الطرفين المتقاتلين ٠

وفى ٥ نوفمبر أبلغت بريطانيا الامم المتحدة انها أمرت بوقف عمليات القاء القنابل فورا على مصر ٠

ولكن بالرغم من ذلك كانت الاعتــداءات على مصر ما تزال مستمرة والطائرات الانجليزية والفرنسية تلقى القنابل على القاهرة وبلبيس ومدن القناة ٠ وقد طلبت روسيا عقد جلسة عاجلة لمجلس الامن بسبب تجاهل بريطانيا وفرنسا واسرائيل للقرار الـــذى اتخذته الجمعية العامة للامم المتحدة فى ٢ نوفمبر بوقف القتال فورا

وفى صباح ٧ نوفمبر عقدت الجمعية العامة للامم المتـــحدة بناء على طلب مصر وأعلن عمر لطفى مندوب مصر الدائم بهيئة الامم ما يأتى :

١ ـ ان مصر ستواصل القتـال اذا لم تنسحب القوات الانجليزية والفرنسية والاسرائيلية فورا من أراضينا ٠

٢ ـ لن يتم تطهير القناة قبل هذا الانسحاب ٠

٣ ـ ترفض مصر الاقتراح البريطانى الفرنسى ببقاء الفنيين الذين صاحبوا حملة الغزو للقيام بأعمال تطهير قناة السويس ٠ ولا تقبل أن تساهم قوات العدوان فى أعمال تطهـير القناة بأية صـــــورة ٠

٤ ـ القتال ما زال مستمرا فى بور سعيد برغـم موافقة بريطانيا وفرنسا على قرار وقف القتال ٠

وقدم همرشولد للجمعية العامة مشروعا بانشاء قوة بوليسية دولية لمنطقة الشرق الاوسط ترابط فى المنطقة الممتدة من قنـــــاة السويس حتى الحدود المصرية الاسرائيلية عندما يستتب السلام ٠ ولن تضم هذه القوة البوليسية التى تتكون من المتطوعين أى أفراد من الدول الخمس الكبرى الـدائمة فى مجلس الامن وهى بريطانيا وفرنسا والولايات المتحدة وروسيا السـوفيتية والصين الوطنية وذلك للمصالح الضخمة التى لهم فى الشرق الاوسط ٠

ويتضمن المشروع المبادىء الاساسية الآتية :

١ ـ تبدأ القوة عملها حالما تقف العمليات العدوانية ٠

٢ ـ ستكون القوة شبه عسكرية لا أهداف حربية لهـا ، ولكنها ستكون مسلحة ، ولم يذكر المشروع أية تفصـيلات عن نوع أسلحتها ٠

٣ ـ لن تكون لهذه القوة أية حقوق أكثر مما يلزم لتنفيذ مهمتها، وستكون أكثر من مجرد هيئة مراقبة ، ولكنها لن تكون أبدا قوة عسكرية تتحكم فى الاراضى التى تقف فيها ٠

٤ ـ سيشمل عملها المنطقة الممتدة من قناة السويس حتى الحدود المصرية الاسرائيلية ٠

٥ ـ ستتكون القوة من وحدات متكاملة لتجنب عدم الكفاءة الناشئة من مزج قوميات مختلفة وستضم بضع وحدات ذات قوة عسكرية تؤخذ من أعضاء الامم المتحدة الاكثر قوة ٠

٦ ـ تمول كل دولة قواتها الخاصة ٠

٧ ـ تقرر الجمعية العامة الزمن الذى تظل فيه القوة البوليسيه عاملة ٠

وبجلسة ٧ نوفمبر أصدرت الجمعية العامة للامم المتحدة القرار التالى بأغلبية ٦٥ صوتا وامتناع ١٠ عن التصويت ولم تعارض القرار سوى اسرائيل :

« تعيد الجمعية العامة للامم المتحدة تأكيد القرارات التى اتخذتها بالأغلبية فى ٢ و ٣ و ٤ نوفمبر وهى الخاصة بوقف اطلاق النار فورا وسحب القوات الاجنبية من الاراضى المصرية وانسحاب القوات المصرية والاسرائيلية الى ما وراء خطوط الهدنة ومنع الدول الاعضاء فى الامم المتحدة من ارسال العتاد الحربى الى الشرق الاوسط وعودة الملاحة بقناة السويس وتأمينها ٠

وقررت الجمعية العامة انشاء قيادة عسكرية للامم المتحدة كقوة دولية للطوارىء وان تكون مهمتها وقف المعارك الحربية والاشراف على وقفها وذلك بناء على نصوص قرارها الصادر فى ٢ نوفمبر وانها :

١ – تؤكد عزم الامم المتحدة على تنفيذ قراراتها ونصـــوص ميثاقها ٠

٢ – تدعو اسرائيل مـــــرة أخرى الى سحب قواتها فورا الى ما وراء خطوط الهدنة وان تنفذ بكل دقة نصوص الاتفاق الذى عقد في ٢٤ فبراير عام ١٩٥٦ ٠

٣ – تدعو المملكة المتحدة وفرنسا الى سحب جميع قواتهما فورا من الاراضى المصرية

٤ – تدعو السكرتير العـــــام للامم المتحدة الى تبليغ هذه القرارات الى من يعنيهم الامر ومطالبتهم بتنفيذ هذا القرار خـــلال ٢٤ ساعة من وقت موافقة الجمعية العامة عليه

كما وافقت الجمعية العامة بأغلبية ٦٤ صوتا وامتناع ١٢ على مشروع القرار الذى قدمته سبع دول بطلب الموافقة على المبـــادىء الاساسية لقوة البوليس الدولى وعملها وفقا للمشروع الذى أعده تعمل مع همرشولد وتدعو الجمعية العـــامة للاجتماع كلما طرأت مستر مستر همرشولد واقترح المشروع تشكيل لجنة استشـــارية مسائل ذات أهمية خاصة ٠ وتتكون هذه اللجنة من البرازيل وكندا وكولومبيا والهند وايران والنرويج وباكستان ٠

وفى ٧ نوفمبر أعلن مستر همرشولد ان بريطانيا وفرنســـا وافقتا على وقف اطلاق النار مع مصر ابتداء من الساعة الثانية من صباح ذلك اليوم ٠ وقد أذيع النبأ رسميا من لندن وباريس فى نفس الوقت ٠ وطلبت بريطانيا وفرنسا من مستر ، همرشولد أن يؤكد لهما ما يأتى :

١ – ان حكومتى مصر واسرائيل قبلتا وقف اطلاق النار ٠

٢ – ان قوة البوليس الدولية قادرة على تحقيق الاهداف التى نص عليها قرار الامم المتحدة فى ٢ نوفمبر ٠

٣ ـ أن يسمح للخبـــراء البريطانيين والفرنسيين بازالة العقبات من مجرى قناة السويس ومداخلها حتى يمكن استئناف الملاحة • وهذه ليست عملية حربية بأية صورة من الصور ولكنهـا مسألة هامة للملاحة الدولية •

وأعلن مستر همرشولد أنه يستطيع أن يعطى هـــذا التأكيد الذى طلبته بريطانيا وفرنسا وهو موافقة مصر واسرائيل على وقف اطلاق النار • كما انه يستطيع أن يؤكد أن القوة الدولية ستؤلف لتكون حاجزا بين القوات المصرية والقوات الاسرائيلية ، كما تضمن حرية الملاحة فى قناة السويس • وقال همرشولد أنه يوافق عـــلى هذا الرأى لحين اقرار هذا الحل بواسطة الجمعية العامة •

هذا وقد وافقت مصر على وقف القتال بناء على الشروط التى وضعتها الامم المتحدة فى جلســـة ٢ نوفمبر وهى : (أولا) وقف اطلاق النار فورا (ثانيا) ســـحب القوات الأجنبية من الاراضى المصرية (ثالثا) الانسحاب الى ماوراء خطوط الهدنة (رابعا) منع الدول الاعضاء فى الامم المتحدة من ارسال العتاد الحربى للشرق الاوسط (خامسا) عودة الملاحة الى القناة وتأمينها •

وبعث مستر همرشولد فى ٧ نوفمبر انذار الى الحـــكومة الاسرائيلية بضرورة سحب قواتها من مصر تنفيذا للاتفاق الخـاص بوقف اطلاق النيران وألا اتخذت الامم المتحـــدة عقوبات وتدابير صارمة أخرى ضدها •

وفى ٨ نوفمبر وافقت أسرائيل على انسحاب قواتها من مصر وانشاء قوة بوليس دولية لتراقب تنفيذ قرارات الامم المتحـدة • وابلغت اسرائيل قرارها للرئيس ايزنهاور والى مستر همرشـــولد سكرتير عام الامم المتحدة •

وقد صدر من القيادة العامة للجيش المصرى فى الســــاعة

الثالثة والربع بعد ظهر يوم ٧ نوفمبر بلاغ حربي جـــــاء فيه أنه بالرغم من قرار بريطانيا وفرنسا وقف اطلاق النار فى الســــاعة الثانية من صباح ذلك اليوم بتوقيت القاهرة ، فقد طوقت القوات البريطانية والفرنسية مدينة بور سعيد • واستمر عدوان هـــذه القوات ضد قواتنا والمدنيين في مدينة بور سعيد حتى صدور ذلك البلاغ •

واستمر القتال دائرا حتى الساعة التاسعة مســـــاء اليوم المذكور في مدينة بور سعيد وقطع المعتدون المياه عن المدينة بعـــد أن فشلوا فى احتلالها •

ان المقاومة المصرية الباسلة هي التي أرغمت بريطانيا وفرنسا على اعلان وقف اطلاق النار • لقد ثبت للدولتين أن معـــركة مصر ستكلفهما ثمنا باهظا • وانهـــا لن تنتهي وستظل مستمرة تدفع الدولتان ثمنها كل دقيقة • لقد وافقت الجمعية العامة للامم المتحدة صباح يوم ٢ نوفمبر على قرار فى جانب مصر ضد العدوان البريطاني الفرنسي الأسرائيلي • وفى الساعة العاشرة من مســـاء ذلك اليوم وافقت الجمعية العامة للامم المتحدة على قرار أمريكي بوقف أطلاق النار •

وبعد أن أعلنت بريطانيا رفضها لوقف اطلاق النار عادت فى ٧ نوفمبر فأبلغت همرشولد بأنها وفرنسا قررتا الموافقة على القرار الذى صدر فى ٢ نوفمبر • وترجع أسباب الموافقة على الانسحاب الى ما يأتى :

١ ـ المقاومة الشعبية العنيفة التى اقنعت بريطانيا وفرنسا بأن معركة مصر ثمنها باهظ •

٢ ـ الرغبة فى اعادة فتح القنـــــاة وحفظ اقتصاد أوربا من الانهيار •

٣ ـ الرغبة فى أن يبدأ العمل فى تطهير القنـاة التى صمم الرئيس جمال عبد الناصر على ألا يتم الا بعد انسحاب القـــوات المعتدية •

٤ ـ الهروب من حالة التوتر التى خلقها العدوان ومحاولة انهاء هذه الحالة قبل أن يتأزم الموقف من جديد فى سوريا ، اذ أن القوات الاسرائيلية كانت تحتشد على طول خطوط الهدنة السورية الاردنية الاسرائيلية ، ولا تزال التهديدات الموجهة ضد سـلامة سوريا واستقلالها مستمرة •

٥ ـ الشعور بأن العدوان كان جريمة تحملت بريطانيـــا وفرنسا مسئولياتها أمام العالم أجمع وسجلت عليها المنظمة الدولية الاعتداء الخطير على ميثاق الامم المتحدة ووجدت بريطانيا وفرنسا أن تأخير وقف القتال لن يفيدهما وانهما لن تستطيعا الحصول عـلى قرار من الامم المتحدة فى صالحهما •

٦ ـ وجدت بريطانيا وفرنسا نفسيهما فى موقف لا تحسدان عليه بعد توجيه الانذار الروسى اليهما ، على الاقل من النـــاحية الادبية فى نظر العالم •

(٢٠)

الانذار الروسى

فى ٥ نوفمبر وجه بولجانين الرجل الاول فى الاتحاد السوفيتى انذارين الى انجلترا وفرنسا بسحق قواتهما ووضع حد للقتال فى مصر فورا واعادة استقرار السلام فى الشرق الاوسط باستخدام القوة .

وجاء فى الانذار انه ينبغى أن تفكر بريطانيا فى موقفها اذا تعرضت لهجوم دولة أقوى منها ، دولة لا تهاجمها لا بالسفن والطائرات ولكن بواسطة الصواريخ الموجهة ، فاذا أطلقت الصواريخ الموجهة فهلا تعتبر هذا عملا وحشيا ؟ وما الفرق بينه وبين الهجوم الذى تقوم به بريطانيا وفرنسا ضد مصر وهى على غير استعداد !

وناشد بولجانين فى رسالته لايدن حزب العمال ونقابات العمال والشعب البريطانى كله أن يعمل على وقف هذا الاعتداء المسلح ووضع حد لاراقة الدماء . وان هذه الحرب التى لها مايبررها سوف يكون لها أخطر النتائج على السلام العالمى .

وفى رسالة بولجانين الى جى موليه طلب وضع حد للاعتداء ووقف اراقة الدماء كما كرر طلب وقف القتال فورا .

وبعث بولجانين برسالة عاجلة الى الرئيس ايزنهاور جاء فيها أن روسيا والولايات المتحدة هما أكبر دولتين تملكان جميع أنواع الاسلحة الحديثة بما فى ذلك القنبلتين الذرية والهيدروجينية، وأنهما لذلك تتحملان مسئولية خاصة لوقف هذه الحرب واقرار السلام واعادة الهدوء الى هذه البقعة من الشرق الأوسط . وانه اذا

أعلنت الحكومتان عزمهما على اقرار السلم ومقـــاومة العدوان فان العدوان سيتوقف وينتهى القتال ولا تنشب حرب ٠

ولا جدال فى أن استخدام القوة بواسطة الولايات المتحـــدة وروسيا تؤيدهما الامم المتحدة سيكون خير ضمان لوقف العدوان ضد الشعب المصرى ، وشعوب الشرق العربى ٠ ان الموقف فى مصر يحتاج الى اجراء حاسم سريع من جانب الامم المتحدة ٠ وفى حـالة ما اذا لم يتخذ هذا الاجراء فان الامم المتحدة ستفقد مكانتهـــا فى العالم وسيصيبها التفكك ٠ اما اذا اتفقت روسيا وأمريكا على تقديم العون للدولة التى وقعت ضـــحية العدوان ، فان الدول الاخرى الاعضاء فى الأمم المتحدة ستشترك فى هذه الجهود ، وبهذا يتحقق للامم المتحدة نفوذها وكرامتها ويستقر السلم وتتوطد أركانه ٠

وقال بولجانين أن الحكومة السوفيتية على استعداد للدخـول فورا فى مفاوضات عاجلة مع حكومة الولايات المتحدة لوضــــع اقتراحها موضع التنفيذ العملى حتى يمكن اتخاذ خطوات فعــــالة لخدمة أغراض السلام خلال الساعات القليلة المقبلة ٠

وقد أذيع ان الرئيس ايزنهاور رفض الاقتراح الروسى الخاص باشتراك القوات الروسية والامريكية فى قت القتـــال فى الشرق الاوسط ٠

ولم تؤثر الدعوى الى السلام ووضع حد لاراقة الدمــــاء فى السياسة الخرقاء التى تتبعها بريطانيا وفرنسا ، سياسة القوة التى لم تعد تلائم عصر النور والحرية ٠

لقد رفض ايدن المذكرة الروسية الشديدة التى بعث بهـــا بولجـــانين الى ايدن وانذره فيها بوقف العمليـــات العسكرية البريطانية الوحشية فى مصر ٠

وجاء فى الرد أن بريطانيا تلقت الانذار بالاسف العميق وانها ترحب بتأييد الحكومة الروسية للاقتراح الخاص بتأليف قـــــوة دولية فى الشرق الاوسط .

غير أنه مع ذلك لايجب أن نغفل التأثير الادبى للانذار الروسى وموقف بريطانيا وفرنسا أمام العالم وســــــيف الاتهام مسلط الى أعناقهما بأنهما هددتا السلام العالمى وأنهما مسئولتان عن اراقــة الدماء فى هذه البقعة من الشرق الاوسط .

ولا جدال فى أن بريطانيا وفرنسا عندما قبلتا وقف اطلاق النار تنفيذا لقرار هيئة الامم المتحدة فى ٧ نوفمبر فقد كان للانذار الروسى أثره بعــــــد أن كانت قد رفضت وقف اطلاق النار فى ٢ نوفمبر تنفيذا لقرار هيئة الامم .

(٢١)

انسحاب المعتدين

وافقت بريطانيا وفرنسا على وقف اطلاق النار وعلى سحب قواتهما من الاراضى المصرية كما وافقت اسرائيل على سحب قواتها الى ماوراء خطوط الهدنة وقد أعلنت هذه الموافقة فى يومى ٧ و ٨ نوفمبر ولكن مع ذلك تراخت القوات المعتدية فى تنفيذ قرار الجمعية العامة للامم المتحدة الذى يقضى بالانسحاب فورا وبوقف الاعمال الحربية فورا .

وفى ١٩ نوفمبر أبلغت الحكومة المصرية الامم المتحدة أن القوات المعتدية البريطانية والفرنسية فى بور سعيد تقوم بأعمال وحشية ضد أهالى بور سعيد . وقالت مذكرة مصر أن القيادة البريطانية أعلنت انها ستطبق أحكاما عرفية على الاهالى وتقيم محاكم عسكرية ، واعترفت بالتشويش على اذاعة القاهرة حتى لا يسمعها أهل بور سعيد . وفرضت القوات المعتدية حصارا على المدينة ومنعت ٣٠ مراسلا أجنبيا من دخولها لرؤية الفظائع الوحشية وأطلقت عليهم النار واعتقلتهم ١٢ ساعة ، واطلقت القوات النار على النساء والاطفال حين حاولوا مغادرة المدينة .

وقالت الحكومة المصرية أنها تعتبر هذا الاجراء خرقا صريحا للاعلان العالمى لحقوق الانسان ومخالفة للمادة ١٩ منه تقرر أن لكل انسان الحق فى حرية الرأى والتعبير عنه .

وقامت القوات البريطانية والفرنسية كذلك بمنع بعثة الهلال الاحمر وممرضيها من الدخول الى المدينة حتى يتمكنوا من اداء

مهمتهم الطبية . وايصال الادوية والمواد الغذائية الى أهل مدينة بور سعيد الذين نكبوا من جراء الاعتداء الوحشى ، وكذلك منعت بعثة الصليب الاحمر من الدخول الى المدينة لاداء مهمتها الانسانية. ولم تسمح القوات بعودة الاهالى الى المنازل بعد وقف اطلاق النيران وتعدى الامر الى اطلاق النيران على بعض النساء والاطفال حين حاولوا مغادرة المدينة .

وفى ٢٠ نوفمبر بعثت الحكومة المصرية الى السكرتير العام للامم المتحدة والى جميع دول العالم ببيان جاء فيه ان الحوادث التى توالت منذ ٢٩ أكتوبر سنة ١٩٥٦ حتى تاريخ تقديم هذا البيان قد أثبتت أن مصر كانت ولا تزال هدفاً لمؤامرة متعددة الاطراف يقوم بالدور الرئيسى فيها كل من بريطانيا وفرنسا متخذين اسرائيل أداة لتنفيذ مؤامرتهما العدوانية .

ففى ٢٩ اكتوبر أعلنت اسرائيل ان قواتها المسلحة بدأت غزو الاراضى المصرية فى الوقت الذى عبرت فيه قواتها المسلحة الحدود المصرية . وبعد ٢٤ ساعة وجهت الحكومة البريطانية باسمها واسم فرنسا انذارا باحتلال ثلاث مدن مصرية واذا لم توافق مصر فى ظرف ١٢ ساعة فستحتلها القوات البريطانية والفرنسية بالقوة . ورفضت مصر الانذار واحتفظت بحقها فى الدفاع عن نفسها ضد العدوان الفرنسى والبريطانى المنتظر .

وفى نفس اليوم اجتمع مجلس الامن لبحث العدوان الاسرائيلى على مصر ، وأصدر قرارا بوقف القتال بناء على طلب الولايات المتحدة ولكن بريطانيا وفرنسا اعترضتا على القرار الامريكى أى أنهما أعلنتاموافقتهما على ما تقوم به اسرائيل من عدوان وغزو للاراضى المصرية . وتعرضت مصر لعدوان غادر من بريطانيا وفرنسا فى الوقت الذى كانت تدافع فيه عن نفسها ضد العدوان الاسرائيلى،

اذ قامت الطائرات البريطانية والفرنسية يوم ٣١ اكتوبر بالقاء القنابل على المدن المصرية ، القاهرة والاسكندرية وبور سعيد والسويس والاسماعيلية كما هاجمت المطارات المصرية المدنية والعسكرية ٠

وهكذا انكشفت المؤامرة الثلاثة ضد مصر لغرض اخضاع الشعب المصرى والانتقاص من سيادته وحقوقه المشروعة ٠

وفى ٢ نوفمبر أصدرت الجمعية العمومية للامم المتحدة فى دورة غير عادية قرارا بوقف اطلاق النار فورا وانسحاب القوات المعتدية ٠ وقد عارضت هذا القرار انجلترا وفرنسا واسرائيل التى صممت على أن تسير فى مؤامرتها العدوانية ضد الشعب المصرى وأعلنت عدم استجابتها لقرار الامم المتحدة ٠ واستمر الشعب يقاتل دفاعا عن حقوقه وسيادته من قرية الى قرية ومن منزل الى منزل ٠

ووجهت الحكومة المصرية نداء الى جميع دول العالم تطلب فيه معاونتها على رد العدوان الاستعمارى ٠

وفى ٥ نوفمبر قامت القوات المعتدية بغزو مدينة بور سعيد التى يسكنها ٢٥٠ ألف مصرى ، ورغم الهجوم البربرى لم يستسلم سكان بور سعيد واستبسلوا فى الدفاع عن مدينتهم وقامت القوات المعتدية بضرب المدينة بالطائرات والاسطول وقامت بغارات على بور سعيد يوم الغزو وعددها ٥٠٠ غارة ٠

ونتج عن ذلك العمل الوحشى أن هدمت المساكن على النساء والاطفال واشتعلت فيها النيران كما عطلت جميع المرافق وهدمت المستشفيات مما يتنافى مع حقوق الانسان وأبسط القواعد الانسانية ٠

وأمام المقاومة الباسلة وتحت ضغط الرأى العام العالمى وجهود الامم المتحدة وافقت الدول المعتدية على وقف اطلاق النار ولــكن القوات المعتدية حاولت اجبار المصريين على التعاون معها الامر الذى رفضه سكان بور سعيد مما نتج عنه اتخاذ اجراءات بربرية ضدهم اذ طردت بعض السكان من بور سعيد عن طريق بحيرة المنزلة وبعد أن تحــركت القوارب التى تحمل الاهـــالى أطلق عليها الجنود البريطانيون النار • ووقع هذا الحادث أمام الصحفيين الاجانب •

وطالبت الحــكومة المصرية بالتحقيق العاجل فى الجــرائم الوحشية المنافية للانسانية التى ارتكبتها القوات المعتدية ضـــد المدنيين المسالمين حتى يرى العالم كيف أرادت انجلترا وفرنسا أن تعود بالعالم القهقرى الى الفوضى والبربرية •

لقد اشتركت الطائرات الفرنسية والبريطانية مع اسرائيــل فى ضرب قوات الجيش المصرى تحت اسم الأعمال البوليسية وفصل القوات المتحاربة كما أعلنت القيادة البريطانية فى بلاغاتها الرسمية أنها أغرقت السفينة عكا بضربها بالطائرات فى القناة تحت اســم حماية القناة ، وأغرقت السفن الموجودة فى ميناء بورسعيد أثناء ضرب المدينة بالطائرات وذلك تحت أسم فصل القوات المتحــاربة وحماية القناة •

وفى ٨ نوفمبر تكلم بيتر فورنيكروفت رئيس مجلس التجارة البريطانى نائبا عن الحكومة فى مجلس العموم البريطانى واتهم مصر بأنها تنفذ مؤامرة مصرية روسية ، وكان ذلك لتبرير العــدوان الهمجى على الاراضى المصرية •

وفى ١٥ نوفمبر قال اللورد هالثام وزير البحرية البريطانية ان مصر نظمت مع روسيا تخريب الموارد البترولية • فا لحكومة المصرية تعلن ان هذه الاقوال كلها اكاذيب متعمدة الغرض منها تبرير العد

وان الهمجي واحتلال الاراض المصرية ، وان مصر ضحية عد وان مدبر اشتركت فيه انجلترا وفرنسا واسرائيل .

ومن الا عمال العد وانية في بورسعيد تنتهك القوات البريطانية الفرنسية حرمة المساكن وتطلق النار بلا حساب على السيدات والا طفال الامنين في منازلهم وتقوم بنهب المدنين واجبار هم على العمل تحت ستار التهديد المسلح منتهكة بذلك جميع الشرائع ، ومهدرة حقوق الانسان الاساسية .

ان الحكومة المصرية تطالب باجراء تحقيق في الفظائع التي ارتكبتها القوات المعتدية ضد شعب مصر المسالم ، وفي التدمير والتخريب والمذابح التي ارتكبتها القوات البريطانية والفرنسية ضد المواطنين المصريين في بورسعيد ، والتي قامت بها اسرائيل في غزة ورفح والعريش ، وتطالب بمعاقبة المعتدين ، والاستتكرر المأساة اذا أفلت المجرم من العقاب .

هذه هي الصورة الحية الواضحة التي عرضتها مصر على الجمعية العامة للامم المتحدة وهذا هو موقف القوات المعتدية بعد أن أعلنت رسميا انها وافقت على وقف القتال والانسحاب فاذا بها رغم ذلك تستمر في اعتداءاتها على الشعب المسالم وعلى السكان الآمنين في منازلهم ، غير مراعية حرمة لسكن ولا كرامة لا مرأة وشيخ مسن أو طفل رضيع ، وغير ملقية بالا الى ماتفرضه الشرائع السماوية عامة وما قررته المواثيق الدولية واعلان حقوق الانسان ، بل انها لم تراع مبادىء الشرف واحترام الكلمة .

وازاء هذا العدوان الصارخ على الشعب المسالم ، واستجابة لنصوص ميثاق الامم المتحدة والرأى العام العالمي الذى استنكر العدوان أرسل بولجانين الى بريطانيا وفرنسا واسرائيل يحذرها من تأخر انسحاب القوات المعتدية على مصر لان ذلك ينطوى على خطر كبير .

وطالب بولجانين بتعويض مصر عن خسائرها واقترح تأليف لجنة دولية لتقدير مدى الخسائر التي عانتها مصر ٠

وقد تعللت فرنسا وانجلترا أمام هيئة الامم لتأخير انسحاب قواتهما بانهما على استعداد للمضى فى الانسحاب بمجرد أن تصبح قوة البوليس الدولى التى يجرى تشكيلها فى مركز تستطيع معه القيام بالوظائف التى كلفت بها بمقتضى قرارات الامم المتحدة الصادرة فى ٢ و ٥ و ٧ نوفمبر ٠

وبجلسة ٢٤ نوفمبر قررت الجمعية العامة للامم المتحدة مطالبة بريطانيا وفرنسا واسرائيل مرة أخرى بالانسحاب فورا من مصر من غير شروط وذلك بعد أن لاحظت الامم المتحدة مع الاسف الشديد استمرار وجود قوات هذه الدول فى أرض مصر ٠

وقد وافقت على هذا القرار ٦٣ دولة وامتنعت ١٠ دول عن التصويت وعارضته ٥ دول هى بريطانيا وفرنسا واسرائيل واستراليا وبلجيكا ٠

كما وافقت الجمعية العامة للامم المتحدة على قرار بتخويل السكرتير العام للامم المتحدة سلطات واسعة لاستخدام قوة البوليس الدولية فى الشرق الاوسط ٠

أى جرأة على الحق هذه !! وأى دولة هذه التى لاتحترم كلمتها لقد وافقت كل من بريطانيا وفرنسا اسرائيل على وقف القتال فورا والانسحاب ومع ذلك فاعتداءاتهم على الشعب المسالم السكان الآمنين مازالت مستمرة ، ولم تنسحب قواتهم من أرض الوطن ، مسرح المعركة ٠

وليس هذا فحسب بل أنها بعد ان وافقت على وقف القتال والانسحاب عادت فى اجتماع الجمعية العامة للأمم المتحدة فى ٢٤ نوفمبر تعارض فى قرار الانسحاب ذلك القرار الذى سبق أن وافقت عليه ووعدت بتنفيذه ولم يكن قرار هيئة الامم الاخير الا ترديدا وتوكيدا لقرارها الاول ٠

ولما كانت قوات البوليس الدولى ستحضر الى مصر تنفيذ القرارات هيئة الامم للاشراف على انسحاب القوات المعتدية فى بورسعيد وهى مهمة مؤقتة ثم تذهب جنود القوة الدولية الى الخطوط الامامية المصرية اسرائيلية لمراقبة جلاء القوات الاسرائيلية عن منطقة سيناء وغزه ورفح .

وقد حضر مستر همرشولد الى مصر واجتمع بالرئيس جمال عبد الناصر لاجراء مباحثات حول تنفيذ قرارات الامم المتحدة الخاصة بانسحاب القوات المعتدية وعمل قوات الامم المتحدة فى هذا الشأن وتم الاتفاق بين الحكومة المصرية وسكرتير عام الامم المتحدة على ما يأتى :

(١) ضرورة الحصول على موافقة مصر لاشتراك أية دولة فى قوات الامم المتحدة التى نص عليها قرار الامم المتحدة الصادر فى ٧ نوفمبر سنة ١٩٥٦

(٢) ضرورة الحصول على موافقة مصر لدخول القوة البوليسية الدولية للاراضى المصرية .

(٣) تحدد مصر المكان الذى تتواجد فيه القوة الدولية .

(٤) اذا سحبت مصر موافقتها فى أى وقت فان على قوات الامم المتحدة أن تنسحب فى الحال .

(٥) لن يكون للقوة الدولية أى عمل فى بورسعيد ومنطقة القناة بعد انسحاب القوات الانجليزية الفرنسية المعتدية التى يجب أن تنسحب فى الحال حسب قرار الامم المتحدة ويكون عمل قوات الامم المتحدة على خطوط الهدنة بين اسرائيل ومصر طالما كانت مصر موافقة على بقائها .

وعلى أساس هذه المبادىء تكونت قوة البوليس الدولى وتحمل

اسم الأمم المتحدة • وقد وصلت هذا القوات الدولية أبو صوير فى ١٥ نوفمبر •

وقد طلبت مصر من الجنرال بيرنز رئيس البوليس الدولى جلاء القوات المعتدية فورا عن أرضها قبل البدء فى تنفيـــذ قرارات الامم المتحدة الخاصة بالبوليس الدولى •

وفى ٣ ديسمبر أعلن سلوين لويد وزير خارجية بريطانيا فى مجلس العموم أن الحكومتين الفرنسية والبريطانية قررتا انسحاب قواتهما من مصر بلا قيد ولا شرط وأعلن بينو وزير خارجية فرنسا نفس القرار فى الجمعية الوطنية الفرنسية •

وأصدرت الحكومتين البريطانية والفرنسية الاوامر الى الجنرال كيتلى القائد العام للقوات المعتدية أن يتفق مع الجنرال بيرنز قائد القوات الدولية على جدول مواعيد الجلاء التام •

وقد دخل البوليس المصرى بورسعيد فى ١٨ ديســـمبر وكان يرافقهم مندوب من البوليس الـــدولى • وقامت دوريات مشتركة للمحافظة على الامن والنظام فى المدينة •

لقد عرف شعب بورسعيد قبيل انسحاب القوات المعتدية كيف يسخر منها ويرغمها على الاسراع فى اتمام عملية الانسحاب خوفا من غضب الشعب • فقد علق الفدائيون المصريون تمثالا يمثـــل ايدن مشنوقا فى حبل مشدود فوق الطريق وذلك بعد دخول البـوليس المصرى مدينة بورسعيد •

وفوجئت القوات المعتدية فى طريق انسحابها بعربة تحمـــل نعشا ملفوفا بالعلم الانجليزى وعند رأسه حذاء قديموقد كتب عـلى النعش « هذا نعش ايدن » وأسرعت دورية بريطانية الى مكان النعش ونزل ضابط بريطانى وقذف النعش على الارض •

ومرت احدى الدوريات البريطانية فى شارع كسرى فسارت خلفها مظاهرة من الاطفال يقلدون حركاتهم ويحملون قطعا خشبية على أذرعهم ويسيرون فى نفس نظام الدورية وخلفها مباشرة حتى جندى اللاسلكى قلدوه ووضعوا علبا من الصفيح على آذانهم وكانت الدوريات كلما سارت قوبلت بالسخرية .

وتم انزال العلم البريطانى سرا فى الساعة السادسة من صباح ١٩ ديسمبر من سارية مبنى قيادة القوات المعتدية فى بور سعيد ، دون احتفال .

وتسلمت قوات الامم المتحدة مبنى ادارة شركة القنـاة الذى اتخذه المعتدون مقرا لقيادتهم، ورفع علم الامم المتحدة على المبنى . كما انزل العلم البريطانى من فوق سارية مطار الجميل بين مظاهر الوجوم والحزن التى بدت على وجوه جنود المعتدين ، وتسلمت القوات الدولية المطار . وقد تسلمت مصر مطار الجميل فى ٢٠ ديسمبر .

وأخيرا تم انسحاب القوات المعتدية نهائيا من بورسعيد . وخرج آخر جندى بريطانى وفرنسى من أرض مصر . وسلم الفرنسيون بورفؤاد للبوليس الدولى الساعة العاشرة والنصف من صباح يوم ٢٢ ديسمبر وقد تم انسحاب الانجليز سرا خلال فترة حظر التجول التى فرضها الانجليز لمدة ٢٤ ساعة فى المنطقة الضيقة قرب تمثال ديلسبس والتى تم منها الانسحاب . وحمى البوليس الدولى انسحاب القوات البريطانية فانشأ منطقة حراما بين القوات المنسحبة وأهالى بورسعيد .

ونزل العلم الفرنسى وارتفع علم الامم المتحدة .

وتسلمت السلطات المصرية بورسعيد فى فجر يوم ٢٣ ديسمبر، وبذلك انتهت مهمة البوليس الدولى فى بورسعيد وأصبح من المقرر أن تذهب جنود القوة الدولية فورا الى خطوط الهدنة بين اسرائيـــل ومصر .

وكانت فرحة في قلوب الشعب المصرى . وكان عيدا عظيما هو عيد النصر . وقد احتفلت بورسعيد بهذا العيد الكبير . وكان الاهالى يطلقون الرصاص فى الهواء ابتهاجا بالنصر . واقاموا زفة للدبابات المصرية التى دخلت المدينة . وأحرق المتظاهرون العلم البريطانى والعلم الفرنسى وكانت القوات المعتدية قد لحمتهما بالاوكسجين فى يدتمثال ديلسبس . وأنزل علم بريطانيا من فوق طابية السلام فى الميناء لترفع العلم المصرى مكانه .

واستمرت المظاهرات طوال اليوم تهتف بحياة عبد الناصر رائد القومية العربية وبطل العروبة .

وفى يوم ٢٤ ديسمبر نسف شعب بورسعيد تمثال ديلسبس واستقر التمثال فى قاع البحر . سقط تمثال ديلسبس فى الماء بعد نسفه ثلاث مرات . وهكذا أزال من بورسعيد آخر أثر من آثار الاستعمار .

وفى ٢٨ ديسمبر بدأ تطهير القناة التى صممنا الا تبدأ فى تطهيرها الا بعد اعادة الحياة العادية الى مدينة بورسعيد ومنطقة القناة بوجه عام وبعد سحب القوات غير المصرية من منطقة القناة . وقد طلبت الحكومة المصرية معاونة الامم المتحدة فى تطهير القناة من العوائق ، واشترك فعلا أسطول الامم المتحدة فى انتشال السفن الغارقة وعادت الملاحة فى القناة فى مارس سنة ١٩٥٧

. . .

الى هنا استعرضنا كيف بدأ العدوان المسلح على أرض الوطن ، كما استعرضنا الجهود التى بذلتها الامم المتحدة حتى أصدرت قراراتها بوقف القتال فورا وبانسحاب القوات المعتدية من أرض الوطن وما صادف تنفيذ هذه القرارات من اعتراضات ثم كيف زالت هذه

بالعقبات وتم وقف القتال وانسحاب القوات المعتدية وعودة السلام الى أرض النيل وخرج المعتدون يجرون أذيال الخيبة والفشل والذل والانكسار . ورفعنا علمنا عاليا خفاقا يرفرف فوق أرضنا الحبيبة فى عيد النصر .

والآن لنعش الصفحات التالية مع ذكريات المعركة فى ميدان القتال مع الجيش ، ومع الشعب المكافح من أجل حريته ، يوما بيوم وساعة بساعة ودقيقة بدقيقة حتى كتب لنا النصر .

(٢٢)

مصر فى المعركة

كان شعور الشعب أيام العدوان أن الاستعمار سيلقى مصرعه فى هذه الارض الطاهرة المكافحة وان بريطانيا وفرنسا واسرائيــل ستتلقى درسا فى بطولة المصريين المكافحين لن تنساه مدى الحياة . وكان كل مصرى رجلا كان أو امرأة أو شابا او شابة ، جنديا عاملا فى جيش التحرير العام . اننا قد عاهدنا أنفسنا أمام الله اننا لن ننام ولن تهدأ نفوسنا حتى نشفى غلتنا ونثأر لحريتنا من فلول الاستعمار، ونواجه البغى والعدوان صفا واحدا مؤمنين بأن الله أراد لنا الخير حين أعدنا لرسالة الجهاد وفى طلعتنا قائدنا الذى قرر أن يستبسل فى الدفاع عنا ولا يستسلم وهو الرئيس جمال عبد الناصر الذى قادنا الى النصر وأعلن أننا سنقاتل الى آخر نقطة من دمائنا وشعار كل فرد منا سنقاتل ولن نسلم أبداً وسنبنى بلدا وتاريخا ومستقبلا ، وقد جاهدنا وكافحنا كفاح الابطال وانتصرنا بفضل هذه السياسة الحكيمة .

ولقد أمر كمال الدين حسين قائد جيش التحرير أن يســـمح لجميــع الراغبــين المدربين من قوات جيش التحرير بالذهاب الى أرض المعركة واتخذت قوات جيش التحرير مواقعها فى أرض المعركة منــذ ٢ نوفمبر .

وقد بدأت العمليات العسكرية فى الساعة التاسعة من مســاء يوم الاثنين ٢٩ أكتوبر سنة ١٩٥٦ بتقدم بعض الوحدات الاسرائيلية من العقبة الى الكونتلا وهى نقطة حدود مصرية لم يكن فيهـا الا قوة صغيرة للانذار من قوات الحدود وبعد قليل أنزلت اسرائيل من الجو قوة من جنود المظلات عند سد الحيطان التى تقع على بعد ٩٠ كيلو مترا من

شرق السويس فى منطقة جبلية وعرة وفى نفس الوقت بدأت الدعاية الاسرائيلية تقول ان القوات الاسرائيلية تقترب من قناة السويس . وكانت القوات المصرية تتجه الى قوة المظلات فاحتلت ممر « متلا » الجبلى ثم بدأت تشتبك مع قوة المظلات الاسرائيلية .

وفى صباح الثلاثاء ٣٠ اكتوبر سنة ١٩٥٦ كان القتال يدور عنيفا بين القوة المصرية وبين جنود العدو الهابطين بالمظلات وتدخل سلاح الطيران المصرى فى المعركة واشتبك بدوره مع قوات العدو الجوية التى بادرت الى نجدة جنوده .

وعند الظهر كانت قواتنا تتولى تطهير المنطقة من جنود العدو الهابطين بالمظلات بينما كان الطيران المصرى يسيطر على سماء المعركة وفى نفس الوقت كانت قوات العدو المدرعة قد بدأت تهاجم المواقع المصرية الامامية الموجودة بين العوجة وابو عجيلة . وتمكنت المواقع المصرية الامامية من صد هجوم العدو وتكبيده خسائر كبيرة فى الدبابات والافراد .

ولم ينته يوم الثلاثاء حتى كانت الاوامر قد صدرت لقوات لسلسية من الجيش المصرى منها وحدات من المشاة والمدرعات بالتقدم الى الحدود للاشتباك فى القتال . وعند منتصف الليل كانت الوحدات المصرية تتجه بأقصى سرعة الى الحدود الشرقية وكان واضحا بجلاء أن اتجاه المعركة يتقدم فى صالح القوات المصرية بعد ٢٤ ساعة من بدء القتال وكان الموقف كما يلى :

(١) أوقفت قواتنا تقدم الجيش الاسرائيلى لنجدة جنوده الهابطين بالمظلات عند سد الحيطان واستطاع السلاح الجوى البحرى تدمير الامدادات المرسلة لتعزيزهم ، كما استطاع أن يسيطر على أرض المعركة .

(٢) تم وقف الهجوم على أبو عجيلة وتكبد العدو خســـــائر كبيرة ٠

(٣) قواتنا الاحتياطية فى طريقها الى الميدان بالمشاةوالمدرعات وتأخذ زمام المبادرة ٠

(٤) وفجأة تقـــدمت بريطانيـــا وفرنسا بانذارهما الغـــادر الى مصر ٠

وفى فجر الاربعاء ٣١ أكتوبر كان سلاح الطيران المصرى قد أتم غارات جوية مفاجئة فوق جميع مطارات العـــدو فى اسرائيـــل ٠ وعاد العدو فكرر هجومه على موقع أبو عجيلة وتكبد خسائر جديدةفى الدبابات وفى الافراد ٠ عاد العدو للمرة الثالثة الى موقع أبو عجيلة ولكنه فشل للمرة الثالثة ٠ تحققت السيطرة الجوية بوضـــــوح للسلاح الجوى المصرى الذى اشتبك مع الطيران الاسرائيلى واستطاع بعد أقل من ٣٦ ساعة من بدء المعركة أن تحطم ١٢ طائرة من طراز ميستير «٤» تكون نصف ما للعدو من المقاتلات النفاثة التى كان قد حصل عليها من فرنسا ٠

ثم ظهرت فى سماء المعركة أسراب كثيرة من طراز ميستير«٤» وتبين قطعا ان السلاح الجوى الفرنسى يشترك صراحة مع الســـلاح الجوى الاسرائيلى فى المعركة مستعملا نفس مطاراته وقواعده ٠

وقد اتجهت قاذفات القنابل المصرية فى مساءالاربعاءالىأهدافها داخل اسرائيل وهاجمتها طوال الليل بالقنابل الحارقة والشـــديدة الانفجار ٠

وفى الساعة السادسة من مساء الاربعاء تدخل الطيران الملكى البريطانى فى المعركة تعززه طائرات فرنسية فأغار عـلى القـــاهرة والاسكندرية وهنا اتضحت خطة العدو الانجليزى الفرنسىالاسرائيلى

وتحقق ان الهدف الاول من العملية هو استدراج أكبر مجموعة من القوات المسلحة المصرية الى الحدود الشرقية ، وفي نفس الوقت يستمر ضرب المطارات المصرية من الجو ، وبذلك تحرم قواتنا على الحدود الشرقية من أى مساعدة جوية وبذلك أيضا تقطع خطوط مواصلات الجيش فى سيناء تمهيدا لتركيز الضرب عليها بالطائرات فى الوقت الذى تكون فيه مطاراتنا ذاتها معرضة للغارات الجوية المستمرة وبذلك ستصبح المجموعة الرئيسية للجيش المصرى هدفا لهجوم اسرائيل يعاونها فيه السلاح الجوى البريطانى والفرنسى ، بينما تكون هذه المجموعة فى عزلة كاملة عن قواعدها خصوصا اذا تمت عملية انزال قوات بريطانية وفرنسية فى السويس .

وفى حوالى الساعة العاشرة من مساء الاربعاء ٣١ أكتوبر تم اتخاذ قرار خطير يقضى بسحب القوات المصرية من الحدود الشرقية على أن تتحرك على هذه الحدود وحدات انتحارية تحمى تنفيذ الخطة . وفى ساعة مبكرة من صباح الخميس أول نوفمبر تم سحب القوات المصرية التى كانت على الطريق الاسط وتركت القوة التى صدت الهجمات على ابو عجيلة تتولى حماية العملية .

بدأ سحب جزء من قوة العريش ثم سحب قوة من رفح وباقى قوة العريش وقد وجد العدو أن الخطة التى أحكم تدبيرها قدانكشفت فسارعت الطائرات البريطانية المقاتلة تضرب القوات المصرية المتجهة غربا ، وكذلك بدأت تضرب الكبارى والمعديات على القناة لمنع تنفيذ العملية .

وصدرت الاوامر للقوات الانتحارية التى خصصت لحماية العملية بأن تقاوم العدو بكل ماتستطيع على أن يكون لقادتها حق التصرف بعد نفاذ ذخيرتها .

وقد أغارت الطائرات المعادية البريطانية على سفينة مصرية فى قناة السويس ·

وفى يوم الجمعة ٢ نوفمبر بدأت القوات المصرية تأخذ مراكزها لمواجهة العدوان الانجليزى الفرنسى وكان تركيز العـــدو الانجليزى الفرنسى من الجو ملحوظا على المطارات المصرية وعلى منطقة القنال وعـلى قطع الاسطول فى ميناء الاسكندرية ·

ويوم السبت ٣ نوفمبر واصل العدو غاراته الجوية ·

ويوم الاحد ٤ نوفمبر واصل العدو غاراته الجوية ·

وقد استطاع السلاح الجوى المصرى خلال هذه الفترة أن يقـوم بعمليات رائعة فقد حقق سيطرة كاملة على أرض العمليات على الحدود فى بداية المعركة وقام باشتباكات مع القوات الجوية الاسرائيلية استطاع فيها الطيارون المصريون تحطيم القوة الضاربة للطيران الاسرائيلى وشن غارات عنيفة متواصلة كانت تزيد أحيانا على ١٤ غارة فى الليلة الواحدة على المطارات والقواعد الاسرائيلية · وقد دمر سلاح الطيران المصرى ربع ماتملكه اسرائيل من طائرات فى يومين من القتال ·

وقامت المدفعية المصرية المضادة للطائرات بواجبها كاملا لمحاولة صد طائرات العدو المغيرة ·

وقد بلغ عدد الطائرات البريطانية والفرنسية والاسرائيلية التى أسقطها السلاح الجوى المصرى والمدفعية المضادة للطائرات حتى ليلة ٤ نوفمبر ٨٧ طائرة · وقد عرض حطام الطائرات الانجليزية والفرنسية التى أسقطتها المدفعية المصرية فى ميدان التحرير ·

وفى خلال الاسبوع الذى انقضى من بدء العمليات قام السلاح البحرى بالنشاط التالى :

(١) ضرب ميناء حيفا من البحر •
(٢) أغرق قطعة بحرية بريطانية فى خليج السويس •
(٣) أغرق قطعة بحرية ثانية •
(٤) أغرق حاملة جنود بريطانية •
(٥) أغرق طرادة فرنسية أمام البرلس •

وبعد أن تكبدت البحرية البريطانية هذه الخسائر انسحبت القوات البحرية البريطانية والفرنسية الى الجنوب بعيدة عن الشواطىء المصرية واستمرت مدفعية السواحل المصرية فى اطلاق النيران عليها •

وقام الاسطول المصرى بمطاردة أسطول العدو وضربه أثناء انسحابه •

والطريف انه اثناء الغارات الجوية المتتالية التى قامت بها الطائرات البريطانية والفرنسية على المدن المصرية فى الساعة العاشرة من مساء ٢ نوفمبر الى العاشرة مساء ٣ نوفمبر فقد كانت هذه الغارات موجهة الى مطاراتنا الحربية بألماظة وقد شوهدت ألسنة اللهب والحرائق من الجو فى الماظة ، وقد ظن السلاح الجوى البريطانى أنه أصاب السلاح الجوى المصرى ، ولكن مصر كانت تعلم ان بريطانيا على علم تام بمكان سلاحنا الجوى لذلك نقلت طائراتنا الحربية الى مكان آخر ووضع مكانها نماذج طائرات خشبية فلما ارتفعت الحرائق على أثر القاء القنابل فى هذه المنطقة ظن العدو أنه أصاب سلاحنا الجوى وأنه أبيد عن آخره ولكن الحقيقة أن طائراتنا الحربية ومطاراتنا الحربية لم تتأثر بهذه الغارات لانها كانت قد نقلت من مكانها طبقا لخطة مرسومة •

لقد ادعت اسرائيل فى تصريحات رجالها المسئولين انها انتصرت على مصر فى سيناء ، وهذا كذب وافتراء على حقيقة الواقع • ان المعركة الوحيدة التى نشبت بيننا وبين اسرائيل هى معركة أبو عجيلة • ولقد

هاجم لواءان اسرائيليان مشاة ولواء مدرع موقع أبو عجيلة وكان به كتيبتا مشاة مصريتان ٠ كانت ١٠٠ دبابة اسرائيلية و ٢٧٠٠ جندي اسرائيلي يهاجمون ٨٥٠ جنديا مصريا ٠ وصمدت القوات المصرية وفشل هجوم اسرائيل يومى ٢٩ و ٣٠ وليلة ٣٠ ويوم ٣١ أكتوبر ويومى ١ و ٢ نوفمبر حينما انسحبت قواتنا لتواجه العدوان البريطاني الفرنسي ٠ وبعد ذلك كان موسى ديان قائد القوات الاسرائيلية يستطيع أن يمشي بسيارته بلا مقاومة لانه لم يكن هناك جيش ٠ فأين اذن الانتصار الذى تتحدث عنه اسرائيل ٠ ان العالم كان يشهد وجيشنا الباسل يتحدى انه لولا اعتداء بريطانيا وفرنسا الى جانب اسرائيل لقضينا على اسرائيل فى ٧٢ ساعة ، وما كانت لتقوم لها قائمة بعد ذلك ٠

ويجدر بنا ان نشير هنا الى أن الكتيبة ١١ مشاة التى كانت مكلفة بستر انسحاب قوات العريش ورفح ، ظلت فى مواقعها تؤدى واجبها حتى تم انسحاب جميع القوات المصرية وبدأ العدو يهاجم الكتيبة من جميع الاتجاهات ٠ وعندما تأكد قائد الكتيبة ١١ أنه قد تم انسحاب قواتنا أصدر أمره بالانسحاب بعد أن دمر أسلحته الثقيلة وانسحبت الكتيبة فى ١٠ نوفمبر الى القناة سيرا على الاقدام ، وقطعت بذلك ما يزيد على ١٥٠ كيلو مترا ٠ ووصلت الكتيبة بأسلحتها الخفيفة ومدافع الماكينة ، وكان النظام الذى وصلت به الكتيبة بعد هذه المسألة الطويلة ، وفى منطقة بها العدو يدعو الى الاعجاب والفخر ٠

لقد انتقل ميدان المعركة الى بورسعيد وكان شعبها الى جانب الجيش يقاتلان بشجاعة ٠

ان الذى شاهد بور سعيد يوم ٥ نوفمبر يراها وقد تحولت الى معسكر كبير يضم جميع أبناء هذه المدينة الباسلة التى ذاقت من

احتلال المستعمرين البريطانيين الكثير فى فترة من الزمن ولعـــل دور البطولة الذى كتبه الشعب ، البور سعيدى اليوم سيجد صفحة كبيرة فى التاريخ ليسجل بها أروع قصص البطولة ! الشعب كله حماس وقوة وايمان خرج ليدافع عن أرض وطنه .

لقد كان الشعب بأجمعه فى انتظار ســاعة الصفر . تلك الساعة التى أعلنوا عنها فى استخفاف فما ان لاحت بشائر الدفعة الاولى من جنود مظلات العدو فى مىناء بور سعيد فى الســـاعة السابعة والنصف من صـــباح ٥ نوفمبر حتى سارعت جمـــوع الشعب من كل مكان شيوخا وشبانا ورجالا يحملون الاســـلحة المختلفة التى كانت موجودة فى كثير من المخازن وباحياء مختلفة . وفى هـــذه الاثناء كانت تجوب ميناء بور سعيد عربات فيهـــا ميكروفونات أخذت تخطر الاهالى عن مكان نزول العدو فاندفعت الجموع الى هذه الاماكن وكل فرد يحمل فى يده بندقيته وفى معركة رهيبة تقابل الشعب البور سعيدى والجنود البريطانيون والفرنسيون والاسرائيليون وفى ســـاعة كاملة كانت هناك آلاف الجثث التى أصيبت بالرصاص والتى فقدت الحياة قبل أن تصل الى الارض ، وحتى هؤلاء الذين وصلوا الى الارض كان الرصاص ينهال عليهم من كل مكان .

قنـــابل تفجر فى كل مكان تلك التى كانت تلقيها طائرات العدو لكى تحمى نزول جنود المظلات وبالرغم من شدة انفجارات هذه القنابل تدفقت جنود الشعب لاستقبال هؤلاء الهابطين .

وبمجرد أن قضى عليهم ارتفعت فى سماء بور سعيد الاصوات تردد فى كل مكان تحيا مصر .. تحيا مصر .. الموت للاعداء .

وما أن انتهت المعركة الاولى التى سجلها شعب بور سعيد فى مطـــار الجميل حتى أخذت قوات العـــدو الانجليزية الفرنسية

الاسرائيلية تهبط فى مكان آخر ناحية « الجلف » فعادت العربات التى كانت تحمل مكبرات الصوت مرة أخرى لتنبيه الشعب الى ميدان المعركة الجديد ·

وكان أفراد الشعب يتسابقون للوصول الى هذه المنطقة الجديدة وهم يصيحون سنحارب · الموت للاعداء · وكنت تسمع فى كل مكان ترديد الاناشيد الحماسية التى تحمل اسم مصر وشرف مصر وكرامة مصر ·

اندفعت هذه الجموع بنظام خلف العربات التى كانت تقودها وتوجهها لكى تلتقى بهؤلاء البرابرة الاستعماريين ولكن المسافة كانت بعيدة فبمجرد ان وصلت الجموع الى ناحية « الجلف » سبقهم الى هناك فريق من القوات المسلحة التى أحاطت مكان نزول جنود العدو وبسياج من جنود الجيش المصرى احاطة تامة واتخذ الشعب مكانه بجوار القوات المسلحة منتظرا الاوامر الاولى ليبدأ فى هذه المعركة ·

وكنت ترى فى عين كل مصرى فى تلك اللحظة التاريخية فى حياتنا ايمانا وثقة بالمستقبل ، جيش وشعب ضد ظلم واعتداء من ثلاث دول فى وقت واحد ، انجلترا وفرنسا واسرائيل ·

وفى هذه الاثناء كانت قوات ثالثة قد هبطت ببور فؤاد ورددت أصوات الميكروفونات مكان المعركة الثالثة وكان قد هبط جنود الامبراطورية العجوز فتجمع فريق من الاهالى وسارعوا الى الوكر الثالث وفى طريقهم الى هذا الوكر شاهدوا بعض الجنود وهم فى طريقهم الى الارض فاستقبلتهم فوهات البنادق ، استقبالا حماسيا يليق بهم فخروا صرعى ·

وفى أثناء نزول العدو فى هذه الاماكن هبط جزء كبير منهم

الى سطح بحيرة المنـزلة وكنت تسمع أصـوات الاستغاثة مـن الرصاص الذى ينهال عليهم والمحاولات اليائسة تنجاة من الغرق ·

كانوا يطلقون الرصاص في كل مكان بعـد ان قوبلوا بوابل من الرصاص ، واستولى عليهم الذعر وانطلقت الرصاصات الطائشة المصحوبة بالقنابل الى أى مكان وتمكن الفدائيون من القضـاء على معظم القوات الهابطة ·

وهنا بدأ الاسطول البريطاني الفرنسي يضرب المدينة بمدافعـه الثقيلة بينما الطائرات تلقى قنابلها لتدك المدينة وبالرغم من هــذا كله استمرت المقاومة العنيفة · وكان الشـعب كله يشـترك في المقاومة وسقطت فى البحر ٧ طائرات عندما حاولت ان تسقط مهمات وأسلحة ذخيرة بالمظلات على قواتهم · وحاول العدو ضرب بورسعيد من الجو بعد فشل هجومه لانقاذ قواته · ثم أسقطت قواتنا ثماني طائرات أخرى ·

ولقد تعرضت مدينة بور سعيد لغارات جوية عنيفة مستمرة كان هدفها الاول الضغط على الاهالى ، وبالرغم من هذا الهجوم العنيف عليهم فانهم شاركوا القوات المصرية فى مقاتلتهم للعدو ·

واستمر القتال العنيف في بور سعيد طول الليل والنهار يوم ٦ نوفمبر وانتقلت المعركة الى الشوارع والمنازل · قاتل جيش مصر وقوات المقاومة الشعبية من منزل الى منزل ·

وظلت قوات العدو تضرب المدينة بالقنابل ومدافع الاسـطول طوال اليوم ومع ذلك كانت المقاومة الشعبية وقواتنا روحها المعنوية عالية جدا · وحتى يوم الاربعاء ٧ نوفمبر كان القتال يدور رهيبـا تمنع قوات العدو من احتلال مدينة بور سعيد ·

وفى نفس الوقت أذاع ايدن فى مجلس العموم كذبا ان منطقة

بور سعيد طلبت التسليم في حين ان بور سعيد لم تطلب التسليم واستمرت تقاتل وتقاوم العدو مقاومة جبارة وكبدت العدو خسائر فادحة ٠

وظلت قواتنا والشعب يقاتلان بتصميم كامل رغم غارات الطيران العنيفة حتى النصر ٠ وقبلت مصر قرار الامم المتحدة بوقف اطلاق النار حرصا منها على السلام ٠

ان جمعية الفدائيين أنزلت الرعب فيقلوب القوات المعتدية ببور سعيد وكان في كل شارع من شوارع بور سعيد يفاجأ المعتدون بتمثال لجندى بريطانى مشنوق ومعلق في الفضاء مكتوب عليه « هذا هو مصيركم » وتقوم الدورية بتحطيم هذا التمثال ثم تمر بشارع آخر فتجد تمثالا جديداً ٠ ورجال المقاومة بارعون في التخفي والحركة بسرعة ولم تستطع الدوريات الانجليزية والفرنسية ان تقبض على واحد منهم ٠ وكانت روح المقاومة الشعبية في بور سعيد قوية جدا تجدها في كل حي وفي كل منزل وفي كل شخص ، حتى الشيوخ والاطفال تبرعوا بالمال والدم ٠

ان النساء والاطفال والشيوخ اشتركوا في المعركة ، وغسلوا اهانات كثيرة سابقة بدمائهم الطاهرة ٠ فبسواعدهم وقفوا أمام الاساطيل والطائرات ٠ وقامت قواتنا واهالينا في بور سعيد أحدث أنواع اسلحة الفتك والتدمير التي يحملها الغزاة المتحفزون للبطش المتعطشون للدم ، المتفجرون بالغيظ والحقد والقسوة ٠

(٢٣)

كفاح بور سعيد

كان الانجليز يريدون ان يهاجموا بور سعيد من الشمال والسويس من الجنوب على أن يتقابل الهجومان الانجليزيان والقوات الاسرائيلية القادمة من الشرق فى السويس يوم ٧ نوفمبر . ولكن حدثت مفاجأة .. ان القوات البحرية فى البحر الاحمر كانت مكونة من بارجة ضخمة حمولتها ٤٥ الف طن وطراد ضخم وعدد من المدمرات الصغيرة وعدد كبير من سفن الانزال . وهذه القوات كانت قادمة من عدن بقصد ضرب السويس وبدأت تتقدم الى الامام ولكنها لم تستطع ان تدخل رأس غارب . وعندما حاولت ذلك عند رأس أبو الدرج بدأت المدافع الساحلية المصرية تضرب بقوة وبسرعة حتى أغرقت احدى المدمرات وحاولت باقى السفن الحربية انزال بعض الجنود على الساحل ولكن زوارق الطوربيد المصرية طاردت هذه السفن وتمكنت من اغراق احدى سفن الانزال كما أسرت تسعة سفن منها وعادت زوارقنا سليمة لم يمسها سوء وتراجع الانجليز فى ذعر وذهول . ولم يجرؤ على الدخول فى المياه المصرية مرة اخرى وبذلك فسدت خطة الانجليز .

وقد اعلنت القيادة البريطانية الفرنسية فى بور سعيد عن اتخاذ تدابير مشددة لمواجهة المقاومة التى تقوى وتشتد من جانب الوطنيين المصريين ضد القوات المعتدية .

ان المعتدين على مصر ارادوا نسف بور سعيد لمقاومتها الباسلة وصمودها أمام العدوان فألقى المعتدون على مدينة بور سعيد الالاف من القنابل وشن المعتدون فى اليوم الاول لعدوانهم ٥٠٠ غارة جوية

دمروا خلالها المستشفيات والمدارس والمساجد والمكتبة العامة وغيرها من المؤسسات النظامية ، ودفن تحت الانقاض الاطفـال والنساء والشيوخ • وأطلق المعتدون النار على الاهالى عندما كانوا يحاولون النجاة من الحريق ودهسوهم بالدبابات وقتلوهم بالحراب • ودمرت القيادة الانجليزية والفرنسية مخازن المياه ومنعت المواد الغذائيـة عن السكان حتى يموت أهالى بور سعيد جوعا • لقد غادر مدينة بور سعيد ٦٠ ألف شخص من المصريين وكان الغزاة يتربصون بهم فى الطريق ويطلقون النار عليهم •

ان شعب مصر قد خلع عنه الملابس المدنية وأصبح كل فـرد يسير مرتديا ملابس الميدان • وهم جميعا يحملون السلاح عـلى أكتافهم • بينما السيدات فى ملابسهن البيضاء يعملن ليـل نهار لتحويل بعض المدارس الى مستشفيات طوارىء • وفى داخـل المنازل كانت كل سيدة مصرية قادرة على العمل تعمل عملا متصلا فى اعداد الملابس اللازمة للمرضى من جهة وللمقاتلين فى الميدان مـن جهة اخرى •

وقام الشبان من أبناء بور سعيد وحملوا السلاح يدافعوا عن أرض الوطن ، وشرف الوطن ، وليردوا العدوان • قام الشباب بين العاشرة من العمر واكثر من ذلك بقليل ليتلقى رصاص الطائرات • وقد اعترف بذلك الاعداء قبل الاصدقاء قالوا فى كتبهم عنـــدما أرخوا العدوان ان الشباب فى بور سعيد من سن العشر سنوات والـ ١١ سنة والـ ١٢ سنة وقفوا وراء المتاريس • كانوا يمثلون المقاومة الصلبة والمقاومة الصامدة ، وحملوا السلاح ولم يتراجعوا ابدا عن مواقع الدفاع بل قاتل الشباب واستشهد وبذل دماءه فى سـبيل أرضه وفى سبيل شرفه ، وفى سبيل بلده •

ان القوات المصرية التى تنتظم الجيش والبوليس والشـعب كافحت كفاح الابطال وأبادت قوات الهابطين بالمظـلات وسحقتهم

سحقا عدا ثلة منهم تحصنت بمحطة مياه بور سعيد في انتظار المدد من قبرص . ولكن المدد أمام كفاح بور سعيد وأمام بسالة المقاومة الشعبية لم يستطع الوصول لنجدتها .

وكانت القوات الفرنسية والبريطانية المعتدية تستخدم قوات المستعمرات والفرق الاجنبية الفرنسية في الهجوم على بور سعيد . كانوا يلقون بأبناء هذه الشعوب المستعبدة . ولكن لم يخرج حيا من اعتدى على أراضينا . ان الاستحكامات في الجبهة المصرية قد بلغت أعلى مستوى في الحرب الشاملة وروح الشعب فاقت كل مستوى كان كل مكان في المدينة تكمن خلفه النار التي تنطلق في كل لحظة . وكان شعارنا اننا سنقاتل ولم نسلم أبدا حتى نحقق النصر أونهلك دونه . وكل الطرق الى جبهة القتال قد تحولت الى براكين على أهبة الانفجار في آية لحظة .

وكان رد الشعب المكافح المناضل على القوات المعتدية .. تستطيعون الدخول الى بور سعيد . ولكن على آخر جثة لآخر مصري .

ومضت تسعة أيام من بدء المعركة دون ان تستطيع القوات المعتدية أن تحتل بور سعيد أو تسيطر على المدينة الباسلة أو تضطرها الى التسليم ، او تضعف من المقاومة الشعبية ومن هجمات الفدائيين .

وكذب ايدن عندما اعلن في مجلس العموم يوم ٥ نوفمبر ان بور سعيد استسلمت . وكذب عندما أعلن انه قرر وقف اطلاق النار تنفيذا لقرار هيئة الامم المتحدة ، اذ ان الطائرات الانجليزية والفرنسية رغم ذلك قد استمرت تلقى القنابل على مدينة القاهرة وبلبيس ومدن القناة .

واستمر القتال العنيف في بور سعيد طوال الليل والنهار

وانتقلت الى الشوارع والمنازل . قاتل جيش مصر وقوات المقاومة الشعبية من منزل الى منزل . ظلت قوات العدو تضرب المدينة بالقنابل ومدفع الاسطول طوال اليوم . ومع ذلك ظلت المقاومة عنيفة وقواتنا روحها المعنوية عالية جدا .

وفى صباح يوم ٦ نوفمبر قام العدو بانزال قوات جديدة من الجو فى بور سعيد كما حاول القيام بعمليات بحرية لانزال قوات من البحر وقام بضرب المدينة بالاسطول والطائرات كما قاتل رجال المقاومة الشعبية من الجيش والبوليس والشعب فى بعض شوارع المدن قتالا عنيفا وسيطرت قواتنا على المدينة .

وفى الساعة الرابعة والنصف بعد الظهر استمرت انجلترا وفرنسا فى عدوانهما على مدينة بور سعيد . واستمر قذف المدينة بقنابل الطائرات والاسطول طوال اليوم . كما أنزلت الدول المعتدية قواتها على الساحل فى بور فؤاد وقد تحصنت القوات المسلحة وقوات المقاومة الشعبية فى المنازل . ودارت رحى القتال ببور سعيد فى بعض الشوارع من منزل الى منزل .

وفى الساعة الثامنة مساء كانت القوات الفرنسية والبريطانية ما تزال مستمرة فى عدوانها على مدينة بور سعيد واستمر ضرب المدينة بالقنابل من الاسطول والطائرات طوال اليوم . كما أنزل العدو قوات على الساحل فى بور فؤاد وقد تحصنت قواتنا المسلحة وقوات المقاومة الشعبية بالمنازل . وقاتلت فى بعض الشوارع من منزل الى منزل .

وفى ٧ نوفمبر استمر القتال فى بور سعيد ، وكان صوت الرصاص يدوى فى كل مكان . القوات المسلحة وقوات المقاومة الشعبية تقاتل لتصد العدوان البريطانى الفرنسى الذى لم يتوقف رغم قرار وقف اطلاق النار . وطوقت قوات بريطانيا وفرنسا

مدينة بور سعيد بعد الساعة الثانية من صباح يوم ٧ نوفمبر وهو الموعد الذى حددته بريطانيا لتنفيذ قرار وقف اطلاق النار .

وقطع المعتدون المياه عن المدينة وفتحوا الجمرك واحضروا بعض الاطفال بالقوة والتقطوا لهم صوراً وهم يوزعون عليهم الحلوى من البضائع الموجودة فى الجمرك وأجبروا بعض الاهلين بالتهديد على ركوب احدى الدبابات البريطانية والتقطوا لهم صوراً .

وقد أذاعت المقاومة الشعبية نداء الى اهالى بور سعيد بانه اذا تقدم جنود العدو شبرا واحدا فى بور سعيد بعد الساعة الثانية من صباح الاربعاء فسيطلق الرصاص عليهم فورا . ان وقف اطلاق النار معناه ان يظل العدو فى اماكنه ولا يتقدم عنها . ان المانيا غزت فرنسا باكملها فى أقل من اسبوع واستسلمت فرنسا لقوات هتلر دون اية مقاومة . اما بور سعيد فقد ضربت المثل الاعلى فى الدفاع عن شرف الوطن . ان الايام التسعة مرت على قوات الدولتين اللتين تزعمان انهما دول عظمى وهى تلقى كل يوم الامرين على يد أبناء مصر ورجال القوات المسلحة والقوة المقاومة ، والتى ذاقت فيها الاهوال . علمتهم الايام التسعة ان غزو الدول المتحررة أصبح مستحيلا . وان الاسطولين البريطانى والفرنسى حاولا خلال هذه الايام التسعة انزال الجنود وتؤيدهم فى ذلك كل قواتهما وكل طائراتهما ولكنهما لم يفلحا فى السيطرة على أبناء بور سعيد بل حاربوا من شارع الى شارع ومن منزل الى منزل حتى أنزلنا بالعدو خسائر فادحة ولطخنا بدمائهم كل شبر من الارض . لقد دافع أبناء بور سعيد عن بلدهم دفاع الابطال الخالدين ولولا دفاعهم المجيد ومقاومتهم الباسلة ماقبلت الدولتان العظيمتان القرارات التى لم توافقا عليها فى يوم ٢ نوفمبر ووافقت عليها مصر ومعها ٦١ دولة من دول العالم .

لقد دارت في بور سعيد أهم معركة في الوقت الذى كان محددا لوقف القتال انسحاب القوات المعتدية •

ففى ٧نوفمبر تقدمت خمس دبابات من دبابات الاعداء محاولة ان تقتحم شارع عباس وبالرغم من مدافعها المركزة فقد استقبلها الاهالى برصاصهم وقنابلهم فعاقوها عن التقدم • ولم يكتف الاهالى بتعطيلها بل تقدم فريق منهم الى هذه الدبابات ونسفوها نسفا تاما ثم اعتلوا احدى هذه الدبابات بعد أن استولوا عليها •

وظل جنود العدو فى الاماكن التى هبطوا بها رغم محاولاتهم الفاشلة المستمرة للتحرك فهم واقفون فى منطقة صغيرة على البحر فى بور سعيد • وقد حاولوا مرات ان ينفذوا الى شارع محمد على ولكن المقاومة الشعبية كانت لهم بالمرصاد فى كل مكان •

لقد هبط جنود الامبراطورية العجوز على الشاطىء بالقرب من وابور المياه وبالرغم من ذلك تضافرت قوى الاهالى وتعاونوا جميعا من أجل توفير المياه فى جميع المنازل •

لقد اعترف الجنرال كتلى قائد القوات البريطانية الفرنسية الاسرائيلية فى مؤتمر صحفى بأن القوات الفرنسية اشتبكت مع المصريين جنوبى بور سعيد فى بعض المعارك العنيفة وقد أصيب عدد من الفرنسيين وكان هناك قتال عنيف مع المشاة المصريين الذين يتحصنون بالمنازل والمبانى ، وان القتال كان عنيفا جدا وقد اشتبكت القوات الهابطة فى معركة حامية مع المصريين من حاملى المورتر والبنادق وجنود المشاة •

هـــذه البطولة النادرة والعزيمة القادرة التى استطاعت فى بضع ساعات ان تفتك بقوى الشر الغادرة وأن ترفع فى العالم بأسره رأس مصر وشعبها وتحمل حتى خصـوم مصر على الاشادة بكفاحها

والتنويه بصلابة عودها وقوة مراسها هذه البطولة وتلك العزيمة اللتان ابداهما شعب بور سعيد جديرتان بالتحية بل جـــديرتان بالمجد والتمجيد .

لقد وقف أبناء بور سعيد وقفة الابطال وسجلوا في معركة الشرف والتضحية والفداء ما لم يسجل التاريـــخ مثله في جميع الاجيال . واثبتوا لاعدائنا السفاكين ان الاستيلاء على شبر من أرض مصر أمر بعيد المنال ان لم يكن من المحال .

هؤلاء الابطال الذين وقفوا الى جانب قواتهم المسلحة وقفتهم الخالدة فأخذوا قوات العـــدو الهابطة من الاعناق وأذاقوا أفرادها وجماعاتها من الضرب والطعن امر مذاق .. تحييهم مصر وتذكرهم أول ما تذكر بطولة الزائدين عن حماها وستظل أبد الـدهر تذكر لهم وقفتهم الباهرة هذه .. ولن تنساها .

ان كفاح بور سعيد في معركة الشرف والـكرامة والحرية فاق كل وصف . وان ايمان أبناء بور سعيد بربهم ووطنهم وبحريتهم أقوى من كل سلاح . لقد جعلوا ثرى بور سعيد للعدو قبـــورا ، وردوا جيش المعتدين مهزوما مدحورا وصـمدت بور ســعيد في موقفها .

ان الله الذى جعل الحق من أسمائه ، لا يمكن ان يمكن من الحق جحافل الاشرار من أعداء الوطن ، وانه لولينا ونصيرنا .

وفى ٢٣ ديسمبر سنة ١٩٥٦ خرج المعتـــدون من بور سعيد يحملون معداتهم بعد أن ذاقوا الذل والهزيمة أمام تصـميم الجيش على الدفاع عن وطنه وأمام ارادة الشعب القوى الذى دافع بقوة عن كرامته واستقلاله .

ظلت المدينة ٤٦ يوما تحت نير الاحتـــلال ، شوارعها مزدحمة

بدوريات الانجليز والفرنسيين · الجدران ملطخة بالدم ، شظايا القنابل متناثرة فى الطرقات · وشظايا أخرى جديدة تستقر فى أجساد المعتدين · الرصاص لا يكف عن الزئير · هدير الدبابات لا ينقطع من الشوارع ·الاعداء سخرية الناس فى بور سعيد · الجدران عليها عبارات كتبت بسرعة · بعضها بالعربية واكثرها بالانجليزية وكلها تصرخ فى وجوههم ·· اخرجوا من بلادنا ·· اتركوا أرضنا ·· عاش ناصر ·· يسقط ايدن ·· سنقتلكم سندمركم ·· سنمزق أجسادكم ·· سندق أعناقكم فى الوحل ·· سندفنكم فى القناة ··

ووضعت علامات النصر على كل جدار ، وعلى كل عامود وفوقها صورة الرجل الذى زلزل الارض تحت أقدام الغزاة ·· صورة جمال عبد الناصر · كانت دوريات الاعداء تخاف من نظرات عبد الناصر فى الصور ! ! كان جنودها يقضون طول يومهم فى نزع صورة الرجل الذى يقف من خلفه الشعب كجبل من الصلب ويأتى المساء ويحل موعد حظر التجول · ويمضى جنود الدوريات الى معسكراتهم متعبين وينطلق أبناء بور سعيد مرة اخرى فى ظلام الليل يحملون صور عبد الناصر فى يد والقنابل والمدافع فى اليد الاخرى · يعلقون صور الرئيس من جديد على الجدران ويرشقون صدور الجنود المعتدين بشظايا القنابل ·

وجن الغزاة ، أنهم لم يستطيعوا السيطرة على المدينة سيطرة كاملة ·

وبعد خروج الانجليز بقيت كل هذه الآثار مكانها ، اللافتات واللوحات والعبارات على الجدران ، وتماثيل القش تمثل ايدن مشنوقا · والحمار الذى كتبوا عليه اسم موليه والذى كان يجرى فى الشوارع طول النهار وكأنه يحتج على ما فعله به الناس !! ومن

خلفه طابور طويل من الدوريات الانجليزية والفرنسية تحـــاول اللحاق به دون جدوى ، وأثار الدماء على الجدران وفي الشوارع ، دماء الانجليز والفرنسيين ، ودماء الشهداء الطاهرة ٠

بين كل هذا خرج موكب النصر صباح يوم ٢٣ ديسمبر سنة ١٩٥٦ ، موكب عجيب رهيب مشى فيه كل الناس يحملون بنادقهم التى قاتلوا بها ويطلقون الرصاص فى الهـــواء اعـــلانا لفرحهم ، والهتافات بحياة عبد الناصر ترتفع الى عنان السماء وتختلط بدوى الرصاص ٠ وفى مقدمة الموكب مشت أمهات الشهداء يتشحن بالسواد وعلى شفاههن البسمات مختلطة بالدموع ٠ ولكن هذه الدموع لم تمنع « الزغروتة » المنطلقة من فم أم الشهيد فى يوم النصر ٠ وكانت كل واحدة تحمل صورة ابنها الشهيد ٠ كانت تحيطها بأكليل من الزهور ٠ لم تكن تحيط الصورة بشريط أسود فانها كانت تشعر بان ابنها لم يمت وان روحه الطاهرة تتهادى معها فى موكب النصر ٠

أما الغزاة الذين خرجوا يجـرون وراءهم أذيال الهزيمـــة والخزى والعار فقد ترك الفرنسيون علمهم معلقـــا على ذراع تمثال ديلسبس ٠ ولم يضع أبناء بور سعيد الوقت فى محـــاولة انزال العلم وانما أحضروا عمـــودا طويلا من الخشب وأشعلوا فى نهايته شعلة ثم أحرقوا بها العـــلم وهو فى يد فرديناند ديلسبس واختفى العلم الفرنسى فى لحظات ٠

وطاف الموكب من جديد بشوارع المدينة وما ان وصلت طلائع قوات الجيش والبوليس المصرى مشارف المـدينة حتى خف الموكب لاستقبالهم وبدأت الحياة تضحك من جديد فى بور سعيد ٠

لقد تحولت مدينة بور سعيد بعد المعركة الى انقاض ، وحى المناخ سوته القنابل بالارض ، هذا هـــو ما فعلته مدافع الاعـداء وقنابلهم بالثغر الحبيب ، ولكن يكفينا فخرا اننا ضحينا بكل غال

حتى لا تطأ أقدام العدو أرض الوطن ومن وطئت قدمه أرض الوطن خلسة وتحت جنح الظلام طرد منها شر طردة • وانتصرنا بكفاحنا على الاستعمار ولم نسلم وقاومنا الظلم لاننا نعلم اننا ندافع عن حق وعن مبدأ وعن حرية ترخص الارواح والدنيا فداها •

ولم تمض سوى بضعة أشهر ثم دبت الحياة في بور سعيد ، وتحولت الانقاض الى أحياء جميلة ، وارتفعت العمارات والمبـــانى مرة أخرى فى الثغر الحبيب تشمخ بانفها فى اعتزاز بالنصر الذى حققتـــه •

وستنسى وتنسى المدينة الغـــالية ما أصابها من تحطيم ولن تذكر على مر الزمن الا انتصارنا واعتزازنا بهذا النصر المبين •

(٢٤)

من قصص البطولة

كان كفاح الشعب ممثلا في فرق المقاومة الشعبية وفي الحرس الوطني وفي الفدائيين يتضمن قصصا كثيرة من قصص البطولة التي نفخر بها ونعتز ٠ واننا عندما نستعيد هذه القصص انما نذكر امجادنا في المعركة ونترحم على اخواننا الذين استشهدوا في الميدان بعد ان خلفوا لنا النصر على الاعداء ٠ فأصبح حقا علينا ان نذكرهم ونذكر ما حققوا للوطن من انتصارات ولشعبنا من امجاد ٠

ولقد كان جيشنا الباسل دائما في الطليعة مضحيا بحياة جنوده في سبيل الوطن ورفع راية الحرية ٠ ولا عجب اليس هو الذى حقق لنا ثورة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ التى نعيش فى ظلها ونستمتع بآثارها وما حققته لشعبنا من خير ورفاهية ٠ واليوم حقق لنا نصرا كبيرا وأصبحت مصر تعد انتصارها في معركة بور سعيد ضد العدوان الغاشم قوة يحاسب حسابها ٠

القصة الاولى :

١

لقد سجل بطل من جنودنا قصة خالدة ٠٠ انه مدفعجي رشاش كانت مهمته أن يطلق أحد مدافع السواحل وراح يطلق مدفعه بانتظام من الصباح حتى المساء ومن المساء حتى الصباح ٠٠ كان يأكل وهو يطلق مدفعه ويشرب وهو يطلق مدفعه ٠ أصيب برصاصة فى فخذه وعرض عليه زملاؤه ان يحملوه الى المستشفى فرفض وطلب منهم ان ينصرفوا الى مقاومة العدو ويسلموه مدفعا رشاشا وذخيرة وظل يقاوم العدو حتى آخر طلقة وآخر قطرة من دمه ٠

القصة الثانية :

ان طالبا فى السادسة عشرة من عمره بمدرسة الطيران المدنى أسقط طائرة مقاتلة مصنوعة فى أمريكا ومن طراز (هيلكات) وذلك أثناء غارة وقعت على مطار ألماظة بالقرب من مصر الجديدة .

القصة الثالثة :

واليك حادث يدل على اننا شعب مكافح يقف فيه الجميع صفا واحدا فى وجه المستعمر الغاصب الـــذى يحاول أن يدنس أرضنا الطاهرة .

هذا الحادث هو حادث أب فقد ابنه فى لمحات خاطفة . فقــد غادر القروى سيد صالح يوسف منزل والده بالخانكة صباح يوم ٥ نوفمبر . وفى الطريق وقعت احدى الغارات واشتد قصف المدافع المضادة للطائرات وأخذت تقذف الحمم لتصلى بها طائرات العـــدو وتطايرت احدى الشظايا الى رأس القروى ففصلته عن جسده . وما ان سرى نبأ مصرعه فى ميدان الشرف والتضحية حتى اندفـع اليه والده بيكيه وانتف من حوله بعض القرويين يواسونه ويخففون من وقع المصاب على نفسه . وفى هذه اللحظات شوهدت طائرتان من طائرات العدو وهما تهويان على الارض والنيران تشتعل بهما بعد ان اصابتهما قذائف مدافعنا ، وما ان شاهد الاب حطام الطائرتين يتساقط على الارض حتى تهللت أسارير وجهه . والتفت الى من حوله من المعزين وأقسم ألا يقيم مأتما لولده وألا يقبل عزاء فيـــه حتى تنتصر مصر .

القصة الرابعة :

ترك شاب جامعى وحيد والدته منزله فى ساعة مبكرة من صباح ٦ نوفمبر بعد ان ترك رسالتين كتب على احداهما (لا تفتح الآن) وفى الرسالة الاخرى قال لوالدته .. هذه رسالة اليك لا

تفتحيها الا اذا جاءك نبأ استشهادى انى اريد ان اموت فى سبيل بلادى • وضغطت الام على الرسالتين بيدها • وقالت كنت اريد ان اراه قبل ان يسافر انه وحيدى ولكنى اهبه للوطن • وغادرت الام منزلها وانضمت الى السيدات اللائى تطوعن لاعداد الاسرة لاستقبال الجرحى المكافحين • وقالت لزميلاتها سأعد هذا الفراش لابنى اذا عاد • وهكذا تحولت مصر الى معسكرات كاملة تستعد للمعركة ولنتائج المعركة • ان الام المصرية تراقب ابنها وهو يغادر منزله الى المعركة والابتسامة لا تفارق شفتيها •

القصة الخامسة :

كان الصحفى مصطفى شردى يحارب فى الصفوف الاولى فى بور سعيد وامه الكسيحة تنتظره مع اطفالها فى البيت • والقى الاعداء القنابل الحارقة على البيوت • وشبت النار وراحت تأكل البيوت بيتا بيتا ومصطفى واقف فى مكانه فى الصف يحمل بندقيته ويطلقها مع آلاف الشبان • ولما اقتربت النار من بيت امه ذهب اليها وحملها من بيته ووضعها على عربة يد صغيرة ونقلها مع اشقائه الصغار الى بيت بعيد عن النار ثم عاد الى الصف يطلق النار مع زملائه ولكن زحف النار لم يقف ، لقد اقتربت من البيت الذى وضع فيه امه • وترك مصطفى زملاءه للمرة الثانية وحمل امه ووضعها على عربة يد صغيرة وراح يدفعها بعيدا عن النار وسقطت قطعة خشب ملتهبة على الام وبدأت النار تلتهم الطرحة البيضاء التى كانت على رأسها وخطف الابن الطرحة المشتعلة من فوق رأس امه والقاها على الارض وراح يدفع العربة • وصاحت الام فى ابنها عد الى اصدقائك فى خط النار واترك أخوتك الصغار يدفعون العربة • وترك مصطفى امه وعاد الى خط النار • ورأت الام مسجدا صغيرا فطلبت من اطفالها أن يحملوها الى داخل المسجد وانحنت النار أمام بيت الله ولم تحرقه • وتحت وابل القنابل وبين النار

الزاحفة ارتدى مصطفى جلبابا ومشى حافى القدمين وتحت الجلباب آلة فوتوغرافية دقيقة الحجم بحجم علبة الكبريت راح يلتقط بها صور المجازر البشرية فى بور سعيد ٠

القصة السادسة :

القى الجنود البريطانيون ببور سعيد قنبلة حارقة على كنيسة بالمدينة أثناء اعتدائهم على الاهالى ٠ واعتقلوا اكثر من خمسمائة شخص وقتلوا طفلة عمرها سنتان و ٣ نساء عجائز ٠ وقد انتقم الفدائيون منهم اذ استمرت المعركة بين الفدائيين والجنود طول الليل وخسر الانجليز فيها ٣ ضباط واكثر من خمسين جنديا ٠ وهكذا رد الفدائيون الصاع صاعين للمعتدين ٠

القصة السابعة :

قصة بطل شاب مصرى استطاع بفصيلته الصغيرة المكونة من ٢٠ جنديا الصمود أمام قوات العدو وطائراته ٠

انها فصيلة الشاويش محمد احمد محمد عيسى البالغ من العمر ٢٥ عاما وذهب الى موقعه فى العريش وكان الضرب بالطيران والمدفعية مستمرا وكانت مدافعنا مشتبكة مع العدو واستمر الضرب الى الساعة الثانية عشر ليلا وكان يصحب الضرب القاء منشورات كان العدو يطلب منا التسليم ووقف القتال واخذت فصائلنا تسقط الطائرات وتمكن جندى هو صالح خليفة من اسقاط طائرة بمدفع بلاندلسيير ٠ واخذت عربات العدو المصفحة تقترب من مواقعنا واسقط مدفعنا اول دبابة ٠ وقد اقتحمت دبابتان المعلك الذى يبعد عن الموقع بحوالى ٥٠ مترا واعطيت الاوامر بأن تفتح المدفعية نيرانها فدمرت بعض العربات وجرى الباقى خارج السلك وهرب ٠ واستمرت هذه العملية حوالى الساعة ثم عاد العدو مرة ثانية وكانت المدفعية تضرب فوقنا ، والطائرات تلقى المنشورات واخذنا نضرب فيهم حتى انسحبت قواتهم ٠

ونشبت معركة ثالثة استطعنا فيها ان نقتل الكثير من جند العدو وان نخرب الكثير من عرباتهم ودباباتهم . وقـــد تخلف عن المعركة ١٢ عربة مصفحة للعدو وكميات كثيرة من الاسلحةالخفيفة وعدد كثير من القتلى يبلغ ٢٠٠ قتيل .

القصة الثـــامنة :

ان الملازم جول يوسف الياس جمال والملازم نخلة اسكاف الضابطين بالقوات البحرية السورية تطوعا فى عملية بحرية لزوارق الطوربيد المصرية ضد قوات العدو البحرية فى البحـــــر الابيض المتوسط شمال البرلس يوم ٤ نوفمبر وقد انتهت العملية البحرية الرائعة بالفخر لجميع الافراد الذين اشتركوا فيها ، وباصـــــابة مركبين حربيين فرنسيين غرق احدهما امام البرلس والآخر امام الساحل الليبى وكان جول اول من وضع بحياته اسس التعـــاون الفعلى بين قواتنا وقوات سوريا المشتركة فى المعركة .

القصة التاسعـــــة :

عامل تليفون فى محافظة بور سعيد كانت مهمته ان يشبك الاسلاك ويقطع الخطوط عند انتهاء المكالمات والاشارات . وفجـــأة انطلقتمدافع الاسطولالبريطانيقنابلها على المدينة وراحت الطائرات تلقى القنابل المحرقة على البيوت بلا رحمة ولا شفقة . واشتعلـت النار وراحت تزحف نحو مبنى المحافظة وبقى عامل التليفون فى مكانه يتصل بالاسعاف وبالمطافىء وبوزارة الداخلية فى القاهـــرة. وسقطت قنبلة على مبنى المحافظة وبقى عامل التليفون فى مكانه وسمع الذين فى نهاية الخط اصواتا تشبه اصوات دق الابـــواب واستمر عامل التليفون يملى عليهم آخر اشارة تليفونية ثم سكت فجأة صوت عامل التليفون ولم يكن الصوت الذى سمعوه هو دقات

على الباب وانما كان صوت مبنى المحافظة وهو يتهدم تحت وابل القنابل .

القصة العاشرة :

كان الاطباء فى بور سعيد قد جندوا انفسهم لعلاج المصابين والجرحى من ضحايا العدوان وبينما كان احد الاطباء يجرى جراحة عاجلة لاستخراج رصاصة من احد المصابين فى المعركة وكان ابن الطبيب يقف الى جانبه ليقدم الى ابيه المساعدات التى يمكنه ان يؤديها . اذ بشظية من شظايا المدافع المضادة للطائرات تنفذ من شباك الغرفة لتستقر فى صدر الصبى فاردته قتيلا . اما الاب الطبيب فلم يتحرك واستمر يؤدى واجبه لينقذ المصاب الذى اودع حياته بين يديه ، والذى ضحى بحياته فى سبيل وطنه . فلم يكن الطبيب بأقل تفانيا منه فى خدمة وطنه وأبناء وطنه .

القصة الحادية عشرة :

لقد رفض تجار بور سعيد ان يفتحوا محالهم كما رفضوا التعامل مع الأعداء حتى من اجبروا على فتح محالهم قام الفدائيون ورجال المقاومة الشعبية باغلاقها او حرقها وتحطيمها حتى لا يقدموا اية مساعدات لقوات الاعداء . وهكذا كان جميع افراد الشعب قلبا واحدا وصفا واحدا ضد العدوان الغاشم .

القصة الثانية عشرة :

لقد استطاع صول فى الجيش المصرى ان يوجه طلقات مدفعه المضاد للطائرات نحو طائرات العدو المغيرة فأسقط ثلاث طائرات فى اقل من نصف ساعة . فاستحق ان يرقى فورا الى رتبة ملازم فى واستمر القتال العنيف فى بور سعيد طوال الليل والنهار

القصة الثالثة عشرة :

وقف عدد قليل من الابطال المصريين امام١٥٠٠ جندياسرائيلي مجهزين بمدفعية الميدان ومدفعية الهاون والمدرعات وبدأوا عمليتهم فى الساعة الثالثة صباح يوم ٣١ إكتوبر وانقضت عمليتهم بالفشل فى الساعة التاسعة والنصف وكان هدفهم ان يستولوا على القسيمة قبل أضواء الفجر وظهرت أضواء الفجر فوق جثث قتلاهم . فشل هجومهم الاول فى الساعة الرابعة والنصف بعد ان مهـــدت له المدفعية بضرب استمر ساعة ونصف ساعة . وفشل هجومهم الثانى فى الساعة السادسة والنصف رغم طابور المدرعات الذى غرز فى الالغام . وفشل هجومهم الثالث فى الساعة الثامنة والنصف . ثم انسحبوا فى الساعة التاسعة والنصف . وخسرت اسرائيل فى هذه المعركة ٤ مدرعات انفجرت بين الالغام و ١٥٠ قتيلا .

القصة الرابعة عشرة :

كانت قواتنا المسلحة اقل عددا وعدة من قوات الدولالثلاث المعتدية ومع ذلك استطعنا ان نحرز نصرا على قواتهن فى عــدة معارك وفى عدة مواقع . ففى هجوم للعدو على موقع زارع كانت قوات العدو تفوق قواتنا بنسبة ١ الى ١٥ وحاصر العدو الموقـع بأربعين دبابة اسرائيلية وفرنسية وانجليزية وقد استطعنا أن ندمر ٧دبابات للعدو . وحاولت طائرات العدوان أن تؤيد المعركة وحركة الالتفاف ولكن مدفعيتنا استطاعت أن تسقط طائرتين . وقد خسر العدو فى معركة رفح ٥٠ دبابة و ٥ طائرات وثلاثة آلاف قتيل .

القصة الخامسة عشرة :

وهى قصة خطف الضابط مورهاوس أثناء العدوان الثلاثى على بور سعيد ، فقد أراد الفدائيون أن يحطموا كبرياء القوات المعتدية

التى تملأ شوارع المدينة وتستمرىء السلب والنهب والاعتقال . لم ترع حرمة مسكن ولا كرامة شيخ مسن ولا ضعف امرأة أو طفل . فلم يكن هناك من وسيلة الى تأديبهم واذلالهم الا بخطف ضـــابط متغطرس منهم كان معروفا بغلظته ويضيق الاهلين بتصرفاته .

وبدأت هذه القصة يوم ١١ ديسمبر سنة ١٩٥٦ أثناء العدوان البريطانى الفرنسى الاسرائيلى على مصر ، عندما أصدرت القيـــادة البريطانية الفرنسية فى بور سعيد بلاغا رسميا نصه كالآتى :

ان ضابطا بريطانيا شابا برتبة ملازم ثان اسمه «مورهاوس» من ليدرز بانجلترا ، كان مستقلا سيارة جيب فى الساعة السابعة صباح يوم ١١ ديسمبر . ولما غادرها ليسأل أحد المارة عن شارع فى المدينة اختطفته جماعة مسلحة بالبنادق وأركبته سيارة سوداء واتجهت بسرعة الى الحى العربى حيث تركت السـيارة خالية على مسافة ميل من مكان الحادث .

وقد وقع الحادث فى نفس الشارع الذى ألقى فيه البريطانيون القبض على سبع من الوطنيين المصريين كانوا مختبئين فى مسكن أحد أطباء الاسنان وكان الضابط المخطوف على رأس القوة التى اقتحمت مسكن الطبيب واعتقلت الوطنيين .

وصرح الجنرال ستوكويل قائد القوات البريطانية الفرنسـية بأنه استقبل السيد محمود رياض محافظ بور سعيد وطلب منه أن يسعى لاعادة الضابط المخطوف مورهاوس كما أبلغ ستوكويل نبأ اختطاف الضابط الى الجنرال بيرنز قائد قوات الطوارىء الدوليـــة وأصــــدر ستوكويل أوامره الى قوة كبيرة من الجنود البريطانيين والفرنسيين باجراء تفتيش شامل فى بور سعيد .

أما قصة خطف الضابط مورهاوس فتبدأ فى الساعة التاسعة

من صباح يوم ١١ ديسمبر سنة ١٩٥٦ فى شارع توفيق ببور سعيد حيث وقفت سيارة سوداء أجرة فى الشارع وقفز منها أربعة شبان وقفوا دقيقة يتلفتون فى الشارع وأخرجوا من السيارة صندوقا كبيرا حمله الاربعة الى الدور الثانى من المنزل الذى وقفت أمامه السيارة • وأخرج أحدهم مفتاحا من جيبه وفتح به باب الشقة رقم ٥ • وفى غرفة من الشقة وضعوا الصندوق على الارض • وتركوا الشقة وأغلقوا بابها وانصرفوا وصعد أحدهم الى الدور الثالث وسلم سكان الشقة رقم ٨ بالمنزل مفتاح الشقة رقم ٥ التى بها الصندوق ثم نزل مسرعا حيث لحق بزملائه الذين كانوا فى انتظاره •

وعلى ناصية الشارع كان أربعة آخرون ينتظرون خروج الاربعة من المنزل • وعندما خرجوا انصرف الاربعة المنتظرون فى الشارع ليناموا بعد يومين من العمل المتواصل •

كانت الخطة التى وضعها الثمانية الوطنيون فى بور سعيد هى خطف أى بريطانى بعد أن تعددت حوادث اعتقال الانجليز للمصريين لمجرد الاشتباه فيهم بأنهم فدائيون • وكان موعد انسحاب القوات المعتدية قد تحدد له يوم ٢٥ ديسمبر • وكانت القوات البريطانية تريد حماية انسحابها بعمليات اعتقال وارهاب واسعة فى بورسعيد لذلك قرر الفدائيون المصريون خطف عـــدد من الضباط الانجليز ردا على حوادث الاعتقال • ففكروا أولا فى خطف الجنرال ستوكويل قائد القوات المعتدية الذى كان يخرج أحيانا فى جولات بالمدينة • ثم استبعدت الفكرة لسببين : الاول : انه كان يركب دائما سيارة مصفحة وتصحبه حراسة قوية • والثانى : انه فى حالة نجاح خطفه ستقوم القوات البريطانية بأعمال جنونية ضد أهالى المدينة • وفى الليلة السابقة لتنفيذ خطة الخطف اجتمع ثمانية من الفدائيين فى الشقة رقم ٥ بشارع توفيق التى يملكها أحمد هلال صاحب مصنع أسنان ببور سعيد وهو الذى يسكن أيضا فى الشقة رقم ٨ بالمنزل

نفسه • وتقرر فى الاجتماع انه فى يوم ۱۱ ديسمبر يجب خطف ضابط بريطانى كبير ويجب ان يتم الخطف قبل الساعة التاسعـــة صباحا وتتم عملية الخطف على مرحلتين هما ادخال الضابط المخطوف سيارة تكون معهم ثم نقله من السيارة الى المنزل الذى سيودع فيه• يجب الا يصاب الضابط اثناء عملية الخطف • يجب ان يكون المخطوف ضابطا • ممنوع خطف العساكر •

وبعد هذه القرارات فكروا فى طريقة لاستحضار السيارة التى سيخطفونه فيها • وقد تم حل الاشكال بالعثور على السيارة رقم ٥٧ اجرة القناة •

وفى الصباح خرج الفدائيون الثمانية ووصلوا الى شــــارع رمسيس أمام مبنى مباحث بورسعيد • كان هناك الضابط مورهاوس وكان معروفا لهم ويعرفون كل تصرفاته ضد المدنيين فى بور سعيد• كان مورهاوس ينزل فى هذه اللحظة من سيارة «جيب» ويتجه الى الاعمدة التى علقت عليها صور الرئيس جمال عبد الناصر وأخـــذ مورهاوس يزيل صور الرئيس من فوق الاعمدة •

فقسم الفدائيون الثمانية أنفسهم على الوجه الآتى :
اثنان منهم تقدما تجاه السيارة الجيب البريطانية التى كان يقف الى جوارها جندى بريطانى •

واثنان آخران تقدما تجاه مورهاوس الذى كان منهمكا فى ازالة صور الرئيس عبد الناصر وخطفوه واودعوه السيارة • وفى نفس الوقت هرب الجندى البريطانى الذى كان يقف عند السيارة الجيب• وكان يطلق الرصاص وهو يجرى على السيارة التى تم فيها الخطف فاصابها برصاص مسدسه ولكن لم يصب احدا ممن فيها •

وبعد ذلك اتجهت السيارةالى جراج حيث نزعت ملابسالضابط الرسمية وظل بملابسه الداخلية ثم وضعوه فى صندوق كبير لمجرد

التضليل حتى اذا مرت قوات بريطانية لاتشتبه في شيء • ثم وضع الصندوق في السيارة التى انطلقت الى شارع توفيق • وهناك وقفت السيارة وصعدوا به الى المنزل حيث استقر الصندوق فى الشقة رقم ٥ •

وبعد اغلاق الشقة سلموا المفتاح الى احمد احمد هلالى • وكان فى هذا الوقت ينتظر بالشقة رقم ٨ من نفس المنزل • اخذ المفتاح ونزل الى الشقة رقم ٥ وكان معه غريب يونس • فتحا الصندوق واخرجا مورهاوس حيث نام على سرير •

وسأله احمد هلالى ـ هل تريد شيئا ؟ فاجاب مورهـــــاوس بالنفى • وعندئذ ربطا قدميه ويديه الى السرير حتى لايستطيـــع الهرب • وفى نفس الوقت كان صوت ، الدبابات البريطانية يدوى فى الشوارع المحيطة بالمنزل •

اطل غريب من النافذة فاذا به يرى شارع توفيق وقد اصبح اشبه بميدان حرب كل من فيه يبحث عن مورهاوس الذى كان على بعد امتار من الدبابات • وكانت كل القــوات البريطانيـــة تبحث عن السيارة التى خطف فيهـــا مورهاوس • واخيرا وجدوها فى جراج خلف منزل احمد هلالى وبها آثار رصاص • وهنا بدأت عمليـــــات تفتيش جنونية قام بها اكثر من ٥٠٠ ضـــابط وجندى بريطانى • واعتقل كل المصريين فى المنطقة ثم نقلوا الى النادى المصرى لاستجوابهم حتى زاد عدد المعتقلين على الالف •

واثناء التفتيش حدثت معجزة • لقد التقت قوتان بريطانيتان امام المنزل الذى يرقد فيه مورهاوس • ظنت كل قوة منهما ان القوة الاخـرى قامت بتفتيش المنزل • مرت القـــوتان امام المنزل دون تفتيش وظلت عمليات الاعتقالات والتفتيش حتى المساء عندما حـل موعد حظر التجول •

وفي منتصف الليل قدم أحمد هلال كوب شــــاى باللبن الى مورهاوس وقطعا من « البسكويت » التهمها الى آخرها ٠

ان زوجة احمد هلالى واولاده لم يكونوا يعلمون شيئا عن وجود الضابط المخطوف فى الشقة رقم ٥ لانهم يقيمون فى الشقة رقم ٨ ٠

ان السر كان محاطا بكل الضمانات لعدم اذاعته ٠ خشى أحمد هلالى ان تعلم زوجته فطلب منها ترك المنزل بحجة احتمال اعتداءات الانجليز على المنطقة ٠ فتركت الزوجة البيت الى منزل اهلها ٠

وفى الساعة التاســعة والنصف من صباح اليوم التالى قدمت الى مورهاوس ، وجبة ثانية من اللبن والشاى والبسكويت ٠

وفى الساعة الرابعة بعد الظهر بدأ فك حصار المنطقة ٠

وفى المساء تناول مورهاوس وجبة طعام ثالثة ونام ٠

جاء صباح يوم ١٣ ديسمبر وهو اليوم الثالث للخطف فخرج هلال لزيارة اسرته واحضار بعض لوازمه ٠ ولما عاد عند الظهر وجد حصارا آخر عند منطقة المنزل ومنعته القوات البريطانية من دخول منطقة الحصـــار ٠ لقد كانت القوات المعتدية متأكدة من وجــــود مورهاوس فى هذه المنطقة ٠

وفى يوم ١٧ ديسمبر فكت القوات المعتدية حصارها ٠ وعاد احمد هلالى الى الشقة بعد أن تركها لمدة خمسة أيام ٠ كان متلهفا على أخبار مورهاوس لانه كان وحده فى الشقةومنع الحصار البريطانى دخول اى احد الى منطقةالبيت خمسةايام٠اسرع الهلالى يصعدالسلم وفتح الشقة فى لحظـات ٠ دخل غرفة نوم مورهاوس وجده فاقــد الحياة فوق السرير ٠

وبدت للفدائيين مشكلة اخرى هى كيف يتخلصـون من جثة

الضابط ان الطريقة الوحيدة هى حفر الارض تحت سلم البيت ودفنه فيها .

وظل سر مورهاوس قائما الى أن تم انسحاب قوات الاعتداء وتولى البوليس المصرى المحافظة على الامن . وتمكن البوليس من العثور على الجثة وتم تسليمها يوم اول يناير سنة ١٩٥٧ الى البوليس الدولى على مسافة ٢ كيلو متر من بور سعيد . ونقلت الجثة الى المستشفى النرويجى فى بورسعيد . فحصها الاطباء فلم يجدوا بها اى اثار للقتل ولا اى جرح انما كانت الجثة متعفنة . نقلت يوم ٤ يناير بالطائرة الى نابولى وهناك تسلمها البريطانيون .

واعلنت وزارة الحربية البريطانية انها اوفدت الى نابولى الدكتور فرانسيس كاميس من كبار خبراء سكوتلانديارد يصحبه خبراء آخرون لفحص الجثة وتقرير سبب الوفاة وتم الفحص وسلمت الجثة الى بريطانيا .

ولعله من الطريف بعد هذا ان نذكر ان الجنرال ستكويل قائد القوات البريطانية اعلن يوم ١٩٥٦/١٢/٢٢ أن الضابط المخطوف سيحاكم عسكريا بتهمة تغيبه وقيادته لسيارة جيب بدون حراسة وتركه المصريين يخطفونه ومعه مدفعه !!

القصة السادسة عشرة :

انها قصة الرئيس جمال عبد الناصر الذى شاءت ارادته ان يباشر ارض المعركة بنفسه ، ويتفقد الاستعدادات الحربية وطرق الدفاع والهجوم ويلمس بنفسه روح الكفاح فى المعركة للمحافظة على شرف الوطن وحريته ضد الغزاة المعتدين . وقد لمس سيادته روحا عالية وتصميما على القتال من الشعب والجيش والبوليس على السواء.

وقد تتبع سيادته معركة بورسعيد الباسلة من قيادة منطقة القنال وذلك في مساء يوم ٥ نوفمبر ثم عاد للقاهرة ٠

ان هذه القصة كبيرة المغزى عظيمة الدلالة على الروح الوطنية الصميمة التى تملا قلب قائدنا المظفر الرئيس جمال عبد الناصر ٠ وتدل دلالة واضحة على روح التضحية والبذل والتصميم على الكفاح من اجل الوطن وغيرته على بلده وجيشه ٠ ولا غرو فهو الرئيس الاعلى للدولة ولكنه لا يباشر سلطاته التى اسلمها له الشعب بكل ثقة وايمان فى شخصه ، لا يباشر هذه السلطات من فوق مكتبه بدار الرياسة بالقاهرة وقد كانت اخبار المعارك تصل اليه اولا باول وليته انتقل ليقف فى قلب المعركة معرضا حياته للخطر فى جرأة وشجاعة ليسأل اصغر جندى فى الجيش عن شعوره واحساسه وليطمئن بنفسه على سلامة الخطط الحربية ويعزز روح الكفاح لدى جنوده ، فلا شك ان احساس الجنود بغيرة رئيس الجمهورية على وطنه وعلى سلامة شعبه تجعل كل جندى وكل ضابط فى الجيش يحس بعظم المسئولية الملقاة على عاتقه فيبذل من ذات نفسه راضيا مطمئنا حتى يحقق النصر ٠

وليست هذه هى قصة بطولة الرئيس جمال عبد الناصر فحسب وانما ظهرت هذه البطولة عندما ركب سيارة مشت فى جميع شوارع القاهرة وهو يلقى كلمته فى الميكروفون وسط الغارات الجوية على المدينة ليطمئن الشعب ويبعث فى نفسه القوة على الصبر والاحتمال والايمان بحقه مرددا ان سيادته سيضحى فى سبيل الوطن بآخر قطرة من دمه ٠

****

وليست هذه هى كل قصص البطولة ولكنها جزء يسير ٠٠

ويسير جدا فلقد شهد العدو بشجاعة قواتنا وباستماتة الشعب في الدفاع عن أرض الوطن ولولا ما لقيه العدو الغاشم من عنف المقاومة الشعبية لما أذعن في ٧ نوفمبر لتنفيذ قرار هيئة الامم المتحدة بوقف القتال فورا وانسحاب القوات المعتدية بعد ان كان العدو قد رفض تنفيذ القرار فور صدوره في ٢ نوفمبر .

«٢٥»

نتائج المعركة

فى ٢٦ يوليو سنة ١٩٥٦ عندما أصدر الرئيس جمال عبد الناصر قانون تأميم الشركة العالمية لقناة السويس قامت ضجة فى الدول الاستعمارية تنكر علينا حقنا فى تأميم شركة مصرية تخضع للقوانين المصرية ، بينما وقفت الى جوارنا الدول المحبة للسلام ولم نجد فى قرار التأميم أى اخلال بالمواثيق الدولية أو اعتداء على حقوق الآخرين وانما كان قرار التأميم تصرفا من صميم اختصاصاتنا الداخلية ومن أعمال السيادة للدولة على اقليمها ٠

ومع ذلك اتخذ الاستعمار من قرار التأميم تكئة ليتدخل فى شئوننا ويسيطر على سياستنا ويدخلنا ضمن مناطق النفوذ ٠ كان يرى ان القومية العربية قد انتشرت والوحدة العربية فى طريقها الى الظهور واتخاذ شكلها القانونى ٠

كان الغرض من العدوان الثلاثى على مصر القضاء على القومية العربية والقضاء على مبادىء الوحدة والتضامن العربى ٠ ولكن مصر رفضت ان تعدل عن فكرة القومية العربية لاننا جزء من الامة العربية ولان وجودنا مرتبط بوجود الامة العربية ولان كياننا جزء من كيان الامة العربية ٠ واذا زالت القومية العربية فى باقى أجزاء الامم العربية فلن يتبقى للقومية العربية أى أثر فى بلدنا ٠

لقد رفضنا الاغراء والتهديد وكل وسائل الدعاية ونظرنا اليها بسخرية وبايمان وتصميم وكانت نتيجة الوعى الاعتداء المسلح على أراضينا ٠ وعندما كانت مصر تتعرض للقنابل وللعدوان كان أعوان الاستعمار يقيمون الافراح لانهم كانوا يعتقدون ان هذا العدوان فيه قضاء على القومية العربية وفكرتها ، وعلى الوحدة العربية وفكرتها

ولكن الوحدة آمنت بها الشعوب العربية وأصبحت القومية العربية حقيقة واقعة لا يمكن اغفالها .

وكان من نتيجة معركة بور سعيد ان زاد انتصار القومية العربية لأن انتصارنا في بور سعيد كان انتصارا للمبادىء والمثل العليا وكان تقريرا لمبدأ جديد وحقيقة واقعة هي ان الدول الكبرى مهما كانت قوتها واسلحتها لن تستطيع في حرب عدوانية أن تحقق ارادتها . ان القومية العربية انتصرت رغم المؤامرات .

كانت دعوتنا حرية سياسية وقومية عربية ووحدة عربية ثم حرية اقتصادية من التبعية للاستعمار واقطاب الاستعمار . وقد تآمر علينا الاستعمار ونحن الشعب الاعزل الذى لا يحمل من السلاح الا الايمان ، ولا نحمل من السلاح الا العمل والعرق . ولم يكن أمامنا الا أن نعطى الوطن أرواحنا وقد فعلنا فكان النصر حليفنا .

لقد تحققت الوحدة والقومية العربية ونحن نسير في طريق تحرير الحرية الاقتصادية واتجهنا نحو اقامة المصانع والانتاج للاكتفاء الذاتي وأصبحنا ننتج كل ما نحتاجه من المواد الاستهلاكية وغيرها وقد أممنا الممتلكات البريطانية والفرنسية وأممنا قناة السويس وأممنا البنوك والشركات البريطانية والفرنسية التى كانت تحتكر اقتصاد بلدنا . ان الحرية الاقتصادية هي الطريق لتحقيق المجمع الديمقراطي الاشتراكي التعاوني وذلك بعد ان حققنا الاستقلال والحرية السياسية .

ان بقايا عصر الاستعمار دفنت في بور سعيد وأن للمبادىء قوة لا تقل عن قوة الجيوش والاساطيل .

لقد حدد السياسي الانجليزى دزرائيلي سياسة بلاده بقوله ليس لنا أصدقاء دائمون ولكن لنا مصالح دائمة .

فما هي المصالح التى حققها ايدن لبلاده بمحاولته غزو مصر ؟ ان الطريقة التى أتبعها فى غزو مصر اضاعت هيبة بريطانيا في العالم كله باعتراف جريدة التيمس نفسها .

هل كسب لبلاده أصدقاء جددا ٠

لقد فقدت بريطانيا فى يوم واحد كل الصداقات التى أضاع أكبر ساسة بريطانيا أعمارهم فى تدعيمها وتقويتها وفقدت فى يوم واحد نفوذها واحترامها وقام كل العرب يلعنونها ويتبرأون منها٠

هل كسبت اقتصاديا بالهجوم على مصر ؟

كلا ٠٠ لقد خسرت مئات الملايين من الجنيهات وسدت القناة وضاعت تكاليف نقل زيتهـا ، واضـاعت أكبر أسواقها وزعزعت مركزها فى الشرق الاوسط ـ وبدأ الناس يحسبون موعد خروجها النهائى من كل أسواق الغرب ٠ وأصبحت آبار البترول الانجليزية فى خطر ومعرضة للنسف فى أى لحظة ٠٠ هذا فضلا عن أن الازمة الاقتصادية اشتدت فى بريطانيا وفرنسا ووضعتقيودعلى استهلاك البترول فى الدولتين وارتفعت أسعار أنواع كثيرة من البضائع ٠

هل استفادت سياسيا من هذا الهجوم ؟

كلا٠٠لقد فضحت نفسها ! رآها الناس على حقيقتها ! عرفوا انها أصبحت دولة من الدرجة الثانية! اكتشفوا أنها دولة لاتستطيع أن تقف وحدها فى الامم المتحدة اذا تخلت عنها أمريكا أو أدارت لها ظهرها ٠

لقد انتهت الامبراطورية البريطانية ولم يعد الاسد البريطانى يخيف الشعوب ٠ ان سياسة القوة التى تسير عليها بريطانيا لم تعد تلائم الشعوب المتحررة ان بريطانيا ما زالت تتصرف بعقلية وروح القرن الماضى ٠

كان الاستعمار يتوقع أن تنتهى معركة بورسعيد بعودة الاحتلال الى مصر وبخلع جمال عبد الناصر ولـكن طرد المستعمر وسلمت مصر لاهلها وكان من نتائج المعركة ما يأتى:

١ ـ التف شعب مصر حول الرئيس جمال عبد الناصر وأعلن ثقته التى لا حد لها بزعامته٠

٢ ـ التفت الدول العربية جميعها حكومات وشعوبا حول مصر وزعيمها جمال عبد الناصر وأصبحت القومية العربية حقيقة واقعة والوحدة العربية تحققت بين مصر وسوريا وهي في سبيل التحقيق بإرادة الشعوب العربية التي آمنت بالوحدة في القريب العاجل بإذن الله ٠

٣ ـ ارتفعت مكانة الرئيس عبد الناصر في نظر العالم ٠

٤ ـ وقف الرأي العام العالمي الى جانب مصر ضد بريطانيا ورئيس حكومتها ٠

٥ ـ أجمع الرأي العام في أمريكا واوروبا وآسيا وافريقيا انه لا نجاة لبريطانيا من هذا المأزق الا باستقالة ايدن وانسحابه ٠

وبعد انتصارنا في معركة بور سعيد وانسحاب القوات المعتدية مرض ايدن مرضاً سياسيا وما لبث أن استقال ايدن وبقي جمال عبد الناصر قويا ٠٠ بل أقوى مما كان ٠

وقد ارتفعت مكانة مصر في المجال الدولي واصبحوا يحسبون لها حسابا كما بدأ العالم يعمل حساباً للعرب وللقومية العربية وايقنوا اننا لا نتلقى التعليمات من الشرق أو الغرب واننا لا نتبع أحدا ولا ننحاز الى كتلة شرقية أو كتلة غربية وانما نتبع سياسة تنبع من ضميرنا ٠

لقد ارتكب ساسة الاستعمار ايدن وموليه جرائم وحشية فقد تآمروا ضد السلام وارتكبوا جريمة اشعال نار الحرب وما ارتكب فيها من آثام واعتداءات ضد النساء والاطفال والسكان الآمنين والشعب الاعزل وغير ذلك من الجرائم التي ارتكبت ضد الانسانية مما كان واجبا أن يحاكموا عنها ويحاسبوا حسابا عسيرا ولكن العالم اكتفى بأن شعوبهم اسقطتهم وسحبت ثقتها منهم وانتهوا سياسيا وأدبيا ٠

كانوا يريدون خلع جمال عبد الناصر ولكن على الباغي تدور

الدوائر .. كانوا يريدون تدويل القناة ولكننا رفضنا التدويل فكان لنا ما أردنا وبقيت القناة ملكا لمصر . ولم ينجح الحصار الاقتصادى الذى فرضوه ولم يتأثر اقتصادنا بينما أصيبت انجلترا بكارثة اقتصادية . فقد أصيب احتياطى الذهب والدولارات فى منطقة الاسترلينى خلال شهر نوفمبر سنة ١٩٥٦ بأكبر هبوط أصابه اذ نقص الاحتياطى ٢٧٩ مليونا من الدولارات مما جعل الرصيد الباقى منه ينخفض عن الحد الادنى الذى يكفل سلامة مركز الجنيه الاسترلينى واحتفاظه بقيمته .

أما اقتصادنا القومى فلم يتأثر بالعدوان بل زاد التبادل التجارى مع كثير من الدول وفتحت لنا أسواق جديدة مع دول صديقة لنا فضلا عما أحرزناه من تقدم فى طريق التصنيع والاكتفاء الذاتى بما تنتجه مصانعنا من المواد الاستهلاكية وغيرها .

وظلت سياستنا الاستقلالية التى تنبع من ضميرنا كما هى ولم يؤثر فيها العدوان . ان سياستنا التى أعلناها دائما هى الحياد الايجابى والتعايش السلمى ونبذ الاحلاف ، لانحياز الى كتلة شرقية ولا الى كتلة غربية . وكانت سياستنا دائما واضحة كل الوضوح .

نحن دعاة سلام وهم دعاة حرب .. ولقد أراد الله للسلام أن ينتصر وأن تجد سياسة القوة مصرعها فى بور سعيد .

كان العدوان محنة قاسى منها المستعمر أكثر مما قاسينا لان العدوان انتهى بنصرنا وبانتصار حقنا على باطلهم . ان البيوت التى تهدمت والمبانى التى سقطت شيدنا غيرها فى خلال بضعة أشهر وعادت بور سعيد الثغر الحبيب كما كانت دائما . أما من مات فى المعركة شبابنا وشيوخنا ونسائنا وأطفالنا فاننا لن ننساهم لان من استشهد فى سبيل الوطن لا يمكن أن يموت . وستظل أرواحهم الطاهرة ترفرف فوقنا كحمامة السلام تذكرنا دائما بوطنيتهم وما أسدوا لوطنهم من خدمات جليلة . اننا مدينون لهم بالنصر .

وكان العدوان تجربة تعلمنا فيها الكثير فعرفنـــا الصديق وعرفنا العدو ، من تخلى عنا فى المحنة ومن وقف الى جانبنا يشـد أزرنا ويفتدينا بروحه • وتعلمنا أيضا انه لا أمان للاستعمار وانه طالما أن الروح الاستعمارية تطل على العالم بين حين وآخر فلا يمكن أن يستقر السلام فى العالم

ولقد صقلت المعركة الشعب المصرى فامتلأت روحه بالوطنية والايمان بحقه وبحريته وبالمبادىء والمثل العليا التى قام عليهـــا مجتمعنا الديمقراطى الاشتراكى التعاونى •

لقد التف الشعب حول رئيسه وقائده المظفر الرئيس جمال عبد الناصر ، ووقف الشعب صفـــا واحدا وراء زعيمـه وقائد نهضتنا •

أعلنا التعبئة العامة وأصبح التدريب العســـكرى والقومية العربية والمجتمع العربى موادا أساسية تدرس فى مدارسنـا حتى نكون دائما قوةعلى أهبة الاستعداد لاى عدوان • وحتى يكونشبابنا فى طليعة شباب العالم يعرف المبادىء التى يقوم عليها مجتمعنـا ويؤمن بها عن عقيدة واقتناع ودراسة مستفيضة •

حتى الفن سواء فى الادب أو الموسيقى أو الغناء تأثرت كلهـا بالعدوان فى أيام المعركة • كانت الاناشيد الوطنية تشحذ همـــة الشعب على الكفاح ولا زلنا الى الآن نردد ••

الله أكبر •• الله أكبر الله أكبر فوق كيد المعتدى

وسيظل الشعب دائما يهتف بحياة رئيسه ويدعـــو الله أن يحفظه لامته وشعبه الذى يحبه ••

كلنـــا بنحبك ناصر
وحانفضل جنبك ناصر
ياحبيب الكل يا ناصر

لقد أممنا شركة القنـــاة ، تلك الشركة المصرية التي تخضع للقوانين المصرية وأعلنا منـــذ اليوم الاول أن المـــلاحة حرة ولكن اسرائيل لن تمر فيها لان بيننا وبينها حالة حرب ، وفي نوفمبر سنة ١٩٥٩ مرت بالقناة الباخرة انجه توفت وجنسيتها دانمركية وكانت تحمل بضائع اسرائيلية فحجزتها السلطات المصرية بميناء بور سعيد ، وصودرت البضاعة الاسرائيلية وأفرج عن الباخرة .

وحاولت اسرائيل بنفوذها الصهيوني أن ترغمنـــا على تغيير سياستنا ، فقاطع عمال الموانيء الامريكية الباخرةالعربية كليوباترة ورفضوا تفريغ شحنتها في ٦ مايو سنة ١٩٦٠ ولـــكنهم فوجئوا بالقومية العربية تفرض نفسها وقد تكتلت الدول العربية وتكاتفت فأيقنت أمريكا أن مصالحها ستتعرض للخطـر في الشرق الاوسط فعدل عمال الموانيء الامريكية عن سياستهم وأفرغت شحنة السفينة كليوباترة ، ولا زالت سياسة مصر كما هي لم تتغير رغم العدوان .

وما دامت سياسة مصر تنبـــع من ضميرها ويرسمها أبناؤها المخلصون وعلى رأسهم السيد الرئيس جمال عبد الناصر فان النصر سيكون حليفنا دائما ، ان اتحاد الشعب يصنع المعجزات .

لقد استؤنفت العلاقات الدبلوماسية بين مصر وبريطانيا بعـد أن ظلت مقطوعة زهاء ثلاث سنوات وعادت في أول ديسمبر سنـة ١٩٥٩ بدرجة قائم بالاعمال ثم رفعت درجة التمثيل الدبلوماسي الى درجة سفير في فبراير سنة ١٩٦١ .

وأن مصر وشعبها ليمد يده الى كل الشعوب التي تؤمن بحرية الشعوب واستقلالها ، والتي تحترم هذه الحرية وتدافع عنها وتقف الى جانب المعتدى ما دام الحق في جانبـه وان مصر وشعبهـــا لعلى استعداد لان ينسى العدوان وينسى تلك الحقبة من الزمن وما وقـع فيهـــا من أحداث ليبدأ عهدا جديدا من الصداقة والود على أساس التعاون الصادق والاحترام المتبادل والمساواة واحترام الحريات .. فبهذا وحده يتحقق السلام العالمي اذ لا سبيل الى اقرار السلام اذا تنكرت الدول لحقوق الانسان .

تم بحمد الله